

سِرِّهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

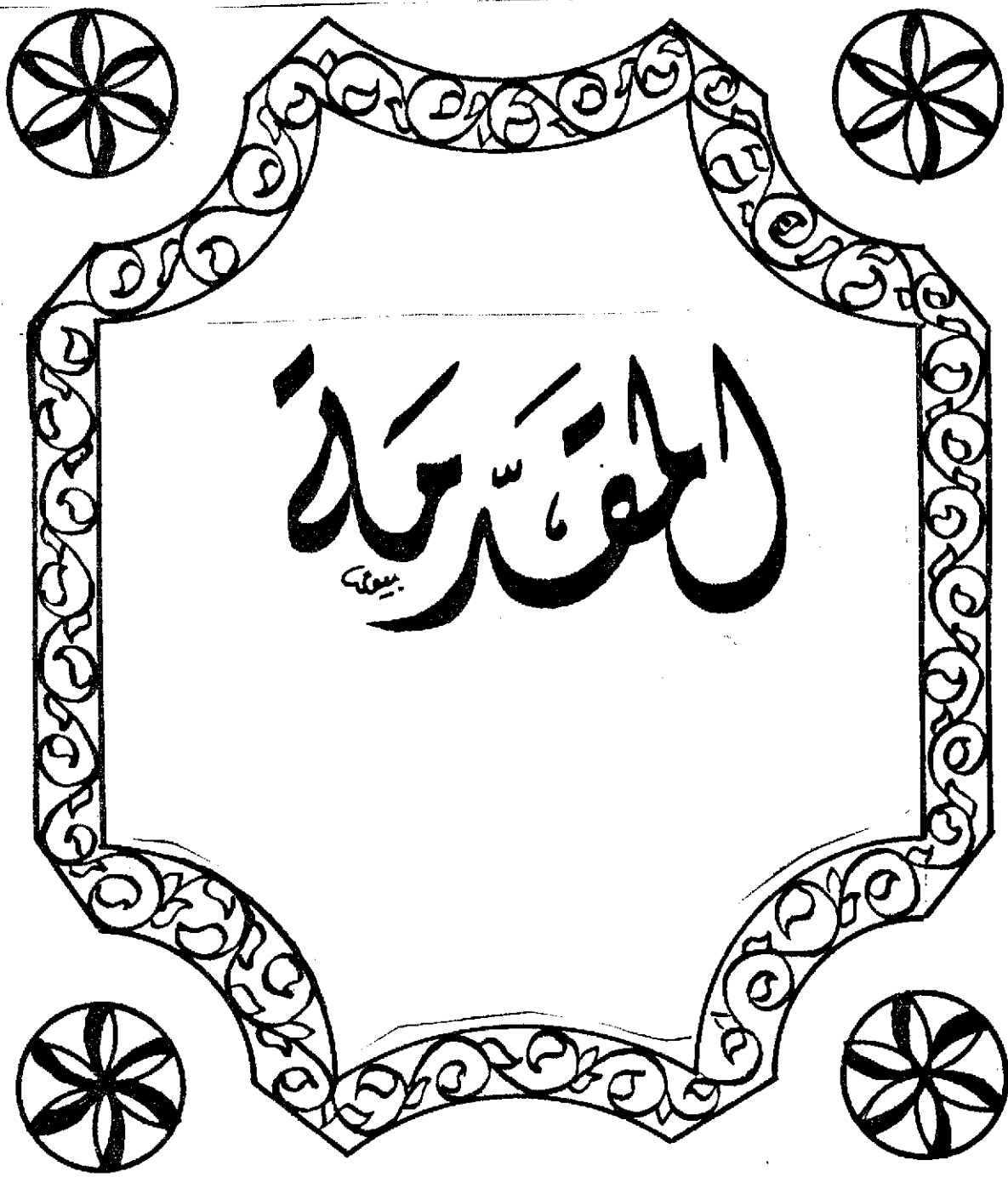
شكر وتقدير

" لا يشكر الله من لا يشكر الناس " (١)

أتقدم بوافر شكري وتقديري لكل من أمدنى يد العون والمساندة
في تذليل سبل السير في هذا البحث المتواضع وأخص بالذكر المشرف عليه
فضيلة الدكتور الأستاذ أحمد أحمد عوض الذي وجدت في طمحه ورعايته
صدره غير باهتلى طوى المضي في هذا العمل ظم يأل جهدا في التقويم
والتسديد مما كان له الأثر الطيب في استمراري طوى البحث ، والفراغ من
مناقشته في أقرب وقت مع أسداء النصح الجميل والتوجيه الحسن طيلسة
مراحل الرسالة حتى خرجت الى شيز الوجود واضحة المعالم بينة الأهداف .
كما أشكر زوجي الأستاذ / زهير بهنان طيمان الذي ساعدنى في البحث
من الكتب بارتياح المكتبات والسفر الى الخارج المطكة للحصول طوى المراجع
التي كانت غير موجودة ، كما وأتقدم بوافر شكري وتقديري الى جامعة الطنك
هدد العزيزة حيث أنني أعمل محاضرة بقسم الثقافة الاسلامية بهيها
فمنحتنى التفرغ الكلى حتى أستطيع اتمام الرسالة . وأشكر أيضا جامسة
أم القرى بمكة التي هيأت للطالبات كل طريق سهل للحصول طوى العلم
والتسلخ به . جزى الله القاصمين طوى قسم الدراسات العليا كل خير وثواب
والله حسبي ونعم الوكيل .

" الباحثة "

(١) حديث شريف صحيح أخرجه أحمد بن حنبل في كسنده ج ٢ ص ٢٥٨ ،
٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٣٨٨ ، ٤٦١ ، ٤٩٢ ، ج ٣ ص ٣٢ ، ٧٤ ، ج ٤
ص ٢٧٨ ، ج ٥ ص ٢١١ ، ٢١٢ ، وأخرجه أبو داود في سننه في
الباب الثاني عشر من كتاب الأدب ج ٤ ص ٢٥٥ الحديث رقم ٤٨١١ .



لِقَاءِ رَسِيدٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وطسب
آله وصحبه أجمعين وعد :

فقد أكرم الله تعالى البشرية ، فبعث رسوله محمد صلى الله عليه
وسلم ، وأنزل عليه الوحي ، هداية للناس وموعظة . وكان من حكمته تعالى
أن تكفل بحفظ القرآن وصيانته دون غيره من الكتب قال تعالى :
(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (١)

وقد فضل الله تعالى القرآن الكريم على سائر الكلام وجعله آخر كتبه
المنزلة المهمة على سواها قال تعالى (وأنزلنا إليك الكتاب بالحسق
مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه) (٢)

فالقرآن الكريم هو الدستور الدائم الشامل لصلاح الخلق ففيه العبادات
والأحكام والآداب والأخلاق والقصص والمواعظ . وهو المنهج الذي لا تستقيم
حياة الناس الا به .

ولقد تنزل في أمة اختلفت فيها الموازين ، واضطربت فيها القيم ، وانحرفت
فيها الأخلاق ، فلما أبقت أولوا العقول السليمة والقلوب المشرقة صدق
ما جاء في هذا الكتاب أصبح جليل عليهم وشغلهم الشاغل مدارسته وحفظه ،
والعمل بما جاء فيه ، فترقيت عليه ثبات اضطرابهم ، واستقامة اعوجاجهم ،

(١) سورة الحجر آية (٩) .

(٢) سورة المائدة آية (٤٨) .

واستنارة جهلهم وأصبحت الأمة تعرف للعلم حقه ، وتقدر المعرفة قدرها ،
وهيا الله تعالى أهل العقول الثابتة طوي مر الزمان فتوارثه الأبناء فمن
الآباء جيلا بعد جيل ، وعصرا بعد عصر ، كما نزل على الرسول طوي حبه
الصلاة والسلام دون غلغل أو زيف أو تحريف .

والقرآن الكريم بحر واسع لا يدركه كنهه إلا من هداه الله وجعل له
نورا في الأرض يمشي به ليصير الحقيقة ويرى بنور الله تعالى " ومن يؤمن
بالله يهد قلبه " (١) " واتقوا الله ويعلمكم الله " (٢) وقد أيقن أهل
البصائر من المسلمين مدى الحاجة الى فهم القرآن الكريم ، والاحاطة
بمراد الله فيه ، والكشف عن أسرار الدعوة وأساليبها غلاله فنهضوا
يتفقهون فيه ، ويكشفون عن طويته ما مكنهم الله منه ، ومن هنا نرى الدراسات
المتعددة والمتفرعة عن القرآن الكريم ، فالعلماء قد كتبوا وما زالوا يبحثون
عن أسرار العظيمة التي لا يضل من استقى منها .

ولقد اتخذت هذه العناية أشكالا مختلفة وطرقا متعددة ، فمصره
ترجع الى حفظه وتلاوته ومرة الى أسلوبه وأعجازه ، وأخرى الى كتابته
ورسمه ، ومرة أخرى الى تفسيره وشرحه واستنباط الأحكام منه .

فحاولوا أن ينهلوا من هذا الفيض الالهلي الذي لا تنتهي مجانبه ،
نراهم رض الله عنهم دونوا الكتب والموسومات في كل ما يتعلق بالقرآن
الكريم وأطلقوا عليها (علوم القرآن) . كما فكف الفقهاء طوي البحث
فيه من ناحية استخراج الأحكام الشرعية والاستدلال طويها من القرآن فان لم يكن

-
- (١) سورة التفاضين آية (١١)
 - (٢) سورة البقرة آية (٢٨٢)

فمن السنة النبوية المطهرة . وشارك أهل التفسير في التأليف والتفاسير والشروح وكتبوا في ذلك الكثير ، وأهل اللغة تناولوا الجانب اللغوي فيه ، وأقبل الهلافيون فكشفوا عن أسرار الهلافة ، وبحث النحاة في جانب النحو والحركات الاعرابية ما أدى إلى ضبط جميع حركات وسكنات حروف القرآن الكريم ، وبحث الصرفيون في تركيب الكلمات وبنيتها وضبطوها ، وبحث آخرون تاريخ اللغة وكلماتها ومواردها ووضعوا بناءً على ذلك القواعد والأصول . واهتدى الدعاة والمرشدون بالأسلوب القرآني وجدله في معالجة انحراف الأفراد وجمعوا قصصه وعرفوها واستنبطوا منها العبر والعظات ، وطماء العقيدة والكلام ؛ جعلوا من القرآن الكريم منطلقهم في معرفة العقيدة الصحيحة ، وجمع المحدثون ما يتصلق بالقرآن الكريم من أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيره .

وأقبل المؤرخون وأصحاب السير والأخبار على قصصه لينهلوا منه أحسن القصص وأصدقها وما يتصلق بالعصور الماضية والأمم الغابرة .

وبحث كل فيما ظمه الله ، وهذا ولا يزال البحث في أسراره وعجائبه متواصلاً قويا إلى يومنا هذا وإلى أن يلقي الله جميع الناس .

ونلاحظ في القصص القرآني أن أسلوبه جاء على نهج واحد في موضوعه وفي أسلوبه أدائه ، وفي مقاصده وغاياته ، هو نسيج الصدق الخالص والحقيقة المصفاة ، فلا تشبه شائبة من وهم أو خيال ، وترى فيه دائماً الحق والرشاد والهداية ، وإقامة الانسانية على الخير والعدل والحق ، والميل بها عن منازع الضلال والبوار .

ويعتبر الأسلوب القصص من أنجح الأساليب للهداية والتقويم ،

فقد روى لنا أخبار الأمم الماضية ، وقد مهأ للعقل والقلب والروح بطسرق
مشيرة لمواطن الخير فيه منفرة لنوازع الشر .

ولاشك أن القصة رفيقة الانسان منذ آدم طميه السلام ، نشأت معبرة
عن الآله وأعلامه ، غضبه وفرحه ، محللة للنفس الانسانية بما لها من
أبعاد متشعبة وكثيرة من حب وفض ، وقوة وضعف ، من خيرة واهتداء ،
وتفاوت وتشاؤم ، وتصور لطبيعة الحياة بكل أبعادها ، فلا يفلس
ما للقصة من تأثير .

ولقد كانت القصة ولا تزال هو المدخل الطبيعي لأصحاب الرسالات
والدعوات ، والقادة والهداة ، الى عقول الناس وقلوبهم . ولا شك أن
العادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو اليها السمع ويشتاق فإذ اتخللتها
مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفة أقبسوى
العوامل طوى رسوخ عبرتها في النفس . وما أحوج البشرية اليوم الى أن
تتمعن قصص القرآن . وتمثله واقعا وسلوكا ، وعملا وأخلاقا ، وأن تعايش
أنبياء الله في رحلتهم الطويلة مع أقوامهم كي تأخذ عنهم العبرة والعظة
فهى ركيزة قوية من ركائز الدعوة الاسلامية الهادية الى الحق والرشاد بما
تدعوا اليه من الايمان بالله ، ورسله ، وكتبه ، واليوم الاخر ، وما تحويه
من قيم ومثل ، ومبادئ وأخلاق من خلال قصصها .

ان دراسات العلماء في القصة القرآنية جاءت ثرية بصور متعددة ومتنوعة
مما أثار اعجابي بها . الأمر الذي دفعني الى قراءتها قراءة تحليلية
ومركزة .

وقد رأيت بعد طول تفحص أن أدلوى بدلوى في هذا الميدان صانسي
به أن أنال شرف صحبة هؤلاء العلماء الأجلاء في القديم والحديث .

ولذا اخترت موضوعي بعنوان " القصة في القرآن الكريم "

ان المؤلفات في القصة القرآنية أخذت اتجاهات كثيرة فمنها مؤلفات
قصد منها كاتبها التبسيط والتفصيل سواء كانت في ثنايا التفسير أو في
كتاب مفرد .

وفي هذه الطريقة : يقصد الكاتب الى تفصيل ظروف القصة وجزئياتها وكل
ما يتصل بها من أحداث ومواقف وتحديد الزمان والمكان والأشخاص .
وكثير من كتب في ذلك اللون كان جل همه هو الاستقصاء والاحاطة بكسل
صغيرة وكبيرة . دون أن يدقق ويتضمن ويتأنى فيما يروي من هذه الأخبار .

١ - ومن كتب التفسير التي اتبعت هذه الطريقة :

- جامع البيان في تفسير القرآن : لمحمد بن جرير الطبري ؛

٢ هـ ومن كتب التاريخ :

- الكامل في التاريخ : لأبي الحسن علي الشيباني المعروف بابن الاثير .

٣ - ومن الكتب المفردة :

- عرائس المجالس في قصص الأنبياء : لأبي اسحاق بن محمد النيسابوري .

- قصص الأنبياء : لمحمد بن عبد الله الكسائي .

٤ - ومن الكتب كتب اتبعت طريقة التحليل في حدود النص القرآني :

وذلك ببيان ما في القصة من مواضع وعبر ، ورد الشبهات الموجودة ، وبيان
مجال أسلوبها البياني ، ويعتمد هؤلاء في منهجهم على الاستدلال فليس
بالقرآن أو بالسنة وتمتاز الكتب والتفاسير الحديثة بعرض القصة بطريقة

شيقة وأسلوب رفيع .

ومن كتب التفسير القديمة والحديثة التي اتبعت هذه الطريقة :

- تفسير القرآن العظيم : لاسماعيل بن كثير .

- مفاتيح الضيبي : لمحمد فخر الدين الرازي .

- في ظلال القرآن : لسيد قطب .
- تفسير المناد : لمحمد عبده .
- تفسير القرطبي : لأبي عبد الله بن أحمد القرطبي .
- ومن كتب التاريخ القديمة والحديثة :
- كتاب البداية والنهاية : لأبي الفداء إسماعيل بن كثير وهو يشتمل على قسم لقصص الأنبياء .
- قصص القرآن : لمحمد جاد المولى وزملاؤه .
- قصص الأنبياء : لعبد الوهاب النجار .
- ومن الكتب الحديثة لموضوع واحد :
- دعوة الرسل إلى الله تعالى : لمحمد أحمد المدوني .
- وفيه بين مجيء كل رسول إلى قومه وما دار بين كل رسول وقومه من جدال .
- ومن الكتب كتب اتبعت الطريقة المبسطة السهلة .
- وهي تقوم بعرض القصة في أسلوب سهل بسيط لا يحتاج إلى جهد في الفهم ومنها :
- سلسلة من القصص القرآني : لسيد قطب ، وعبد الحميد جودة السحار؛ اشتملت على ثمانية عشر جزءاً انفرد كل جزء منها بقصة .
- مجموعة قصص الأنبياء : بإشراف محمد أحمد برانق وتحتوى على عشرين جزءاً انفرد كل جزء منها بقصة .
- ومن الكتب كتب اتبعت طريقة البحث والدراسة للقصص القرآني :
- وذلك يكون بإبراز خصائصه وتحليل منهجه والرد عما أشير فيه من شبهة وقضايا تتعلق بالقصص ومنها :

- الفن القصصى فى القرآن الكريم : لمحمد أحمد خلف الله . وهى

رسالة جامعية قدمها صاحبها سنة ١٩٢٧ م .

ولقد سلك فيها منهج الدراسة البيانية أو مدرسة الأمان . فجعل
الفن الأدبى فى القصة القرآنية أساسا لدراسته ، فقال بأن القرآن لا يلتزم
بالحقيقة التاريخية إذ هو يلفى المقومات التاريخية فى تصويره للحادثة
ويعرضه على وجه الفن الذى يراه . ولقد وضع أن هذه الدراسة تنتهى
الى هدفين :

أولهما : (درس أدبى وبلاغى فنى للقصة القرآنية ، وهو درس يكشف عن
بعض أسرار الإعجاز لأنه يبين لنا مذهب القرآن الكريم فى بناء القصة ،
فيبين الألوان القصصية من تاريخية وتمثيلية وأسطورية ، وكيف كان التوزيع
للعناصر يتبع الظروف والمناسبات ، ويتأثر الى حد كبير بالدعوة الإسلامية
فى تدويرها وترقيتها . ثم يبين مذهب القرآن الكريم فى رسم الأشخاص
وتصوير الأحداث وإقامة الحوار ، وكيف كان يجعل العنصر الواحد من
الأحداث والأشخاص محورا تدور حوله أكثر من قصة (١)

أما الهدف الثانى : (فقد كان بالانتهاج من هذا الدرس الى قاعدة
أونظرية تفسر لنا مواقف الكفرة والمشركين من القصص القرآنى ، وتحمل
لنا هذه المشكلات الكثيرة التى وقف عندها المفسرون ، ثم تعمل نفسى
النهائية الى رد جميع الاعتراضات التى يتقدم بها المشتشرقون والمبشرون) (٢)

وهذا الكتاب طيه ماخذ جوهرية سوف نتناولها بالمناقشة أثناء البحث .

(١) الفن القصصى ص ٣٣٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٣٨ .

• القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ؛ لعبد الكريم الخطيب .
وفي هذا الكتاب تحدث المؤلف عن نشأة القصة من مبتدأ حياة الانسانية
وتكلم عن أسلوب القرآن بأنه نسيج من الصدق الخالص ، ولا تشبهه شائبة
من وهم أو خيال . (١)

أما منهجه في بحثه هذا ؛ فكان يلتزم فيه بالنص القرآني ومدلول
اللغة له وقد نموذجها في قصة آدم عليه السلام .

• سيكولوجية القصة ؛ للدكتور التهامي نقرة .

وفيهِ تحدث المؤلف عن القصة القرآنية ومصدرها ومنهج القطب .

للقرآني وأنواع القصص القرآني وتعرض لنقد منازع المفسرين وحلل القصة القرآنية
ووضح عناصر القصة القرآنية وعوامل التأثير في قصص القرآن ووضح جوانب
كثيرة في قصة يوسف ثم جعل فصلاً خاصاً للجانب التربوي في قصص القرآن ،
كل ذلك ضمن أبواب وفصول حسب متطلبات البحث بعضها نظري وبعضها
تحليلي .

ولقد اتبع منهجاً معيناً في بحثه ؛ يتمثل في محاولة استخدام بعض
القواعد والأصول المقررة عند علماء النفس والتربية والاجتماع ، وفي استعمال
المنهج التحليلي الى جانب البحث النظري كوسيلة لدراسة القصة القرآنية ،
وربط الجانب الفني فيها بالجانب النفسي لأنهما يلتقيان في الهدف (٢) .

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ص ٩ .

(٢) سيكولوجية القصة ص ٢٣ .

ومن الفصول والمقالات :-

- فصل القصة في القرآن : وهو موجود في كتاب (التصوير الفني فنى

القرآن) لسيد قطب .

وفيه بين خضوع القصة في عناصرها لأحد الأفراس الدينية التي جمعها

في عشرة أفراس ، وبين بعض هذه الأفراس كتكرار القصة والواحدة في مواضع

شتى ثم أتبعها بخصائص القصة ، : وهي تنوع طريقة العرض ، والمفاجأة ،

والفجوات بين المشهد والمشهد ، وتصوير المشاهد ، ورسم الشخصيات .

- فصل في كتاب المعجزة الكبرى : لأبوزهرة .

ولقد بين في فصل من فصول كتابه : أوجه البلاغة فيما تكرر من قصص

القرآن . وعرض المؤلف لبعض الشبهات وردّها .

- فصل في كتاب منهج التربية الإسلامية : لسعد قطب .

وفيه وضع وسائل التربية بالقصص القرآني .

وكم أنا سعيدة حيث وفقني الله الى اختيار موضوع " القصة في القرآن " فقد لمست أولى ثمراته وهو الرجوع الى كتاب الله تعالى الذي نتمسك بتلاوته وحفظه . وها هو قصصه الذي هو موضوع بحثنا هذا يعود بنا مقلات السنين ليحدثنا عن الماضين ليوقظ القلوب النائمة ويستنهض الهمم الراقدة ، لتستجلي العظة وتأخذ العبرة وتستفيد الحكمة . فلنا بالصالحين أسوة ، ولنا بالزائفين عبرة " لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب " (١)

١ - ولقد عرضت على أن أسهم بواجب في تلك الدراسة القرآنية الكريمة حرصاً مني على الاتصال بالقرآن الكريم .

٢ - وقصدت من هذا البحث المزيد من التعرف والاطلاع على جوانب مهمة من المكتبات الاسلامية الزاخرة بالكتب القديمة والحديثة وشرورة طمأننا الأجيال فيها .

٣ - ورجوت منه وضع لبنة صالحة في صن المكتبة الاسلامية الشامخ بتقديم هذا البحث المتواضع لتنتفع به الأجيال المتعاقبة .

وقد صادفت بعض العقبات خلال دراسة البحث ومنها :

- صعوبة الحصول على بعض المراجع وخاصة من المكتبات التي لا تسمح باعارة الكتاب . فكنت أحاول أن أصور ما قدرت عليه لكي أتغلب على هذه العقبة .

- أيضاً صعوبة الحصول على بعض المراجع الأخرى حيث أن بعضها لا يوجد الا في نطاق حدود المملكة .

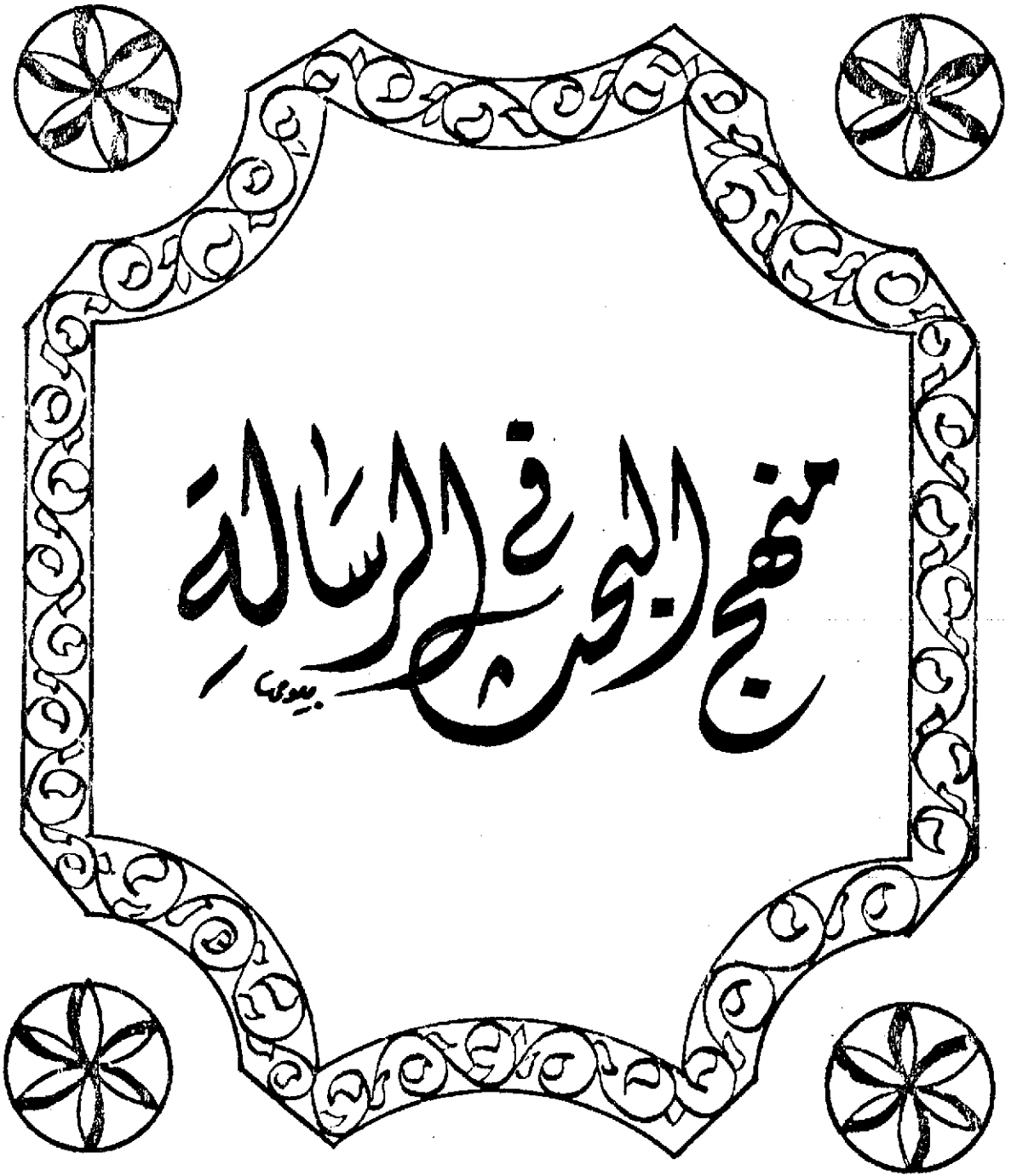
(١) سورة يوسف آية (١١١) .

- أيضا كان هناك الكثير من الصعوبات التي حاولت بعون الله تعالى أن أتغلب عليها من خلال ذلك البحث .

- ففي بداية الرسالة لم أمتنع التفرغ الكامل قرابة عام فكنت أجد صعوبة في التوفيق بين الدراسة والعمل ومسؤولياتي الأخرى فكان يتطلب ذلك مجهودا جديدا . ولكني بعون الله كنت أحاول ما استطعت التوفيق بين تلك المسؤوليات جميعا .

- أيضا كنت أجد صعوبة في أن أذهب إلى المكتبات وأطلع على المراجع فكان ذلك يحز في نفسي ، ولكنني كنت أقوم باستعارة أكبر عدد ممكن إلى المنزل للاطلاع عليها كلما أمكن ذلك .

- ومن هذه العقبات أيضا أن مكان إقامتي بجدّة ومكان دراستي بمكة فكنت أحاول دائما المواظبة على الحضور للمقرر ما استطعت ذلك وأحمد الله تعالى بأن منحني الصحة والمافية ، حتى أنههيت هذا المشوار الشيق في ظلال القرآن الكريم . نفعنا الله به وجعله لنا نورا في الدنيا والآخرة .



منهج الجور في الصلاة
بيوت

• منهج البحث في الرسالة •

كان القرآن الكريم هو وحده مصدر الاشعاع لهذا البحث ، وكان وقوفنا بين يدي آياته وكلماته ، في عادة خاشعة ضاربة ، هو الذي فتح لنا وجوها من النظر في كتاب الله تعالى .

- ١ - ولقد سلكت في هذه الرسالة البحث العلمي الموضوعي .
- ٢ - فلقد حرصت أن ألم بشقات البحث متمشية مع العناصر الموضوعية لذلك . فيما وجدت في بطون الكتب ، وذلك ما استطعت .
- ٣ - أيضا كان المنهج الذي سلكته في هذا البحث ودراسة جوانبه هو تتبع نصوصه وجمعها ثم وضعها وشرحها شرحا تحليليا ، وذلك أسير على هذاها دون تأويل ولا تحميل لها أكثر مما يحتمل .
- ٤ - ثم مقارنة هذه النصوص بما جاء في السنة وأقوال السلف الصالح والعلماء والفسرين .
- ٥ - تقسيم هذه النصوص وفق خطة البحث لتكشف منها العناصر والموضوع والأهداف .
- ٦ - عرض تحليل للموضوع نستخلص ما استنتج من ذلك .
- ٧ - تتبع المؤلفات المتعددة القديمة منها والحديثة حول القصة القرآنية للرد على بعض أخطائها واعتماد ما هو صواب فيها .
- ٨ - محاولة إبراز ربط القصة القرآنية بحركة الدعوة الإسلامية فالقرآن سيقود دستور الدعوة وكتابتها الذي لا أمل لها في سواء ، ولا تأصيل لمحركتها إلا به .

والبحث في القصة القرآنية يقتضى أن أعرّف بها وأن أبين خصائصها
وهناصرها وموضوعها وهدفها وعوامل التأثير فيها . وما الى ذلك من عناصر
توضّح لنا البحث وتجليه وفق خطة نسق على هديها ونتبع عناصرها ،
ان موضوع البحث يدفع العقل الى أن يكشف معنى القصة وسيراتها ،
كما يجعل التساؤل ضرورياً عن موضوع القصة وأهدافها ، وقد حاولت أن
أصل الى هذه القضايا ، حيث صاخبت البحث في القصص القرآني أكثر من
ثلاث سنوات عايشة فيها أنبياء الله تعالى الى أقوامهم وعرفت من خلاله
الكثير الذي لم أكن أعرّفه من قبل .

ولقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وسبعة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة فهي في أسباب اختيار الموضوع .

وأهميته ومنهج دراسته ومصطلحاته الرئيسية .

وأما التمهيد فهو في تعريف القصة لغة واصطلاحاً مع بيان المشروط
بها وبين غيرها من فنون القول .

وجاء في الباب الأول :

في عناصر القصة القرآنية حيث اشتمل على

عدد من الفصول كل فصل يمثل خاصية منها .

وجاء الباب الثاني في تكرر القصة القرآنية وقد اشتمل على فصول هي :

الفصل الأول :

أنواع التكرار في قصص القرآن .

الفصل الثاني :

حاجة البشر الى التكرار .

الفصل الثالث :

بلافة التكرار .

الفصل الرابع :

دفع شبه عن التكرار .

وجاء الباب الثالث في أنواع القصة :

واشتمل على فصلين حيث الفصل الأول في القصة الطويلة المجزأة .

والفصل الثاني في القصة المتكاملة الطويلة .

ثم ذكرت أنواع القصة كما جاء في القرآن الكريم ويشمل القصص

الطويلة - تعريفها ومثال طيها ، والقصة القصيرة - تعريفها ومثال

طيها .

كما جاء الباب الرابع في عناصر القصة الطيور وقد اشتمل على الفصول

التالية :

الفصل الأول : في الشخصية وفيه تحدث عن المفهوم العام للشخصية

وقد تكلمت عنها من عدة زوايا وعدة تقسيمات ؛ كالشخصية البشرية

وتشمل شخصية الأنبياء والصالحين . والأشخاص العاديين من رجال

ونساء وجماعات وجماهير ، ثم الشخصية الخيرية بشرية وتشمل شخصية

الملائكة وشخصية الجن وشخصية الملعون وشخصية الطيور والمهدد

والنمل . وبينت ارتباط الشخصية بالهدف .

الفصل الثاني : في الحادثة :

وتكلمت فيه عن أهميتها ودورها في القصة ؛

الفصل الثالث : في الحوار :

وفيه تكلمت عن الحوار وذكرت أهميته ومكانته في القصص القرآنية

وارتباط الحوار بالمقصود من القصة وكيف أن الحوار له دلالات نفسية

وعقلية وجمالية .

الفصل الرابع : في الزمان والحكان :

وفيه تكلمت عن الزمان ومكانته في بناء القصص القرآني ثم المكان ومكانته وأهميته في القصص القرآني .

الفصل الخامس : في الأسلوب :

وفيه بينت اشتماله على الفصاحة - البيان - الهدى وعرفنا كلا منهم ووضحناه . ثم تعرضت لبلاغة الأسلوب في القصص القرآني وبينت كيف أن القصص القرآني بليغ ومعجز لا يضاھيه أسلوب بشر وهو من أرقى الأساليب وأبلغها على الإطلاق .

ثم ذكرت أنواع القصة كما جاء في القرآن الكريم ويشمل القصة الطويلة -

تعريفها // ومثال طيها . والقصة القصيرة - تعريفها ومثال طيها .

الباب السادس :

وفيه تكلمت عن الأهداف الرئيسية للقصة القرآنية .

وقد جاء مشتملا على ثلاثة فصول هي :

الفصل الأول :

ومنها دعوة الناس إلى الإسلام وهو يشتمل على المعنى

المراد من الدعوة هيان جوانب عملية الدعوة ثم مراعاة طبيعة الانسان

وأمثلة للمخاطبة النفسية وطبيعة الانسان . وتحدثت عن امداد الدعوة

بالمنهج المؤثر الملائم لطبيعة الناس وأمثلة عليه .

الفصل الثاني :

تسليم الرسول صلى الله عليه وسلم :

في مكة وبلية الحكمة من تكرار التسليم .

الفصل الثالث :

وفيه وضحت ترابط الدعوات الالهية وبينت مفهوم الدعوة

الباب السابع :

وفيه عوامل التأثير بالقصة القرآنية ويشتمل على فصلين هما :

الفصل الأول :

تكلمت فيه عن طبيعة التكوين البشرى وبيان أنه يشمل النفس والقلب والروح - ثم تحدثت عن مدى تأثير الانسان بالعوامل الخارجية الموجبة .

الفصل الثاني :

وفيه افتحاح العقل ثم مخاطبة الوجدان ويليهِ تحدثت عن ارضاء المواطنين والد واقع .

وأخيرا :

فكما عشنا مع قصص القرآن الكريم - وحيث رأينا هذه المعظمة في حياة رسل الله وأنبيائه الى خلقه وحيث شاهدنا نماذج متمردة من الأشخاص في قصص القرآن الكريم ، نرى أن القصة في القرآن تساق من أجل الهدف الدينى وأن القصص القرآنى قد سبق للمعظة والعبرة بالسابقين والتوجيه والتربية وهى مع ذلك فيها الفن والجمال والاعجاز . وأنه يجب أن يعلم القارىء والمستمع أن القصص القرآنى هو منهج كامل يصلح لكل أمة ولكل عصر . . . فالقصص القرآنى معنى

واسع شامل . . وأنه يهدف الى توجيه الانسان ، من حيث تصويره
لجميع النماذج البشرية في شتى انفعالاتها وتقلباتها ومعالجتها
بما يتناسب ويتوافق مع طبيعتها كما مر بنا خلال البحث .

وما أرجوه من كتاب القصة سواء القصة القرآنية أو القصة في
الأدب العربي أن يحاولوا الاستفادة من القصص القرآني من حيث
توجيهات القرآن الموضوعية والفنية حتى ننهل بالقصص وذلك بتدعيمه
وتقويمه بالأسس المستقاه من قصص القرآن الكريم .

هذا وانى قد بذلت وسمو في البحث وأملو أن أصل فيه
الى ما رجوت . وأسأل الله تعالى أن ينفعني به ، ويفقرلى .
ويسترعنى . انه نعم المولى ونعم النصير .

التعريف

- ١- تعريف القصة لغة واصطلاحًا
- ٢- لفرق بين القصة وبين غيرها من فنون القول
- ٣- تكاملها من الناحية الفنية



تعريف القصة

تعريف القصة

تعد اللغة في الأمم دليل حيويتها وحركتها فبها يتم التفاهم وتعرف المعاني ، وهي أساس لكل مصطلح علمي تستحدثه الأمة أو تؤمن به وإذا كان لزاما حين تعريف القصة أن نحيط بفاهيمها اللغوية أولا فهي مدخل الى معناها الاصطلاحى الذى يحدد المقصود بصورة جامعة مانعة . .

التعريف اللغوى :

أشار ابن منظور فى لسان العرب بأن القصة فعل القاص اذا قص القصص . ويقال فى رأسه قصة يعنى الجملة من الكلام ونحوه وقوله تعالى " نحن نقص عليك أحسن القصص " (١) أى نبين لك أحسن البيان .

والقاص الذى يأتى بالقصة ، من قصتها ، ويقال قصصت الشئ اذا تتبعته أثره شيئا بعد شئ ، ومنه قوله تعالى " وقالت لأخته قصصه " (٢) أى اتبعت أثره والجمع من قصة قصص وقصاص .

والقصة الخبر . وهو القصص وقص على غيره يقصه قصصا . أورده القصص الخبر المقصود بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه . والقصص بكسر القاف جمع القصة التى تكتب .

(١) سورة يوسف آية (٣) .

(٢) سورة القصص آية (١١) .

وتقصص الخبر تتبعه . (١)

والقصة بمعنى الحديث ، وقصصت الحديث رويته على وجهه وقسمت
عليه الخبر قصصاً (٢) ، وفي حديث الروميا عن وكيع بن عدس عن عمه
أبي رزين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الروميا على
طائر مالم تعبر فاذا عبرت رفعت " قال : " والروميا جزء من ستة وأربعين
جزءاً من النبوة قال : وأحسبه قال : لا يقصها الا على واد أو ذى رأي (٣)
أى لا يحدث بها .

(والقاص الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها
وألفاظها ، وفي الحديث لا يقص الا أمير أو مأموراً أو مختال . أى لا ينبغى
ذلك الا لأمر يعضد الناس ويخبرهم بما مضى ليعتبروا ، وأما مأمور بذلك
فيكون حكمه حكم الأمير . ولا يقص مكتسباً أو يكون القاص مختالاً لا يفعل
ذلك تكبراً على الناس بقوله وعمله لا يكون موعظة وكلامه حقيقة . وقيل أرا د
الخطبة لأن الأفراد كانوا يلونها في الأول ويعظون الناس فيها ويقصون
عليهم أخبار الأمم السابقة . وفي الحديث القاص ينتظر المقتل لما يصرف
في قصصه من الزيادة والنقصان ومنه الحديث أن بنى اسرائيل لما قصوا
هلكوا وفي رواية لما هلكوا قصوا أو العكس لما هلكوا بترك العمل أخذوا

(١) ، (٢) لسان العرب ج ٨ ص ٣٤١ - ٣٤٢ فصل القاف حرف الصاد

طبعة مصورة من طبعة بولاق - ٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ الدار المصرية

للتأليف والترجمة .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ج ٤ ص ٣٠٥ / دار احياء

السنة النبوية ، وأخرجه أحمد بن حنبل في المسند ج ٤ ص ١٠ /

المكتب الاسلامى للطباعة والنشر ، دار صادر للطباعة والنشر .

الى القصص وقص آثارهم يقصها قصا وتقصصها وقصصا تتبعها بالليل (١)
والقصة القطنة أو الخرقة البيضاء والتي تحتشى بها المرأة عند
الحيض وفي حديث الحائض لا تفتسلين حتى ترين القصة البيضاء يعنى
بها ما تقدم . أو حتى تخرج القطنة أو الخرقة التي تحتشى بها المرأة
الحائض كأنها قصة بيضاء لا يخالطها صفرة ولا تربة وقيل ان القصة
كالخيط الأبيض تخرج بعد انقطاع الدم كله . وأما التربة فهو الخفى وهو
أقل من الصفرة والكدره تراها المرأة بعد الاغتسال من الحيض ، فأما
ان كان من أيام الحيض فهو حيض وليس بتربة ووزنها تفعلة (٢) وإيرادها
هنا يفيد أن القصة تعنى فى اللغة رواية الحديث جزءا جزءا وهو لون
من ألوان البيان .

ويقال اقتصت الحديث رويته على وجهه ، وقص عليه الخبر قصصا ،
وتجىء القصة بمعنى الاخبار فيقال قصصت الرويا على فلان اذا أخبرته
بها أقصها قصا .

والقص هو التبع ، فقص آثارهم يقصها قصا وقصصا .

وتقصصها تتبعها بالليل وقيل هو تتبع الأثر أى وقت كان (٣) قال اللهم
تعالى " فارتدا على آثارهما قصصا " (٤) أى رجعا من الطريق الذى
سلكاه يقصان الأثر أى يتبعانه ، وقال أمية بن أبى الصلت :
وقالت لأخته قصيه عن جنب

وكيف يقفوا بلا سهل ولا جدد

-
- (١) لسان العرب ج ٨ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .
 - (٢) لسان العرب ج ٨ ص ٣٤٥ .
 - (٣) نفس المصدر ج ٨ ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .
 - (٤) سورة الكهف آية (٦٤) .

قال الأزهري : القس اتباع الأثر ، ويقال : خرج فلان قصصا في اثر
فلان وقصا وذلك اذا اقتص أثره .

وقيل القاص يقص القصص لا تبعه خيرا بعد خبر وسوقه الكلام سوفا . (١)

وعلى هذا فان ابن منظور يثبت ان القصة لفظة تعنى : البيان
وتتبع الأثر والعبر والحديث والرواية . وكلها معان متقاربة كما هو
واضح .

أما صاحب القاموس المحيط : فقد قال مانحه : " قص أثره قصا
وقصصا تتبعه ، قال الله تعالى (فارتدا على آثارهما قصصا) (٢)
أى رجعا من الطريق الذى سلكاه بقصان الأثر ، (نحن نقص عليك
أحسن القصص) (٣) أى نبين لك أحسن البيان . والقاص من يأتى بالقصة (٤)
وهو بهذا يماثل بعض ما جاء فى لسان العرب .

وجاء فى تاج المروس : (قص أثره) يقصه (قصا وقصصا) ،
هكذا فى التسمع وصوابه قصصا كما فى اللسان والصاح (تتبعه) .
وفى التهذيب : القس اتباع الأثر ويقال خرج فلان قصصا فى أثر
فلان وقصا وذلك اذا اقتص أثره .

وفى قوله تعالى (قالت لأخته قصيه) أى تتبعى أثره ، وقيل الفعل
تتبع الأثر شيئا بعد شيء . ومنهم من خص فى القس تتبع الأثر بالليل ،
والصحيح فى أى وقت كان .

وقص عليه (الخبر) قصصا (أعلمه) به وأخبره . ومنه قص الروميا يقال
قصصت الروميا أقصها قصا ، وقوله تعالى فارتدا على آثارهما قصصا :

(١) لسان العرب ج ٨ ص ٣٤٥ .

(٢) سورة الكهف آية (٦٤) .

(٣) سورة يوسف آية (٣) .

(٤) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ الطبعة الثانية ١٣٧١ - ١٩٥٢ م

أى رجما من الطريق الذى سلكاه يقصان الأثر ، أى يتتبعانه ، وقوله تعالى " نحن نقص عليك أحسن القصص " (١) أى نبين لك أحسن البيان .

وقال بعضهم : القصص البيان ، والقصص الاسم زاد الجوهري وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه (والقاص من يأتى بالقصة ، على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها ومنه الحديث الموضوع (القاص ينتظر المقت والمتسمع اليه ينتظر الرحمة وكأنه لما ينتعز في قصصه الزيادة والنقصان .

وفى حديث آخر " ان بنى اسرائيل لما قصوا هلكتوا " أى اتكلوا على القول وتركوا العمل فكان ذلك سبب هلاكهم أو العكس لما هلكتوا بترك العمل أخذوا الى القصص . وقيل القاص يقص القص لا تباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوفا .

وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنساء : لا تفتسلن من المحيض حتى ترين القصة البيضاء (أى حتى (ترين) القلنة أو (الخرقه) بيضاء كالقصة ، أى كأنها قصة لا يخالطها صفرة ولا ترينة كما ذكره الجوهري وزاد الصاغاني ، وقيل هى شىء كالخيط الأبيض يخرج بعد انقطاع الدم ، ووجه ثالث وهو أن يريد انتشاء اللون وأن لا يبقى منه أثر البتة فضربت رومية القصة لذلك مثلا لأن رأى القصة البيضاء غير رأى شيئا من سائر الألوان . (٢)

(١) سورة يوسف آية (٣) .

(٢) ج ٤ ص ٤٢٤ - ٤٢٥ - تاج العروس من جواهر القاموس - للإمام محب الدين السيوطى الزبيدى الحنفى - المطبعة الأهلية ١٢٨٦ هـ .

والقص والقصى المصدر من كل شيء ، والقصة بالكسر الأمر والحديث

(١)

والخبر كالقصص بالفتح والاقاصيص جمع الجمع .

(واقتص أثره قصة كتقصصه) واقتص منه - أخذ منه القصص ، ويقال اقتصه

الإمير أى أقاده واقتص الحديث رواه على وجهه كأنه تتبع أثره فأورده على

قصة ، وتقاص القوم كقاص كل واحد منهم صاحبه فى حساب أو غيره
ونلاحظ أن صاحب التاج يشير إلى أن المعنى (٢) اللغوى للقصة

د

هو تتبع الأثر والأخبار والاعلام والبيان ، وسوق الخبر جزءاً جزءاً بعد

آخر والأمر والحديث وهنئى ممان أوسع مما أورد لسان العرب ، وهى

كذلك متقاربة وغير متعارضة .

(٣)

وذكر الزاغب فى مفرداته عند الكلام عن مادة (قصص) :

القص : تتبع الأثر ، يقال قصصت أثره ، والقصص الأثر ، قال " فارتدا

على آثارهما قصصا " (٤) " وقالت لأخته قصيه " (٥) ومنه قيل لما يبقى

من الكلام فتتبع أثره قصصا ، والقصص الأخبار المتتبعة ، قال : " لهو

القصص الحق " (٦) ، " فى قصصهم عبرة " (٧) ، " وقص عليه القصص " (٨)

" نقص عليك أحسن القصص " (٩) ، " فلنقص عليهم بعلم " (١٠) ، (يقص

على بنى اسرائيل " (١١)

(١) نفس المصدر ج ٤ ص ٤٢٥ .

(٢) نفس المصدر ج ٤ ص ٤٢٦ .

(٤) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٠٤ .

(٤) سورة الكهف آية (٦٤) .

(٥) سورة القصص آية (١١) .

(٦) سورة آل عمران آية (٦٢) .

(٧) سورة يوسف آية (١١١) .

(٨) سورة القصص آية (٢٥) .

(٩) سورة يوسف آية (٣) .

(١٠) سورة الأعراف آية (١٧٦) .

(١١) سورة النمل آية (٧٦) .

وقد أشار الفخر الرازي الى نحو هذه المعاني للقصة فذكر أنها
 (يقال : خرج فلان قصصا في أثر فلان ، وقصا ، وذلك اذا اقتصر
 أثره ، ومنه قوله تعالى " وقالت لأخته قصيه " (١)
 وقيل للقاص انه قاص لا تباعه خبرا بعد خبره ، وسوقه الكلام سوقا فمعنى
 القصص : الخبر المشتغل على معاني متتابعة (٢)
 أما صاحب مختار الصحاح : فقد أشار الى معنى القصة فقال :
 " اقتض أثره ، وتقص أثره ، والقصة الأمر والحديث ، وقد اقتضت الحديث
 ورويته على وجهه " (٣)
 ومعناها هنا المتابعة التي لا تكون الا عن طريق البيان وسرد الأحداث
 بصدق .
 ويؤيد ذلك أن تقول أيضا : " قص الشيء قطعة من باب رد فالقص
 هو القطع ، فأنت حينها تقص الحديث ، تقطع بصحته ، ولا تزيد فيه
 ولا تنقص " (٤)
 وعلى الجملة :

فإن معنى القصة لغة يدور على المعاني الثلاثة :
 البيان ، تتبع الأثر ، الخبر ، الحديث ، الاعلام ، والرواية .

- (١) سورة القصص آية (١١)
 (٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٨ ص ٨٤ ، الناشر دار الكتب
 العلمية طهران الطبعة الثانية .
 (٣) مختار الصحاح ج ٣ ص ١٠٥١ - الطبعة الأميركية الثانية :
 ١٢٥٤ هـ - ١٩٣٧ م .
 (٤) نفس المصدر ص ٥٣٨ .

نستنبط من هذه المعانى اللغوية للقصة عدة أمور :

- أن القصص يفيد المتابعة ، ولقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى فى قوله تعالى " فارتدا على آثارهما قصصا " (١) ، "وقالت لأخته قصيه " (٢) فيفيد ذلك المتابعة سواء كانت جزءا جزئيا أو موضوعا موضوعا بأى كيفية أو فى أى وقت .

- أن هذه المتابعة المشار إليها سابقا - لا تكون الا عن طريق البيان ، فسرد الأحداث ، والمتابعة بالبيان تعنى أن المتابعة بالصورة أو بالحركة أو بالتمثيل لا تكون قصة بل لا بد للقصة من البيان اللفوى الذى يكون به القصص حسنا جميلا .

- أن المتابعة وسرد القصة بيانيا يعتمد على الصدق والأمانة ومنه قول الجوهري : ج القصة هى الأمر ولو الحديث ، وقد اقتضت الحديث رويته على وجهه . (٣)

- أن هذه المعانى اللغوية السابقة يستنبط منها أن الاسم من القى وضع موضع المصدر ، وجمعتها قصر بالكسر . ويرى الراغب الأصفهاني : أن القى هو الأثر نفسه مستدلا بآى القرآن الكريم وبأقوال العرب ، (٤)

(١) سورة الكهف آية (٦٤) (٢) سورة القصص آية (١١)
(٣) مختار الصحاح ج ٣ ص ١٠٥١
(٤) المفردات ص ٤٠٤ .

وجاء المعنى اللغوي للقصة في القرآن الكريم في قوله تعالى " وقلنا لا تأخذوا من قبضته قبضة إلا التي يأمركم ، وفي قوله تعالى " فارتدا على آثارهما قصصا " (٢) أي اقتصاصا وتتبعاً للأثر .

ولقد ذكرت كلمة " قصة " ومشتقاتها في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة ، في مجملها تشيد رواية ما حدث للأقوام السابقين مع رسلهم وما جرى بينهم ،

ومع علماء التفسير نرى أن الفخر الرازي يشير إلى القصة حين يفسر قوله تعالى " نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين " (٣) فيقول : القصص اتباع الأثر بعضه بعضاً وقوله " فارتدا على آثارهما قصصا " (٤) أي اتباعاً ، وإنما سميت الحكاية قصصاً لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً كما يقال تلا القرآن إذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية والقصص في هذه الآية يحتمل أن يكون مصدراً بمعنى الاقتصاص يقال قص الحديث يقصه قصصاً وقصاً إذا طرده وساقه ، كما يقال أرسله يرسله إرسالاً ويجوز أن تكون من باب تسمية المفعول كقولك هذا قدر الله تعالى أي مقدوره وهذا الكتاب علم فلان أي معلومه وهذا رجائنا أي مرجونا فان حملناه على المصدر كان المعنى نقص عليك أحسن الاقتصاص ، وعلى هذا التقدير فالحسن يعود إلى حسن البيان لا إلى القصة والمراد من هذا الحسن كون هذه الألفاظ فصيحة لا يشابهه هذه السورة في الفصاحة والبلاغة وان حملناه على المفعول كان معنى

-
- (١) سورة القصص آية (١١)
 - (٢) سورة الكهف آية (٦٤)
 - (٣) سورة يوسف آية (٣)
 - (٤) سورة الكهف آية (٦٤)

كونه أحسن القصص لما فيه من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها^(١) ويقول الفخر الرازي في المعنى الاصطلاحي لهذه الآية ويجمع بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي بأنه : هو مجموع الكلام المشتغل على ما يهدي إلى الدين ، ويرشد إلى الحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(٢) .
والحسين في الآية السابقة يعود إلى حسن البيان وحسن القصة مما وذلك لجزالة أسلوبها وفصاحة ألفاظها وبلوغها قمة الامجاز البياني .
ويذكر الامام القرطبي :

أنها سميت قصصاً لأن المعاني تتتابع فيها فهو من قولهم فلان يقص أثر فلان أي يتبعه^(٣) وذلك في قوله تعالى " ان هذا لهو القصص الحق وما من الا الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم " ^(٤) فهو أخبار تتتابع تروى ما حدث للسابقين .
ويقول الألويسي في تفسيره :

لقوله تعالى " نحن نقص عليك أحسن القصص " ^(٥) أي نخبرك ونحدثك من قص أثره اذا تبعه كأن المحدث يتبع ما حدث به وذكره شيئاً فشيئاً .
والقصص : اما فعل بمعنى مفعول كالنبا والخبر أو مصدر بمعنى بسببه المفعول كالخلق والصيد أي نقص عليك أحسن ما يقص من الأنبا وهو قصة يعقوب عليه السلام .^(٦)

-
- (١) - التفسير الكبير ج ١٨ ص ٨٥ .
 - (٢) - نفس المصدر ج ٨ ص ٨٣ .
 - (٣) - أنظر القرطبي ج ٢ ص ١٣٤٧ ، دار الشعب القاهرة
 - (٤) - سورة آل عمران آية (٦٢) .
 - (٥) - سورة يوسف آية (٣) .
 - (٦) - روح المعاني ج ١٨ ص ٨٥ .

ويرى الامام العاظمي :

" أن قوله تعالى ((وقالت لأخته قصيه)) (١)

أى قصى أثر موسى ، اتبعى أثره ، ثقل قصص آثار القوم اذا تتبعت آثارهم ، وبنحو الذى قلناه فى ذلك قال أهل التأويل (٢)

ومثله قال الامام النسفى :

(فى قوله تعالى " فارتدا على آثارهما قصصا " (٣)

أى فرجعا من الطريق الذى جاء فيه يقصان قصصا أى يتتبعان آثارهما اتباعا ، ،

وقال الزجاج : القصص اتباع الأثر (٤)

ومرف الأستاذ الخطيب القصة :

بأن القرآن الكريم قد أطلق لفظ القصص على ما حدث به من أخبار القرون الأولى فى مجال الرسائل السماوية ، وما كان يقع فى محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال ، وبين مواكب النور وجحافل الظلام (٥)

(١) سورة القصص آية (١١) .

(٢) تفسير العاظمي ج ٢٠ ص ٣٨ الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

(٣) سورة الكهف آية (٦٤) .

(٤) أنظر تفسير النسفى ج ٣ ص ١٩ ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه .

(٥) القصص القرآنى فى منطلوقه ومفهومه ص ٤ الطبعة الثانية

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م بيروت لبنان .

ويرى الأستاذ سيد قطب في كتابه التصوير الفني :

بأن القصة هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة الى أغراضه الدينية .
والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء ، والقصة احدى وسائله لا بلاغ هذه
الدعوة وتثبيتها ، شأنها في ذلك شأن الصور التي يرسمها للقيامسة
وللنعيم والعذاب ، وشأن الأدلة التي يسوقها على البعث وعلى قسرة
الله ، وشأن الشرائع التي يفصلها والأمثال التي يضربها . (١)

ومن الركائز اللغوية والمعاني القرآنية لا بد لي من وضع تعريف للقصة
في القرآن الكريم نستنبطه من كل ما سبق ، وهذا التعريف هو :

(تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية وإيراد مواقفهم وأعمالهم وبخاصة مع
رسل الله اليهم مع اظهار آثار الدعوات فيهم وذلك بأسلوب حسن
جميل مع التركيز على مواطن العبرة والعظة)

وهذا التعريف يتضمن ما يلي :-

- ١ - تتبع الآثار والأخبار الماضية كما وقعت .
- ٢ - إيراد ما حدث للدعوات والرسول مع هؤلاء الأقسام .
- ٣ - اظهار النتائج التي ظهرت كعاقبة المتقين وجزاء العصاة .
- ٤ - مجيء القصة القرآنية في الطار أسلوب حسن جميل كشأن أسلوب
القرآن الكريم كله .
- ٥ - ارتباط القصة بهدف إيرادها وهو الاتماظ والاحبار والتذكير .

(١) التصوير الفني ص ١١٧ الطبعة الشرعية الرابعة ١٣٩٨ هـ -



الفرق بين القصة والحكاية :

الحكاية من قولك حكيت فلانا وحكيتك فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجازه ، وحكيت عنه الحديث حكاية ، وحكيت عنه الكلام حكاية (١)

(فالحكاية يلاحظ فيها المحاكاة والوقوف على ما جرى فقط ، أما القصص فانه ينقلك بنفسك وعقلك ووجدانك الى هذا الزمان الغابر لتعيش فيه فتأخذ العبرة والعظة) (٢)

وبناء على ذلك أقول أن القرآن الكريم لم يسم القصة حكاية هذا أولا ، وثانيا فان القرآن الكريم حينما عرض الأحداث الماضية لم يكن ذلك محاكاة لها بل كان فيها بعض واحياء لها كأنه ينقلنا بأنفسنا الى ذلك الزمان والشيء الأحداث بصورها ونتائجها ، فكان لفظ القصص أنسب لأنه أشبه بقصص أثر الشيء وتتبعه على وجه حسن في معناه ومعناه ،

الفرق بين القصة والرواية :

أشار ابن منظور الى معنى الرواية بقوله روى الحديث والشعر يروي رواية وترواه ، ورجل راو وراوية ، كذلك اذا كثرت روايته والهاء للمبالغة في صفته بالرواية ،

ويقال روى فلان فلانا شعرا اذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه (٣)

- (١) لسان العرب ج ١٨ ص ٢٠٨ فصل الحاء حرف الواو والياء (حكى)
(٢) الوحدة الموضوعية ص ٢٩٠ د . محمد محمود حجازي ، دارالكتب الحديثة ١٣٤٠ هـ - ١٩٧٠ م .
(٣) لسان العرب ج ١٥ ص ٦٦ - ٦٧ فصل الراء حرف الواو والياء (روى) .

فالرواية نوع من القصة الا أن بينهما فرقا طفيفا يتصل بأن الرواية
تطول بحسب الموضع الذي تعالجه .

وليس كذلك القصة ، ومن هذا الفرق أيضا أن الرواية تكون من محفوظات
الراوي بينما القصة تكون من المحفوظ والمكتوب .

الفرق بين القصة والخبر :

يقول ابن منظور : الخبير من أسما الله عزوجل العالم بمسنا
كان وما يكون ، وخبرت لبالأمر أي علمته وخبرت الأمر خيرة اذا عرفتة على
حقيقته وقوله تعالى : فانسأل به خبيرا ^(١) أي أسأل عنه خبيرا يخبر
الناس ، والخبر بالتحريك واحد الاخبار والخبر ما أتاك من نبا ممن
تستخير والخبر جمع أخبار وأخبار جمع الجمع ، .

فأما قوله تعالى " يؤمئذ تحدث أخبارها " ^(٢) فمعناه يوم تزلزل تخبر
بما عمل عليها ، وخبره بكذا وأخبره نبأه واستخبره سأله عن الخبر وطلب
أن يخبره ، ويقال تخبرت الخبر واستخبرته ، ورجل خابر وخبير عالم
بالخبر والخبير المخبر ، ويقال من أين خبرت هذا الأمر أي من أين
علمت فالخبر معناه العلم بالشيء مجردا . ^(٣)

وبمثلته قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط مانحه :

(أخبره خيرة أنباء ما عنده ، والمخبرة العلم بالشيء) ^(٤) .

فنرى أن الخبر يختلف عن القى ، فالخبر هو العلم بالشيء أما

(١) سورة الفرقان آية (٥٤) .

(٢) سورة الزلزلة آية (٤) .

(٣) لسان العرب ج ٥ ص ٣٠٨ فصل الحاء والحاء المعجمة حرف الراء

(خبر) .

(٤) القاموس المحيط ج ٢ ص ١٧ .

القص فهو التتبع والتحدث عن أخبار مضيت مع ملاحظة التأثير والاعتبار
والعظة ، فلا تصلح لأن يطلق عليها قصة لهذا الفرق .
والنبا هو الخبر ولذلك فالفرق بين القصة والخبر هو نفسه الفرق بين
القصة والنبا .

الفرق بين القصة والملحمة :

الملحمة تتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ وهي تعبر عن روح العصر
الذي تتحدث عنه وتميل كثيرا الى وصف الحروب الشهيرة وساحات النضال
وتمجيد البطولة .

(١) فهي سرد أحداث لواقعة عظيمة فيها فتن وصراع

وليس القصص القرآني من ذلك النوع فقط بل هو أنواع متعددة وألوان متجددة
فلا نطلق عليه ملحمة ، لأنه يشتمل على العبر والعظات وله أهداف سامية
تليق بكتاب الله تعالى وبقصصه فلا نطلق عليه ملحمة إذ هي فتن وصراع
وليس كذلك في قصص القرآن .

الفرق بين القصة والتمثيلية :

يكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيها به ، ويقال امتثلت مثال فلان
احتذيت حذوه وسلكت طريقه وامتثل طريقته تبعها فلم يعد لها . (٢)
فالتمثيلية هي : (تصوير لمواقف بالكتابة أو الحركة أو غيرها) (٣) فلا
نطلق على قصص القرآن ذلك اللفظ لأنه ليس من هذا القبيل بل هو تعبير
عن أخبار السابقين بالبيان والاسلوب المنطوق وليس كذلك التمثيلية .

(١) مختار الصحاح ج ١ ص ٥٩٤ .

(٢) لسان العرب ج ١٤ ص ١٣٦ .

(٣) مختار الصحاح ص ٦١٤ .

الفرق بين القصة والأسطورة :

(واحد الأساطير أسطورة ، والأساطير الأباطيل ، والأساطير أحاديث لانظام لها واحدتها اسطار واسطارة بالضم واسطير واسطيرة بالكسر وساطرها ألفها ، وسطر علينا آتانا بالأساطير : وقال الليث : يقال سطر فلان علينا يسطر اذا جاء بأحاديث تشبه الباطل يقال : هو يسطر مالا أصل له أي توألف، وسطر فلان على فلان اذا فزعرف لسه الأقاويل ونمقها وتلك الأقاويل الأساطير) (١)

(والاساطير جمع اسطار جمع سطر فهو جمع الجمع) (٢)

وجاء في تاج العروس على لسان صاحبه الزبيدي مانعه :

(الأساطير الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لانظام لها ، جمع اسطار ، واسطير بكسرها ، وأسطور بالضم وبالهاء من الكل) ثم قال : (وسطر تسطيرا ، ألف الأكاذيب)

ويقول الزبيدي يقول الليث : يقال سطر فلان علينا يسطر اذا جاء

بأحاديث تشبه الباطل ، يقال هو يسطر مالا أصل له أي يوئلف) (٣)

ومن هنا فان القصة تختلف عن الأسطورة من ناحية الصدق والحق ،

أما الأسطورة فهي على نقيض ذلك تماما إذ هي الكذب والأباطيل والأحاديث المنمقة .

(١) لسان العرب ج ٦ ص ٢٨ فعل السين حرف الراء (سطر)

(٢) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا المجلد الخاص ج ١٣ ص ١٢٢

الطبعة الثانية أعيد طبعه بالآفست .

(٣) أنظار تاج العروس ج ٣ ص ٢٦٧ طبعة بيروت (١٩٣٨ هـ - ١٩٦٦ م)



تکامل الفصحة القرآنية

من الناحية الفنية

تكاملها من الناحية الفنية :

القرآن الكريم كما نعلم هو الكتاب المعجز الذي أعجز بلفاء العرب
وفصحاءهم وهم أهل بلاغة ولسن ، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يحاوروه
في أسلوبه ولا في بلاغته ولا في فصاحته رغم ما كانوا عليه ، فمن ضمن
ما تميز به القرآن الكريم من ميزات هو وجود المنصر الفني في أسلوبه
وقصصه .

(ان غرض القصة القرآنية " للفرغ الديني ، لم يمنع من بروز الخصائص
الفنية في عرضها ، فالقرآن يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير
الوجداني ، فيغالب حاسة الوجدان الدينية بلفة الجمال الفنية) (١)

ان القصة القرآنية فيها الخصائص الفنية الكاملة رغم أنها قصة دينية
غرضها الدين ، ولكن مع ذلك فهي تحفظ بالخصائص الفنية كأى قصة
فنى العناصر التي يجب أن تتوفر في القصة متوفرة في القصص القرآنية
كالشخصية والحوار والحدث والتشويق والموضوع ، نرى ذلك كله في
القصص القرآنية كما نراه في القصة المعاصرة الا اختلافنا واحدا .

هذا من ناحية العناصر وأما من ناحية الشكل فقد اختلف الأدباء والنقاد
والمحدثون والكتاب المعاصرون على أن القصة من حيث الشكل تنقسم
الى قسمين :

- ١ - قصة طويلة .
- ٢ - قصة قصيرة .

(١) التصوير الفني لسيد قطب ص ١١٧ ، ١٣٩ .

وإذا طبقنا هذا التقسيم طوي للقصر القرآني وجدناها فيه :
فالقصة الطويلة : تتمتع في قصة موسى وبنو إسرائيل المجزأة فهي
سور القرآن الكريم وخاصة سورة البقرة وآل عمران .
والقصة القصيرة : تتمتع في قصة آدريس وهود وصالح وأيوب وشعيب
طيبهم السلام .

وترى القصص القرآني قد عوى العناصر والشكل الفني ولو استوردنا
هذه الأمور لأغندنا فيها وقتا طويلا . وبعثنا كاملا . ولكن أوردنا هنا
طوي وجه الإيجاز تبعاً لمقتضى الحال .

الباب الأول

خصائص

القصة

القرآنية

تمهيد :

والخصائص (١) تعنى ما تمازبه القصة القبيانية من حقائق وميزات تميزها على غيرها من القصص المؤلف ، بما يمنحها السمو والملسو في القدر والمنزلة التي تميز بها القصص القرآني السماوي على غيره من القصص العادي أو البشري الذي كان للبشر تدخل فيه يعبرونه ويؤولونه على حسب أهوائهم وغيالهم .

أما ما تميز به القصص القرآني فانه يجل عن الوصف ويسمو الى النهايات النبيلة والأهداف الدينية التي فيها هداية البشر ونجاتهم في الدار الدني والآخرة . ذلك القصص الحق الذي لا ريب فيه ولا شك يتميز بخصائص ريانية جعلته يسمو على كل القصص آخرة . وفي هذا البحث سوف أعيش مع خصائص القصة القرآنية آلمة في أن أكتشف بعضها بتوفيق الله تعالى في الفصول التالية :

(١) ذكر الراجب في مفرداته ص ١٤٩ معنى خصائص : خص التخصيص - مالاختصاص ، بالخصوصية والتخصص تفرد بعض الشيء بما يشترك به

الجملة ، وذلك خلاف العموم والتعميم والتعمم ، واختصه بخصيص
قال تعالى " يختص برحمته من يشاء " البقرة آية (١٥٥) .

الفصل الأول

ارتباط الفصحة القرآنية
بالوحى

ارتباط القصة القرآنية بالوحي :

القصة القرآنية جزء من كتاب الله تعالى نزل الوحي بها طى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا فالحديث عنها جزء من الحديث عن القرآن الكريم .

والقرآن في اللغة : مصدر مرادف للقراءة قال تعالى " ان طينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه " (١) .

قال ابن عباس : اذا جمعناه وأثبتناه في صدره فأعمل به ، وقد خصص الكتاب المنزل طى محمد صلى الله عليه وسلم فصار له كالعلم كما أن التوراة لما أنزل طى موسى والانجيل طى عيسى صلى الله عليهما وسلم (٢) طاروا كالعلم محمدا .

قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمره كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى اليه بقوله " وتفصيل كل شيء " وقوله " تبينا لكل شيء " - قرآنا عربيا غير ذي عوج - وقرآنا فرقناه لتقرأه - وقرآن الفجر - " أي قرآنه " (٣)

والقرآن في الاصطلاح : (هو كلام الله المعجز المنزل طى النبي صلى الله عليه وسلم المتحدى بأقصر سورة ، المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته) (٤)

(١) سورة القيامة آية (١٦ - ١٧) .

(٢) (٣) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٠٢ .

(٤) مناهل العرفان ج ١ ص ١٢ للزرقاني ~~هذا هو الحديث الذي~~

الكتب العربية الباب الحليب وشركاه .

والقصص القرآني جزء من القرآن الذي أوحى الله تعالى به الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة في مقدمات بعض القصص وفي أعقابها فجاء في أول سورة (يوسف) عليه السلام قوله تعالى " انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تحققون ، نحن نقيص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين " (١)

وجاء في سورة (القصص) قبل عرض قصة (موسى) قوله تعالى (نتلو عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) (٢) وبعد انتهائها يقول تعالى ؛ " وما كنت بجانب الغربي ان قضيت الى موسى الأمر ، وما كنت من الشاهدين ، ولكنا أنشأنا قرونا فتناول عليهم العمر ، وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ، ولكنا كنا مرسلين ، وما كنت بجانب الطور ان نادينا ، ولكن رحمة من ربك ، لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون " (٣)

وجاء في سورة (آل عمران) في مبدأ عرضه لقصة مريم " ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم ان يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم ان يختصمون " (٤)

وجاء في سورة (ص) قبل عرضه قصة آدم " قل هو نبي عظيم أنتم عنه معرضون ، ما كان لى من ظم بالماء الاطى ان يختصمون ، ان يوحى الي

(١) سورة يوسف آية (٢ - ٣) .

(٢) سورة القصص آية (٣) .

(٣) سورة القصص آية (٤٤ - ٤٦) .

(٤) سورة آل عمران آية (٤٤) .

أنا أنا نذير مبين ، ان قال ربك للملائكة ، اني خالق بشرا من طين (١)
فيتضح لنا من مجموع هذه الآيات الكريمة أن القصص القرآني نزل بوحي
من الله تعالى ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرفها من
سابق بدليل أن القرآن يقص عليه أشياء لم تكن طوى عنده بل سبقته وقصها
الله سبحانه وتعالى عليه . من ذلك ما قصه عليه من سورة يوسف وما جاء
في سورة القصص وما جاء في سورة آل عمران وسورة ص في الآيات السابقة
التي ذكرناها كلها تبين أنها ما أوحى الله بها طوى نبيه صلى الله عليه
وسلم ولم يكن يعرفها من قبل الا حينما أوحى الله تعالى بها اليه .
فالقصص القرآني انق قد نزل بوحي من الله .

(١) سورة ص آية (٦٧ - ٧٠) .

(٢) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٩٩ / الطبعة الثانية (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)

الفصل الثاني

التزام القصة بما يحق

التزام القصة القرآنية بالحق :

والقصة القرآنية هو الحق والصدق ولقد وصفه الله تعالى بالحق وما دام
تعالى قد وصفه بذلك فلا جدال ولا شبهة بعد كلام الله تعالى ، ان من
يقول أن القصة القرآنية أسطورة وهمية ليس ببعيد أن ينكر آيات القرآن
كله ، لأن القصة نفسه من القرآن وآياته بعض آيات القرآن الكريم .
يشير الله سبحانه وتعالى الى أن القصة القرآنية قائم على الحق في
آيات عديدة يقول تعالى :

١ " نحن نقرص طيها ، نبأهم بالحق " (١)

٢ " نقلو طيها من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون " (٢)

٣ " واتل طيها نبأ ابنى آدم بالحق " (٣)

يقول النسفي في تفسيره لكلمة الحق هو الصدق الموافق لما وقع (٤)

() ومعنى الحق : وأصله المطابقة والموافقة كمطابقة رجل الباب في حقه

لدورانه على استقامة والحق يقال على وجه منها : الاعتقاد في الشيء
المطابق لما طيه ذلك الشيء في نفسه كقولنا اعتقاد فلان في البحث والثواب
والمقاب والجنة والنار حق (٥)

(١) سورة الكهف آية (١٣)

(٢) سورة القصص آية (٣)

(٣) سورة المائدة آية (٢٧)

(٤) تفسير النسفي ج ٢ ص ٢٨٠ دار احياء الكتب العربية .

(٥) المفردات للأصفهاني ص ١٢٥

فكلام الله سبحانه وتعالى وقصصه هو الحق الذي لا تشوبه شائبة
ال مطابق للواقع بلا ريب ولا شبهة فنرى أن الله تعالى يصف قصصه بأنها
الحق والقول الثابت الذي لا يتغير ، ومع ذلك يقول طائفة من الناس ممن
يتسمون بالاسلام انه أساطير والله سبحانه وتعالى يعلم هو لا لدرجة
أنه ذكرهم في كتابه وعرفهم فهو علام الغيوب فيقول تعالى " يا أيها الذين
آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على
المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم " (١)
(وخبر الغيب أنه سيرتد بمن آمنوا عن الاسلام جهرا ولا يضره ذلك ،
لأن الله تعالى يسخر من ينصره ويحفظه) (٢)

وهو لا قد عرفهم القرآن الكريم وذكرهم وذكر ما يكون من أحوالهم
وتقلباتهم .

ويقول سبحانه وتعالى أيضا " ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم

أكنة أن يفقهوه وفيهم اذانهم وقرا ، وان يروا آية لا يؤمنون بها حتى اذا
جاؤهم بجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الأولين ، وهم
ينهبون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون " (٣)

(والأكنة : واحد ها كنان كأسنة وسان وهو الغطاء والوقر (بالفتح)
الثقل في السمع فمهما تواتر الآيات والنذر لا تجدى معهم شيئا ان الحجب
كثيفة والأغطية سميكة فاعتراقها عسير ، والوصول اليها في حكم المستحيل .

(١) سورة المائدة آية (٥٤)
(٢) تفسير المراغي ج ٦ ص ١٣٩ ، الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م
(٣) سورة الأنعام آية (٢٥ - ٢٦) .

فقل عقل هؤلاء قصص القرآن وتدبروا معانيها لكان لهم من ذلك آيات بينات تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وعبر ومواعظ ونور تبين سنن الله في خلقه مع الأقسام الذين كذبوا الرسل وكان عاقبة أمرهم الدمار والنكال (١)

ونرى من يقول على قصص القرآن بأنها - أساطير - كأمثال الدكتور خلف الله وغيره ممن قالوا بقصص القرآن أنها أساطير مثلهم مثل أهل الجاهلية الذين حاجوا الرسول وجادلوه في ذلك الأمر طويلاً ، وأخيراً ردوا مدحورين ، فنراهم في الماضي حينما جادلوا الرسول صلى الله عليه وسلم " وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يخلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون " (٢) وقوله تعالى حكاية عنهم " وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً " (٣)

() وكانوا يفترون على الرسول صلى الله عليه وسلم أقوالاً مختلفة ، فتارة يقولون انه ساحر ، وأخرى انه شاعر أو كاهن ، وثالثة انه مجنون (٤)

ويستعرض السياق مقولات أولئك المستكبرين عن القرآن - اذ يزعمون أنه أساطير الأولين . ومقولاتهم عن أسباب شركهم بالله وتحريمهم ما لم يحرمه الله ، اذ يدعون أن الله أراد منهم الشر وارتضاه . هؤلاء المستكبرين ذوو القلوب المنكرة التي لا تقنع ولا تستجيب اذا سئلوا

(١) تفسير المراغي ج ٧ ص ٢٨ - ٢٥ .

(٢) سورة النحل آية (٢٤ - ٢٥) .

(٣) سورة الفرقان آية (٥) .

(٤) في دلال القرآن لسيد قطب ج ٤ ص ٢١٦٦ ، ٢١٦٧ ، الطبيعة

الشرعية العاشرة ١٤٠١ هـ - ١٢٨١ م دار الشروق .

(ماذا أنزل ربكم ؟ لم يجيبوا الجواب الطبيعي المباشر ، فابتلوا شيئا من القرآن أو يخلصوا فحواه ، فيكونوا أمنا في النقل ، ولو لم يعتقدوه . انما هم يعدلون عن الجواب الأمين فيقولون " أساطير الأولين " ، والأساطير كما عرفنا هي - الحكايات الوهمية الحافلة بالخرافة - وهكذا يصفون هذا القرآن الذي يطالع النفوس والعقول ، ويعالج أوضاع الحياة وسلوك الناس وعلاقات المجتمع وأحوال البشر في الماضي والحاضر والمستقبل هكذا يصفونه لما يحويه من قصص الأولين ، وهكذا يوهدى بهم ذلك الإنكار والاستهتار الى حمل ذنوبهم وشطر من ذنوب الذين يضلونهم بهذا القول ، ويصدونهم عن القرآن والايان ، وهم جاهلون به لا يعلمون حقيقته ، ويصور التمييز هذه الذنوب أحمالا ذات ثقل - وسامت أحمالا وثقالا ! فهي توقر النفوس كما توقر الأعمال الظهور وهي تثقل القلوب ، كما تثقل الأحمال الصواتق ، وهي تتعب وتشقى - كما تتعب الأثقال حاملها بل هي أد هي وأنكى) (١)

نلاحظ من هؤلاء وأمثالهم الذين يفترون على القرآن أنهم يجادلون ويحاجون في غير الحق بل في الضلالة التي هم فيها يعمهون ، وهكذا نرى نهاية كل من قال في القرآن بأنه أساطير الأولين ، عاقبة وخيمة ونهاية مؤسفة ضالة لا تستند على برهان ولا دليل .

انه لا مجال للأسطورة في القرآن الكريم بدليل قوله تعالى " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (٢)

(١) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢١٦٢ .

(٢) سورة فصلت آية (٤٢) .

ونسبة القرآن الكريم الى الله سبحانه وتعالى ينفي عنه أن يكون فى قصصه أساطير بدليل قوله تعالى " ان هذا لهو القصص الحق " (١)

ونرى مع هذه الخاصية وهى التزام القصة القرآنية بالحق أن نرد على الدكتور خلف الله فى ادعائه الصريح بأن فى القرآن الكريم أساطير .

فهو يرى (أن القرآن نفسه لم يحرص أن ينفى عن نفسه وجود الأساطير فيه وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هى الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام وليس من عند الله) (٢)

ويتابع كلامه قائلاً : (ونستطيع الآن أن ننتهى من هذه الفقرة الى القول بأن القرآن الكريم لا ينكر أن فيه أساطير ، وإنما ينكر أن تكون هذه الأساطير هى الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام لم يجئه به الوحي ولم ينزل عليه من السماء) (٣)

ويقول أنه جاء فى تفسير الرازى عند تفسيره لآية النحل ما يلى :

(لفاعل أن يقول كيف يكون تنزيل ربهم أساطير الأولين ، وجوابه من

وجوه :

الأول : أنه مذكور على سبيل السخرية . .

الثانى : أن يكون التقدير هذا الذى تذكرون أنه منزل من ربكم هو أساطير الأولين .

الثالث : يحتمل أن يكون المراد أن هذا القرآن بتقدير أن يكون مما أنزل الله لكنه أساطير الأولين ليس فيه شئ من العلوم والفصاحة والدقائق والحقائق) (٤)

(١) سورة آل عمران آية (٦٤) .

(٢) الفن القصصى فى القرآن الكريم ص ١٧٧ الطبعة الرابعة مكتبة الإنجلو المصرية .

(٣) نفس المصدر ص ١٨٢ .

(٤) الفخر الرازى ج ٢٠ ص ١٨ .

ويقول خلف الله بعد ذلك : وواضح أن الرازي يجيز في رأيه
الأخيرين القول بوزود أساطير في القرآن الكريم وأنها من عند الله . (١)

يدعي الدكتور خلف ادعاءات واهية ويستند الى أساس غير متين حيث
أن كلام الرازمي يفيد غير هذا .

فالدكتور يأخذ من الكلام ما يسند ويقوى باطله ولا ينقل الكلام كاملاً كما جاء
ولتوضيح ذلك فلننظر مرة ثانية الى مقاله الفخر الرازي بحيث نعرض مقاله
كاملاً في هذه الشبهة الواهية ونذكر حتى ما جاء به خلف الله في ذلك الصدد ،
يقول الفخر الرازي في تفسيره لتلك الآية من سورة النحل " واذا قيل
لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين " (٢)

(في الآية مسائل :

المسألة الأولى : اختلفوا في أن ذلك السائل من كان ؟ قيل هو كلام
بعضهم لبعض ، وقيل هو قول المسلمين لهم ، وقيل : هو قول المقتسمين
الذين اقتسموا مداخل مكة بينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
المسألة الثانية : لقاتل أن يقول : كيف يكون تنزيل ربهم أساطير
الأولين ؟

وجوابه من وجوه : الأول أنه مذكور على سبيل السخرية كقوله تعالى عنهم
" ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون " ، وقوله " يا أيها الذي نزل عليه
الذكر انه لمجنون " وقوله " يا أيها الساحر ادع لنا ربك " .
الثاني : أن يكون التقدير هذا الذي تذكرون أنه منزل من ربكم هو
أساطير الأولين .

(١) الفن القصصى ص ١٨٣ .

(٢) سورة النحل آية (٢٤) .

الثالث : يحتمل أن يكون المراد أن هذا القرآن بتقدير أن يكون مما أنزله الله لكنه أساطير الأولين ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والدقائق (١)

ويكمل الفخر الرازي كلامه عن تلك الشبهة قائلًا :

(فان قيل : انه تعالى لما حكى عن القوم هذه الشبهة لم يجب عليها ، بل اقتصر على محض الوعيد ، فما السبب فيه ؟

قلنا : السبب فيه أنه تعالى بين كون القرآن معجزا بطريقتين :

الأول : أنه صلى الله عليه وسلم تحداهم بكل القرآن ، وتارة بعشر سور ، وتارة بسورة واحدة ، وتارة بحديث واحد ، وعجزوا عن المعارضة ، وذلك يدل على كونه معجزا ، والثاني : أنه تعالى حكى هذه الشبهة بعينها في آية أخرى وهو قوله " اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا " ، وأبطلها بقوله " قل أنزلناه الذي يطعم السرفى السموات والأرض " ومعناه أن القرآن يشتمل على الأخبار عن الغيوب ، وذلك لا يتأتى الا من يكون عالما بأسرار السماوات والأرض ، فلما ثبت كون القرآن معجزا بهذين الطريقتين مكرر شرح هذين الطريقتين مرارا كثيرة ، لا جرم اقتصر من هذه الآية على مجرد الوعيد ولم يذكر ما يجرى مجرى الجواب عن هذه الشبهة ، والله أعلم (٢)

وكما رأينا أن كلام الرازي يفيد غير ما ذكره الدكتور لأنه أخذ من الكلام ما يكون شاهدا على ادعائه الكاذب ، والا لنقل الكلام كاملا بحيث

(١) التفسير الكبير ج ٢ ص ١٨ .

(٢) نفس المصدر ص ١٥ .

لا يخل بالمعنى ، وأظن أن كلام الرازي واضح وضوح الشمس في كبد السماء بأنه لا يؤيد أن في القرآن أساطير بل العكس هو الصحيح وهو أنه ليس فيه أساطير بل أنه الحق ولا شيء غير الحق وأن القرآن معجز بكل ما جاء فيه .

وانظر الى رد بعض من كتبوا في تلك الشبهة منهم الحافظ عبد ربه

اذ يقول :

(يستمد هذا الدكتور ترويجه من الرجوع الى كتب التفسير والمفسرون الذين يرى نفسه أنه مؤرخهم ويأخذ منهم ويدع كما يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ، وهو غير أمين فيما يأخذ ، وكثيرا ما يدل في النقل ، فيروي من كتب التفسير ما يوافق هواه ، وربما نقل الشبهة وتعمد أن لا ينقل ردها لأن ذلك يضعف تهديله ويزعج تهويله ويفضح أمره ويصرف القارىء عن الأخذ بأراجيفه ، ولو فرض أن بعض المفسرين اقترف من قبله مثل جرمه فأى المذاهب يذهب اليها غير الله ورسوله ؟) (١)

ويزد صاحب كتاب سيكولوجية القصة في القرآن عليه فيقول في ذلك :

(ويذهب الدكتور " خلف الله " الى أن في القرآن أساطير وليس له في ذلك من الأدلة المقنعة ما يدعم رأيه ، فهو لم يعرض بصورة جلية نماذج من القصص القرآني الذي انتفت عنه الواقعية التاريخية ، وثبت له خصائص الأسطورة ان كان لهذا النوع وجود في القرآن - بل اقتصر على القول بأن القرآن نفسه لم يحرض على أن ينفي وجود الأساطير فيه ، وإنما حرض على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس من عند الله ، فهو يتناول :

(١) بحوث في قصص القرآن ص ٢١٩ الطبعة الأولى ١٩٧٢ م .

() وإذا كان هذا ثابتا فانا لا نتحرج من القول بأن في القرآن أساطير
لأننا في ذلك لا نقول قولا يعارض نصوص القرآن (١)

ويقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب للرد عليه في ذلك القول فيقول :
() أما ما يقيمه الدكتور من أدلة وشواهد لهذا القول ، فهو أنه عمد
الى تلك الآيات التي وردت فيها أقوال المشركين من أهل مكة
واصفة ما يلقى على أسماعهم من القرآن ومن قصصه ، بأنه أساطير
الأولين ، ثم انه عمد كذلك الى رأيه هذا ، فنقلها وعلق عليها (٢)

- ويستتارد الأستاذ الخطيب كلامه قائلا :

() وكيف يقع في فهم أن يصف الله القرآن بما وصف به ، وأن يقسم به
في مقام التشريف والتكريم ، وهو يحمل في كيانه أساطير وأباطيل ؟
وهل الأساطير الا باطل الأباطيل ووهم الأوهام ، وخرافات
المصرفين ؟ فكيف يحمل القرآن هذا الباطل وذلك الضلال على أنه
بضعة منه ، وآي من آياته ، بنصبها في مقام المعبرة والعظة ؟

- ويستتارد قائلا :

() أما أن يضاف هذا القول الى من لم يقل به وأن يحمل عليه حملا ،
فذلك عدوان يجب أن يدفعه كل قادر على دفعه وهذا القول فيما
نرى عدوان على القرآن ، وجرأة في الادعاء عليه (٣)

وعلى هذا يتضح أن القرآن الكريم حق كله ، وهو حال من أي خيال

لا حقيقة له .

(١) سيكولوجية القصة ص ١٦١ .

(٢) القصص القرآني ص ٣٠٢ .

(٣) نفوس المصدر ص ٣٠٧ .

الفصل الثالث

واقعية القصص في القرآن

الواقعية :

القصة القرآني تعبير صادق ناطق بالحق قائم على الواقعية فهو يتفق مع الانسان في حقيقة وجوده .

نعلم أن الانسان في نثار الاسلام مخلوق على نحو خاص ، يقول تعالى " واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " (١)

وعلى ذلك يتكون الانسان من عنصرين : الطين وهو الجانب المادي ، ونفخة الروح وهو الجانب المعنوي .

(وهذا ان معا يكونان الانسان ، فهو ليس قبضة طين خالصة ، تخضع للضرورات القاهرة من الطعام وشراب وجنس . . . الخ غرضها لا تملك نفسها منه ، ولا تختار لنفسها سلوكا معيناً ، اذ هذه الضرورات ، وليس اشراقه روح خالصة ، طليقة من القيود ، ترفرف حيث تشاء ، ولا تخضع لضرورة ، ولا تتأثر بقيود الزمان والمكان ، والوجود والفناء ، وثقلية الجسم المنجذب الى الطين ، ولكنه مزيج من الضرورة القاهرة والاشراقه الطليقة من القيود) (٢)

(ان الانسان يحقق رسالته في الأرض ويحقق أفضل ما يستطيعه ، ويحقق كثيراً من الخير ، حين يكون على طبيعته المزدوجة ، قبضة الطين ونفخة الروح ، ومقتضى هذا الامتزاج في مفهوم الاسلام : أن الانسان

لا

لا

(١) سورة (ص) آية (٧١ - ٧٢) .

(٢) منهج الفن الاسلامي ص (٤٨ - ٤٩) محمد قطب ، دار الشروق

بيروت ، القاهرة .

(٣) منهج الفن الاسلامي ص ٤٩ .

هذا هو الواقع الانساني في حقيقته ، وهي نفس الحقيقة التي

يوضحها القصص القرآني .

نقرأ قوله تعالى " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلج
من زكاتها وقد خاب من دساها " (١) وقوله تعالى " وخلق الانسان ضعيفا " (٢)

فنعلم أن الانسان في نظر الاسلام كائن مركب من الخير والشر

وفيه القوة والضعف وذلك هو التصور الاسلامي للواقع الانساني .

ولقد نقلت لنا القصة القرآنية شخصية الانسان بواقعه ، بخيصره
وشره ، بقوته وضعفه في جميع حالات الانسان ، في أدق صورة وأوضح
مثال ، فصورت واقع الانسان وهو يهبط الى المادة والى الأرض وشهواتها
ورغباتها .

والواقعية القرآنية ليست واقعا لحالة واحدة بذاتها بل هي واقع

لكل شيء للخير والشرفي الانسان ، للقوة والضعف ، للجحود والنكران ،
للكفر والايمان وهكذا ،

واقعية مزدوجة نراها اذا ما ذكرت الخير في واقعة ذكرت الشرفي واقعة
أخرى بل قد تتضمن الحادثة الواحدة صوراً متعددة للواقعية .

يمثل لنا قصص القرآن الكريم واقع الانسان وهو يهبط الى الأرض والى

شهوات الدنيا ، ماذا يفعل تجاه ما يرى ؟ هل يصمت ؟ هل يتحرك ؟

هل ينصرف مع الشهوات ؟ هل يقف مكتوف الأيدي تجاه ما يراه ؟ هذه

الأسئلة كلها نجيب عليها بواقع الانسان من خلال قصة آدم عليه السلام :

(خلق الله الأرض ، وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ،

(١) سورة الشمس آية (٧ - ١٠) .

(٢) سورة النساء آية (٢٨) .

وقدر فيها أحوالها أربعة أيام سواً للسائطين ، ثم استوى الى السماء وصي
دخان ، فقال لها وللأرض : اتقيا لوما وكرها قالتا : أتينا بالحقين ،
ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل سمي ، ثم
خلق ملائكته الذين يسبحون بحمده ، ويقدمون اسمه ويخلصون في عبادته ،
ثم شاءت ارادته تعالى ، واقتضت حكمته أن ينطق آدم وذريته ، ليسكنوا
الأرض وينسروها ، وسوى الله آدم من طين من صلصال من حمأ مسنون (١)
ثم نفخ فيه من روحه ، فسرت نسيمة الحياة ، وصار بشراً سوياً (٢) ثم
أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم ، فاستجابوا له فاعين ، وأقبلوا على آدم
مذمومين إلا إبليس فقد خالف أمر ربه ، وانحاز الى معصيته ، وأبى واستكبر
وكان من الكافرين ، وسأل الله تعالى إبليس عن سبب امتناعه ، واستنابه
حكمة تعالفة ، فقال " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت
من الضالين ؟ فزعم أنه خير من آدم عنصراً ، وأزكى منه جوهرًا ، وأن
أن لا أحد يباريه في علو قدره ولا يستشرف الى سمو مكانته وقال : أنا
خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين . (٣)

فهنا يتضح لنا الواقع واتح الملائكة : وهو الداعة لربهم والسجود له
والداعة الانسان لربه ، أما واقع الشيطان فهو العصيان والتمرد والخروج
على أمر الله ، فذلك شيء واتحى لا تزيين ولا زيادة ولا مخالفة فيه .

(١) الحمأ : الطين الأسود ، المسنون : العصور .

(٢) قصص القرآن لجاد المولى وزملاؤه ص ١ ، ٢ .

(٣) قصص القرآن ص ٣ .

ونرى الواقعية - أيضا - في الصدق النفسى فى تصوير الانسان - حينما
يمسه الضراء والسقم فترى هذه الواقعية فى النفس الانسانية واضحة فسوى
قوله تعالى :

() واذا من الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً زه فلما كشفنا
عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره (١)

() فى هذا النموذج السريع تجتمع كل عناصر الصدق النفسى : فالانسان
هكذا حقا حين يمسه الضر ، وتتعطل فيه دفعة الحياة ، يلتفت الى الخلف
ويتذكر القوى الكبرى ، ويلجأ عندئذ اليها ، فاذا انكشف الضر ، زالت
عوائق الحياة وانطلقت الحيوية الدافعة فى كيانه وهاجرت دواعى الحياة
فيه ، فلما دطأها المستجاب ، " ومر " كأن لم يكن بالأمر شيئا ! ان الحياة
قوة دافعة الى الأمام ، لا تلتفت أبدا الى الوراء ، الا حين يعوقها حاجز
(٢)
عن الجريان)

وجاء فى المفردات فى معنى الضر : سوء الحال اما فى نفسه لقلبة
الحلم والفضل والعفة ، واما فى يديه لنقص ، واما فى حالة ظاهرة من قلة
مال وجاه وقوله تعالى " فكشفنا ما به من ضر " محتمل لثلاثتها . (٣)

يرسم هذا النموذج البشرى مرات عديدة فى القرآن الكريم مثل قوله
تعالى " واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان
يؤسسا " (٤)

-
- (١) سورة يونس آية (١٢) .
 - (٢) التصوير النفسى ص ١٧٥ وما بعدها .
 - (٣) المفردات للأصفهاني ص ٢٩٣ .
 - (٤) صورة الاسراء آية (٨٣ - ٨٤) .

() فالمراد أن نوع الانسان من شأنه أنه اذا فاز بمقصوده ووصل الى مطلوبه اغتر وصار غافلاً عن عودية الله تعالى متمرداً عن طاعة الله ، وقوله "أعرض" : أي ولو ظهره أي عرضه الى ناحية ، ونأى بجانبه أي تباعد ومعنى النأى في اللغة : البعد والاعراض عن الشيء أن يولييه عرض وجهه والنأى بالجانب أن يولي عنه عطفه ويولي ظهره وأراد الاستكبار لأن ذلك إعادة المتكبرين " واذا مسه الشركان يوءسا " أي اذا مسه فقر أو مرض أو نازلة من النوازل كان يوءسا شديد اليأس من رحمة الله " ولا ييأس من رون الله الا القوم الكافرون " والحاصل أنه ان فاز بالنعمة والدولة اغتر بها فتسى ذكر الله ، وان بقى في الحرمان عن الدنيا استولى عليه الأسى والحزن ولم يتفرغ لذكر الله تعالى فهذا المسكين معروف أبداً عن ذكر الله (١)

ومثل ذلك المعنى السابق ما جاء في قوله تعالى " ولئن أنقنا الانسان منا رحمة ، ثم نزعناها منه ، أنه ليوءس كفور . ولئن أنقناه نعماء يحن ضراء مسه ليقلن : ذهب السيئات عني . انه لفرح فخور " (٢)

وأنظر قوله تعالى " ان الانسان خلق هلوعاً ، اذا مسه الشر جزوعاً ، واذا مسه الخير منوعاً " (٣) .

() والهلج : أشد العرض وأسوأ الجزع وأفعشه . والمعنى أنه لا يصبر على غير ولا شرحتي يفعل فيهما مالا ينبغي . والمنوع : هو الذي اذا

(١) التفسير الكبير للرازي ج ٢١ ص ٣٥ .

(٢) سورة هود آية (٩ - ١٠) .

(٣) سورة المعارج آية (١٩ - ٢١) .

أصاب المال منع منه حق الله تعالى . وقال ابن كيسان : خلق الله
الإنسان يحب ما يضره ويكرهه ، ويهرب مما ينفعه ويسخطه ، ثم تعبد
الله بنفاق ما يحب والصبر طوى ما يكره (١)

ومن واقعية القرآن - أيضا - نرى صورة الرجل الماقل الحصيف الذى
يتمثل فى جزء من سورة يوسف .

فها هو يوسف يلقى الحنف من امرأة العزيز له قياىى وينتصر فى النهاية على
الأغراء ، ويطلب نفسه فى الموضع الذى يتهاوى فيه ارادة الإنسان . وهنا
تبرز المرأة فى حالة من أفكر حالاتها وفى دفعة من دفعات غريزتها
ويظهر القرآن هنا - أيضا - واقع المرأة دائما وهو الأغراء - " واستبوا الباب
وقدت قلوبهن من دهر " (٢) فنرى هذه الواقعية فى نماذج للإنسان الضعيف
فى عقيدته يتسكك بها ما ناله الخير منها ، فاذا أوزى فيها تززع ومصاد
فنها مثاله قوله تعالى :

" ومن الناس من يعبد الله طوى حرف . فان أصابه غير اطمأن به وان أصابته
فتنة انقلب طوى وجهه خسرا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين " (٣)
وقوله " ومن الناس من يعبد الله طوى حرف " فى تفسير العرف وجهان :

(الأول :

وهو أن المرء فى باب الدين معتمدة القلب واللسان فهما حرفا
الدين ، فاذا وافق أحدهما الآخر فقد تكامل الدين واذا أظهر
بلسانه الدين ليمضى الأغراض وفى ظنه النفاق جاز أن يقال فيه
طوى وجهه الذم يعبد الله طوى حرف .

(١) تفسير القرطوبى ج ٨ ص ٦٢٦٩ . دار الشعب .

(٢) سورة يوسف آية (٢٥) .

(٣) سورة الحج آية (١١) .

الثاني : قوله " على حرف " أى على طرف من الدين لافى وسطه وقلبه ، وهذا مثل لكونهم على قلق ، واضطراب فى دينهم لا على سكون طمأنينة كالأذى يكون على طرف ~~يكون طرف~~ من العسكر فإذا أحسن بفنيمة قر واطمان والا فر وطارطى وجهه .

وهذا هو المراد . (" فان أصابه خير اطمأن به ، وان أصابته فتنة انقلب على وجهه " لأن الثبات فى الدين انما يكون لو كان الغرض منه اصابة الحق وطاعة الله والخوف من عقابه . فأما اذا كان غرضه الخير المعجل فانه يظهر الدين عند السراء ويرجع عنه عند الشراء فلا يكون الا منافقا مذموما وهو مثل قوله تعالى " مذيبين بين ذلك " وكقوله " فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم " ، " خسر الدنيا والآخرة " فذلك لأنه يخسر فى الدنيا العزة والكرامة واصابة الغنيمة وأهلية الشهادة والامامة والقضاء وما يبقى ماله ودمه مصونا ، وأما فى الآخرة فيفوته الثواب الدائم ويحصل له العقاب الدائم .

(" وذلك هو الخسران المبين ")

ومثال ما سبق قوله تعالى " ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى

فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربنا لآتين : ربك استولن انا كنا معكم " (٢)

فهذا نموذج لنوع معين من الناس ، فكأن الآيات تذكر الواقع المعهود

فى مثل هذه النماذج .

(١) التفسير الكبير للرازى ج ٢٣ ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) سورة العنكبوت آية (٨ - ١٠) .

ونرى نموذج من يريد الحياة بأى ثمن ، ويريدها كيفما تكون ويحرص ^{سيف} عليها ليقبل في سبيلها مالا يقبله ذو شمس " ولتجدتهم أحرص الناس على حياة " (١)

فهذا واقع نوع من الناس ولكن في الانسانية يوجد الخير كما يوجد الشر . فكما قلنا أن القرآن وهو كتاب الله أعطى لنا النماذج بواقعيته في الانسان بخيره وشره فمنهم " المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلست قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وظى بهم يتوكلون " (٢) وأمثالهم كثير ، ولكن آتينا ببعض من هذه النماذج كي نبين ههنا الواقعية التي لا كذب فيها ولا خيال ولا تزيف بل فيها الصدق كل الصدق . وواقعية القصة القرآنية قضية محققة وثابتة للانسان مهما كان زمن الحديث عنه . ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا .

فإنها الماضى في كتاب الله كثيرة ولتعدد المواقف والحالات تتشمل في القصص الرائع الهادف والتي تتحدث عن سير المرسلين ومناهج المؤمنين ، ومواقف أعداء الرسل الكافرين ، مما كان لكل قوم مع رسولهم من الصناديق أو الهدى يهدى الرسل وما أرسلوا به اليهم من دعوة الى الله وهداية للبشر الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم .

ف نجد القصص القرآني قد أتى لنا بصور من الماضى وأخبار مشوقة هسي بمثابة الهدى للانسان المتبصرت بمعالم الطريق القويم المستقيم . فنجد لمرضه التشويق والتعريب الى سماع هذا القصص الماضى بأسلوب بليغ قوى فيه الموعظ والعبور ، فتسير المشاعر النبيلة في الانسان ، وتحمله على

(١) سورة البقرة آية (٩٦) .

(٢) سورة الأنفال آية (١ - ٢) .

الاقتداء والتأسى فى العمل بها .

ولقد ذكر الله جل شأنه قصصا كثيرة من الماضى كقصة ذى القرنين وأصحاب الكهف ، وقصة ابنى آدم وكثير من قصص الأنبياء وغير ذلك من القصص .

قال تعالى " واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال : لأقتلك قال : انما يتقبل الله من المتقين ، لكن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين ، انى أريد أن تبوء بائسى واثمك فتكون من أصحاب النار ذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله وأصبح من الخاسرين ، فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتى ! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورى سوءة أخى ، فأصبح من النادمين " (١)

فهذه قصة من قصص القرآن الكريم توضح لنا واقعية القرآن الكريم ودورانه مع هذه الواقعية فى الماضى وهذه الآيات تصور النفس الانسانية على ما هى عليه فى هذا الزمن الغابر .

فنحن أمام لونين من النفوس البشرية ، نفس مؤمنة ونفس غير مؤمنة . وحقيقة النفس المؤمنة : اعترافها بفضل الله عليها واعلانها ذلك " انما يتقبل الله من المتقين " كما أن هذه النفس لا تحب العدوان على الغير بل انها تحفو وتتسامح وتغفر بذلك " لكن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك " وليس ذلك من ضعف ولا هوان وانما ذلك للخوف من الله تعالى مالك الملك ومدبر الحياة " انى أخاف الله رب العالمين " .

(١) سورة المائدة آية (٢٧ - ٣١) .

والنفس المؤمنة تفرح في ذكرها المال الأخير بعد الحساب لتجزي

خيرا وثيراً من الآثام " انى اريد ان تبوء بائسى واضع " ، وهذا عن
النفس المؤمنة وواقعها .

أما النفس الجاحدة الباغية فتلجأ الى العدو وان والتهديد " لأقطنك "
وهي لا تخاف الله وانما همها كله الكسب المادى مهما كان السبيل اليه
لا يخاف النار ولا يراجع فى الجنة ، والهيه هواه " فطوعت له نفسه قتل
أبيه فقتله " وبعد أن تركب النفس الشريرة الآثام تدم ، " فأصبح
عن النادمين " وثقت سيارتها على تصرفاتها وتكلم فيها على ضعفه
وتشعر أنها أضعف كما ظهر فى تبعية الأخ غير المؤمن للغراب ، هذه
هى النفس غير المؤمنة وواقعها .

والنفس هى النفس ، وتصوير القرآن لها هو الواقع نشاهد اليوم
كما حدث مع وادى آدم من الماضى الساق ، وكما سوره القرآن الكريم .
ونرى قوله تعالى " تلك من أنبياء الشيب نوحىيا اليك ، ما كنت
تسلمها أنت ولا قولاً من قبل هذا ، فاصبر ان العاقبة للمتقين " (١)

(١) فالشيب صدر رغابت الشمس وضيها اذا استترت عن العين ، يقال
فأبى عنى كذا ، قال تعالى " أم كان من الناعين " واستعمل فى كل
فأقب عن الحاسة وما ينشأ عن ظم الانسان بعمق الغائب قال تعالى
" وما من فاعية فى السماء والأرض الا نرى كتاب مبين " ويقال للشئ فيسب
وغائب بافتقاره بالناس لا بالله تعالى فانه لا يشيب عنه شئ كما لا يمزب
عنه مقال فورة فى المساوات ولا فى الأرض (٢)

(١) سورة دود آية (٤٩) .

(٢) المفردات للأخفش ص ٢٦٧ .

() فقله تعالى " تلك " أى تلك الآيات التى ذكرناها ، وتلك التفاصيل التى شرحناها من أنباء الغيب ، أى من الأخبار التى كانت غائبة عن الخلق (١)

وقوله تعالى " ما كنت تعلمها " أنت ولا قومك " والمعنى (أنك ما كنت تعرف هذه القصة ، بل قومك ما كانوا يعرفونها أيضا ، ويظنونه أن تقول لانسان لا تعرف هذه السألة لا أنت ولا أهل بلدك ،) فاصبر ان العاقبة للمتقين " والمعنى : يا محمد أصبر أنت وقومك على أذى هؤلاء الكفار ، وفيه تنبيه على أن الصبر عاقبته النصر والظفر والفرح والسرور كما كان لنوح عليه السلام ولقومه (٢)

ومما يدل أيضا عن الواقعية القرآنية فى الماضى ما ذكر فى قوله تعالى " ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، ما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم اذ يختصمون " (٣)

() يحنى جل ثناؤه بقوله : " ذلك الاخبار التى أخبر بها عباده عن امرأة عمران وابنتها مريم وزكريا ، وابنه يحيى ، وسائر ما فى فى الآيات من قوله تعالى " ان الله اصطفى آدم ونوحا " ثم جمع سبحانه كل هذا بقوله ذاك ، فقال : " هذه الأنباء من أنباء الغيب : أى من أخبار الغيب ، ويعنى بالغيب أى أنها من خفى الأخبار القوم التى لم تطلع أنت يا محمد عليها ولا قومك ، ولم يعلمها الا قليل من أخبار أهل الكتابين ورهبانهم) (٤) ومع أنها من غيب فهى الواقع الذى حدث.

-
- (١) التفسير الكبير للرازي ج ١٨ ص ٨ .
 - (٢) نفس المصدر السابق ج ١٨ ص ٨ .
 - (٣) سورة آل عمران آية (٤٤) .
 - (٤) تفسير الطبرى ج ٣ ص ٢٦٦ .

وكذلك ما نراه في قوله تعالى " ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك " ،
وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون " (١)
فقوله تعالى " من أنباء الغيب " من أخبار الغيب الذي لم تشاهده ، ولم
تعينه ، ولكننا " نوحيه اليك " ونعرفك ، ليثبت به فؤدك ، ونشجع به
قلبك ، وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك في ذات الله (٢)
ومثله أيضا ما نراه في سورة القصص في قوله تعالى " وما كنت بجانب
الغربي إذ قضينا الى موسى الأمور ما كنت من الشاهدين ، ولكننا أنشأنا
قرونا فتناول عليهم العمر وما كنت ثابوا في أهل مدين تلووا عليهم
آياتنا ولكننا كنا مرسلين ، وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من
ربك لتتذرقوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ، ولولا أن
تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع
آياتك ونكون من المرسلين " (٣)

() قوله " لتتذرقوما ما آتاهم من نذير من قبلك " فالانذار : التخويف
بالعقاب على المعصية ، ولما بين سبحانه وتعالى قصة موسى عليه السلام
قال لرسوله " وما كنت بجانب الغربي ، وما كنت ثابوا في أهل مدين ،
وما كنت بجانب الطور " فجمع تعالى بين كل ذلك لأن هذه الأحوال
الثلاثة هي الأحوال العظيمة التي اتفقت لموسى عليه السلام ، ان المراد
بقوله " إذ قضينا الى موسى الأمر " انزال التوراة حتى تكامل دينه واستقر
شرعه ، والمراد بقوله " وما كنت ثابوا " أول أمره والمراد ناديناه وسبط

-
- (١) سورة يوسف آية (١٠٢) .
 - (٢) تفسير الطبري ج ١٤ ص ٧٥ .
 - (٣) سورة القصص آية (٤٤ - ٤٧) .

أمره وهو ليلة الصاغة ، ولما بين تعالى أنه عليه السلام لم يكن فى هذه الأحوال حاضرا بين تعالى أنه بعثه وعرفه هذه الأحوال رحمة للعالمين ثم فسر تلك الرحمة بأن قال " لتتذرقوما مآتاهم من نذير من قبلك " اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : لم يبعث اليهم نذير منهم ، (وقال بعضهم) : حجة الأنبياء التى كانت قائمة عليهم ولكنه ما بعث اليهم من يجدد تلك الحجة عليهم (وقال بعضهم) : لا يبعد وقوع الفترة فى التكليف فيبعث الله تعالى تقريرا للتكاليف وازالة لتلك الفترة (١) وهذا الرأى الأخير هو ما أرجأه وأراه صوابا .

من مجموع تلك الآيات السابقة أرى أن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا عن قصص من الماضى لو لم يخبرنا بها لما عرفناها ، فحينما أخبرها لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم عرفها عنه سبحانه وتعالى وذلك كما سبق وأشارنا اليه عن أخبار مريم ابنة عمران ، وما قضى الى موسى عليه السلام وما تلاه من أحداث وغيره من أنبياء الغيب ، فلو لم يخبرنا تعالى بها لما عرفناها وما أحطنا بها ، فذلك هو الواقع المشار اليه فى الزمان الماضى ، فهو واقع قد وقع فى الزمان الغابر وأخبرنا به الله عز وجل ، وهو يدور مع واقع الماضى .

من تلك الأمثلة السابقة المبثوث عرضنا لها - ومثلها كثير - من قصص القرآن الكريم - نرى أن القصة القرآنية صورت لنا المؤمنين وإيمانهم ، وكفر الكافرين وحالهم مع رسلهم وصورت لنا ذلك فى أحلى أسلوب وأسهله لفظ بطريقة مشوقة وصلت إليها حد الإعجاز لأن مثل ذلك لا يستطيعه بشر .

(١) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ٢٥٨ .

ولاشك - فالقصة القرآنية - وجميع آي القرآن - هي معجزة تدور مع
الواقع في الماضي بكل ما فيه من أحداث وصور وملابس وتنقلها لنا صورة
حية واضحة جلية تصلح أن تكون مبرة وعظة لكل عصر ولكل زمان مهما طال
الأمد عليها .

وأخبار القصص الماضية تعيش واقع الانسان الحاضر وحقيقته الثابتة
ولأنها تصوير للانسان في كافة الأزمنة .

فلو عزلنا القصة الماضية - أي قصة - عن ذوات أصحابها وأبقينا على
حوادثها فقط ، لو فعلنا ذلك لخيّل لنا أن القصة تقع في الزمن الحاضر
بل وتتكرر في مختلف البيئات ، فالانسان هو الانسان ، وهذا ما يجعلنا
نقول ان القصة تدور مع الزمن الحاضر ، فكأن واقعية الماضي تعنى تصوير
حقيقة ما وقع فعلا ، وواقعية الحاضر تعنى تكرر الحدث وترايط وقائع
الماضي مع حوادث الحاضر ولو قلنا واقعية المستقبل فان ذلك يعنى
امكانية تكرر الحوادث بنفس وقائعها كما كانت في الماضي والحاضر وذلك
أكبر برهان على الواقعية القرآنية .

ونرى في مثل قصة ولدي آدم عليه السلام التي تحكى لنا واقع
أخوين في الماضي هما قابيل وهابيل ابنا آدم - هذا الواقع الذي حدث
في الماضي ، هو ما نشاهد مثله في الواقع الحاضر ، وليس بمعجيب أن
نقول ذلك ، فليس من المستبعد ان يقتل الأخ أخاه بدافع الغيرة أو
الحقد وما الى ذلك من دوافع ، ويمكن أن يحدث أيضا ذلك في المستقبل
لأن الانسان هو الانسان ، فنرى قوله " لأقتلك " : قال انما يتقبل الله
من المتقين " الواقع الانساني الحقيقي أخ يريد قتل أخيه وهو النفس
الشريرة - والآخر يقول له - انما يتقبل الله من المتقين - يجاوبه بكسل

هدوء واتزان فهو بخلاف أخيه ~~معلمنا~~ - وهو النفس الخيرة - فواقع الانسان
عموما يوجد فيه هذه الصفات الانسانية الخير والشر ، الفضيلة والرذيلة ،
" لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك انى أعاف
الله رب العالمين " هذا هو واقع الانسان - فذلك ولا شك ما حدث فى
الماضى ويليق أن يحدث فى المستقبل لأن واقع الانسان هو ذاك .

وهي ذلك الذى ذكرته بيان لواقعية القصص القرآنى فهو خال من
المبالغة أو الخيال أو التنقص - وكافة وقائعه تصوير أمين للانسان يتكرر
حاضرا ومستقبلا . وصدق الله تعالى " نحن نقص عليك نبأهم بالحق "
" ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه "
ولا غرابة اذا أن يلجأ العلماء الى فهم الانسان والوقوف على حقيقته ههنا
خلال هذا القصص الكريم .

ولعل عدم تناول القصص القرآنى للأمراض الزائلة فى الوقائع كأسماء
الأشخاص وأعمارهم وأماكن وجودهم مما يؤكد التلازم بين القصص والانسان
فى كافة العصور .

الفصل الرابع

تسامي أهداف القصة القرآنية

التسامي في الهدف :

التسامي في الهدف من الخصائص التي تميز بها القصص القرآني وحينما نتأمل قصص القرآن نرى أن فيها من هذا الشيء الكثير حيث تبليغ الدعوة الإسلامية عن طريق القصة وبذلك ترتقى بالإنسان إلى الفضيلة وتتسامى به إلى الأفضل والأحسن دائما وتتعد به عن مواطن الزلل والضعف .

فنرى هذا التسامي في الدعوة إلى توحيد الله وعدم إشراك غيره معه والدعوة إلى ترك العادات الذميمة والتمسك بالأخلاق الكريمة وتلك كانت مهام الرسل عليهم الصلاة والسلام .

فالقصص القرآني قصص حسن لا يدعو إلى شيء إلا ويقصد من ورائه هدفا نبيلاً في غايته ، ولا ينهى عن شيء إلا وكان النهي عنه فيه حكمة جميلة .

القصص القرآني إذا يدعو إلى التسامي وإلى الارتفاع عن الرذائل إلى الفضائل وليس أدل على ذلك من القصص نفسه .

فنوح عليه السلام يدعو قومه إلى ترك ما هم عليه من ضلالة وعدم عبادة غير الله وحده لا شريك له ، فقال تعالى " ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه اني لكم نذير مبين ، ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم" (١) وهكذا كل نبي في قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده وعدم إشراك غيره معه .

(١) سورة هود آية (٢٦) .

فترى هودا وشعيبا وصالحا ولوطا كلهم دعوا أقوامهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ، فذلك تسام في الهدف ونبل في المقصد .

وحتى يبلغ القصص القرآني الى غاياته وأهداه نراه حين يعرض قصة من الفاحشة لا يعرضها لاثارة القارىء وانما يعرضها بصورة مختصرة وفي شكل مقبوت يكرهها من يقرأها أو يطلع عليها (لحظة الجنس -

منحرفة أو غير منحرفة - لا تستأهل الوقوف الطويل عندها فانها ليست هي الحياة ، انما هي وسيلة من وسائل الحياة . انما عارض يعرض في الحياة ويقضى ، يقضى ليفسح المجال لأهداف الحياة العليا الجديدة

بالتحقيق ، يفسح المجال للتصور الايماني الكبير للكون والحياة والانسان (١) ولقد عرض القرآن الكريم لحظة الجنس (كما ينبغي لها أن تعرض لحظة ضعف لا لحظة بطولة ، ولحظة عابرة يفوق منها الانسان الى ترفعها

فلا يكون ذلك داعية للوقوف الطويل الذي يجذب القارىء الى الناحية الجنسية أو وصفها .

ومثل ذلك التسامى أيضا نراه فى قصة لوط مع قومه حيث يقول لهم :
" أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين انكم لتأتون الرجال
شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (١)

() فلقد ثبت بالتواتر الظاهر من دين محمد حرمة هذا العمل ، والمبالغة
فى المنع فيه ، ولذلك سماه فاحشة ولم يدل على سبب فحشه ، والاستدلال
إذا وقع فى مقابلة النقل المتواتر كان باطلا ، وفى قوله " بل أنتم قوم
مسرفون " ، المعنى كأنه قال لهم : أنتم مسرفون فى كل الأعمال ، فلا يبعد
منكم أيضا اقدامكم على هذا الاسراف (٢)

ومن هنا نرى أن هدف هذه القصة سام وعال ونبيل حيث نرى
الاسلام قد حارب اللواط ، وجعل للفاعليه العقاب الشديد الذى يستحقه
ازاء ذلك العمل .

نرى سمو القرآن أيضا فى قصة صالح عليه السلام اذ يقول لقومه:
" انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر
ان أجرى الا على رب العالمين ، أتتركون فيما ها هنا آمين ، فى جنات
وعيون ، وزروع ونخل طيبها هضيم ، وتنتحون من الجبال بيوتا فارهين ،
فاتقوا الله وأطيعون ، ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون فى
الأرض ولا يصلحون " (٣)

() اعلم أن ظاهر هذه الآيات يدل على أن الغالب على قوم صالح هو

-
- (١) سورة الأعراف آية (٨٠ - ٨١) .
 - (٢) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٧٠ .
 - (٣) سورة الشعراء آية (١٤١ - ١٥٢) .

اللذات الحسية وهي طلب المأكل والمشروب والمساكن الطيبة الحضيئة
" ولا تلبسوا أمر المسرفين " وهذا إشارة الى أنه يجب الاكتفاء من الدنيا
بقدر الكفاف (١) .

ويتضح هنا أيضا سمو القصص القرآني بالإنسان ودعوته الى عدم
الاسراف والافراط فهو يأخذ به الى مواطن الفضيلة وينأى به عن مواطن
الزلل والسقوط .

نرى أيضا ذلك التسامى في أهداف القصص القرآني النبيلة في قصة
هود مع قومه حيث يقول لهم :

" انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر
ان أجرى الا على رب العالمين ، أتنبون بكل ريع أية تصبثون ، وتتخذون
مصانع لعلكم تخلدون ، واذا بطشتم بطشتم جبارين " (٢)

فنرى في هذه الآيات قوله تعالى :

(١) " أتنبون بكل ريع أية تصبثون "

(٢) " وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون "

(٣) " واذا بطشتم بطشتم جبارين "

() والريغ : هو المكان المرتفع ، والآية : العلم .

والمصانع: مأخذ الماء ، وقيل القصور المشيدة والحصون .

وحاصل الأمر في هذه الأمور الثلاثة أن اتخاذ الأبنية العالية ،

يدل على حب العلو ، واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء ،

(١) التفسير الكبير للرازي ج ٢٤ ص ١٥٤ .

(٢) سورة الشعراء آية (١٢٥ - ١٣٠) .

والجبارية تدل على حب الفرد بالملو ، فيرجع الحاصل أنهم أحبوا الملو ويقاءء الحلو والفرد بالملو ، وهذه صفات الالهية وهي ممتعة الحصول للعبد ، فدل ذلك على أن حب الدنيا قد استولى عليهم بحيث استغرقوا فيه وخرجوا عن حد العبودية وحاموا حول ادعاء الربوبية ، وكل ذلك -
فيه على أن حب الدنيا رأس كل شائفة وضوان كل كهر ومحصية (١)

فهنا في هذه القصة تبين لنا كيف أن الدنيا هي عرض زائل يجب ألا ينصب هم الانسان عليها فقط بل عليه أن يكون حريصا على الآخرة أيضا فيحصل كل ما يرضى الله وهامى قصة هود تبين لنا حقيقة مثل هذا العمل ولا بد أن يفهم الانسان أن الدنيا دار ممر لا دار مستقر .

فهذه النماذج من القصص القرآني تبين لنا السمو في الأهداف ، وهذا التسامي لا يكون في موان واحد بل هو متعدد الموان ، وهو دائما وأبدا يسعى الى (إقامة مجتمع نأيف وتربية نفوس مستقيمة ، وإقامة الحق والعدل في الأرض ، مع تمسح الناس بحقوقهم ، وتجميل الحياة لهم بحيث تستحق أن تعاش في غير فتنة ولا انحراف) (٢)

ونرى القصص القرآني يتعرض لأخلاقيات مختلفة في البشر مما يؤكد حرص القرآن على تركيز الأخلاق الحسنة والأيبة في الانسان ونبيذ ما سوى ذلك مؤيدا حسنها منفراسيئها ، فالتماسي في الهدف من أهم صفات هذا الكتاب المبين ، إذ أنه في أهدافه كما في دعوة الرسل الى أقوامهم بالتوجيهات وبيان أصول الايمان ، ومكارم الأخلاق ، وجزاؤها والسيئات وما قبلتها .

(١) التفسير الكبير للرازي ج ٢٤ ص ١٥٧ ، وانظر تفسير الدابري ج ١٩ ص ٩٣

(٢) منهج الفن الاسلامي ص ٢٣٥ .

الباب الثاني

تكرار

القصص

القرآنية

تمهيد :

التكرار في القصة القرآنية معناه أن ترد القصة الواحدة عدة مرات في مواضع متعددة ، وهذا التكرار لا يتناول القصة كلها فسي كل مرة وإنما يتناول بعض جزئياتها ، وفقا لما يقتضيه الحال التي ترد من أجله القصة ، وكل اعادة لجزئية من جزئيات القصة يكون بلفظ يفيد تفننا في الأسلوب وزيادة في المعنى بطريقة لا يستطيعها سوى الخالق عز وجل .

ان التكرار نوع من التأكيد وله مواطن ومواضع متعددة فهو في السور المكية أكثر منه في السور المدنية ، لأن الله سبحانه وتعالى أعلم بما يتناسب من الخطاب مع أهل مكة وما يتناسب من الخطاب مع أهل المدينة .

ومن المعلوم أن أهل مكة كانوا قوما منكرين متعصبين لم يسبق لهم دين يتبعونه أو يذكرون غيره ، أما أهل المدينة فقد خالطوا أهل الكتاب الذين يعيشون معهم ^{ويسمعون} عن الأديان أكثر من غيرهم ولذلك كانوا ينتظرون رسولا يأتيهم ، ومن هنا اختلف الخطاب في المدينة عنه في مكة .
(فأهل مكة قص الله عليهم من أنباء الرسل وأممهم السابقة ، ما فيه أبلغ المواعظ وأنفع العبر ، من تقرير سنته تعالى الكونية في اهلاك أهل الكفر والطغيان وانتصار أهل الايمان والاحسان ، مهما طالت الأيام وامتد الزمان ، ماداموا قائمين بنصرة الحق وتأييد الايمان) (١)

وذلك لأنهم كانوا في حاجة الى المواعظ والوعظ وقص القصص وإيراد ه
مكررا ، ونظرا كجحد هم وتكذيبهم نرى القصص المكي قد تضمن أصول
الدعوة ، وقضايا التوحيد ، والوحي ، والبعث ، والارشاد الى أمهات
الأخلاق الفاضلة التي كان يقتضيها وضع القوم علاوة على ذلك نلاحظ :
(أن الله سبحانه وتعالى سلك مع أهل مكة سبيل الإيجاز في خطابه ،
حتى جاءت السور المكية قصيرة الآيات ، صغيرة السور ، لأنهم أهمل
فصاحة ولسن صناعتهم الكلام ، وهمتهم البيان ، فيناسبهم الإيجاز ،
والإقلال دون الإسهاب والإطناب) (١)

ولعل هذا سر كثرة التكرار في القصص القرآني المكي أكثر منه في
القصص القرآني المدني ، فالله سبحانه وتعالى أعلم بما يتناسب مع
حال عباده من أنواع الخطاب ، فجعل ما يتناسب مع أهل مكة غير ما يتناسب
مع أهل المدينة .

وسوف أتناول ظاهرة التكرار وما يتصل بها في الفصول التالية :

(١) مناهل العرفان ج ١ ص ١٢٧ .

الفصل الأول

أنواع التكرار في قصص القرآن

أنواع التكرار للتحفة في القرآن :

وللتكرار صور متعددة تأتي خلال الآيات القرآنية فنراه تجرأ جزئياً
ويراد به تكرر كلمات أو آيات بنفس ألفاظها - وتكرار اللفظ الواحد .
فالتكرار الجزئي يأخذ عدة صور أهمها :

أ - تكرر الجمل والآيات .

ب - تكرر اللفظ والكلمة .

ج - تكرر القصة الواحدة .

ولكل صورة دلالتها وفوائدها ، أما تكرار الجمل والآيات فنراه مثلاً

في سورة المرسلات في قوله تعالى :

" وإذا الرسل أقتت ، لأى يوم أجلت ، ليوم الفصل ، وما أدرنا ما يوم
الفصل ، ويل يومئذ للمكذبين ، ألم نهلك الأولين ، ثم نتبهم الآخرين ،
كذلك نفعل بالمجرمين ، ويل يومئذ للمكذبين ، ألم نخلقكم من ماء مهين ،
فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم ، فقد رنا فنعم القادرون ، ويل
يومئذ للمكذبين ، ألم نجعل الأرض هاتا ، وأحياء وأمواتا ، ويل يومئذ
للمكذبين ، رواسبى شامخات وأسقيناكم ماء فراتا ، ويل يومئذ للمكذبين ،
انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون ، انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل
ولا يغنى من اللهب ، انها قمرى بشور كالقصور ، كأنهم جمالت صقر ،
ويل يومئذ للمكذبين ، هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ،
ويل يومئذ للمكذبين ، هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين ، فان كان لكم
كيد فكيدون ، ويل يومئذ للمكذبين ، ان المتقين في ظلال وعيون ، وشواكه
ما يشتهون ، كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ، انا كذلك نجزي
المحسنين ، ويل يومئذ للمكذبين ، كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون ، ويل

يومئذ للمكذبين ، واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ، ويل يومئذ للمكذبين ،
فبأى حديث بعده يومئذون " (١)

(تعرض السورة من مشاهد الدنيا والآخرة ، وحقائق الكون والنفوس ،
ومناظر الهول والعذاب ما تعرض ، وعقب كل معرض ومشهد تفتح القلب
المذنب لفحة كأنها من نار " ويل يومئذ للمكذبين " ويتكرر هذا التعقيب
عشر مرات في السورة ، وهو لازمة الإطباق فيها ، وهو أنسب تعقيب
لظلمتها الحادة ، ومشاهدها العنيفة ، وإيقاعها الشديد) (٢)

ونلاحظ هنا أن للتكرار في هذه الآيات وقعاً على النفس وتأثيراً

حيث نراه يفجأ المكذبين بكذبهم فيفجهم بمآل أعمالهم .

وما نراه أيضاً من التكرار الجزئي في سورة القمر ، فنشاهد قوله
تعالى " وحملناه على ذات ألواح ودسر ، تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ،
ولقد تركناها آية فهل من مدكر ، فكيف كان عذابي ونذر ، ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر ، كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ، انا
أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم أعجاز
نخل منتعمر ، فكيف كان عذابي ونذر ، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر ، كذبت ثمود بالنذر ، فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا
إذا لفي ضلال وسعر ، ألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشسر ،
سيعلمون فدا من الكذاب الأشسر ، انا أرسلوا الناقة فثمة لهم فارتقبهم
واصابهم ، ونبئهم أن الماء قسمه بينهم كل شرب محققير ، فنادوا صاحبهم

(١) سورة الرسالات آية (١١ - ٥٠) .

(٢) في دلائل القرآن لسيد قطب المجلد ٦ ج ٢ ص ٣٧٨٩ .

فتعاطى همقرو، فكيف كان عذابي ونذر ، انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المعتذر ، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * (١)
وهكذا تفضى السورة الى نهايتها ، وفيها نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى كرر " فذوقوا عذابي ونذر " ، " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " .

(وهذا التعقيب الذي تكرر بعد كل مقطع يصور المشهد ويقف السياق عنده بالقلب البشري يدعو دعوة هادئة الى التذكر والتدبر ، بعد أن يمزق عليه حلقة من العذاب الأليم الذي حل بالمكذابين) (٢)

وفي قوله تعالى " فكيف كان عذابي ونذر " وتكرير قوله تعالى " فهل من مدكر " .

ففي الأولى نرى أن النذر جمع نذير فهل هو مصدر كالنسيب والنحيب أو فاعل كالكبير والصفير ؟ ، يقول أكثر المفسرين طي أنه مصدر هيننا ، أي كيف كان عاقبة عذابي وعاقبة انذاري ، والظاهر أنه الأنباء ، أي كيف كان عاقبة أعداء الله ورسوله ؟

هل أصاب العذاب من كذب بالرسول أم لا ؟ فإذا طمت الحال يا محمد فاصطبر فان عاقبة أمرنا كعاقبة أولئك النذر ولم يجمع العذاب لأنه مصدر ولو يجمع لكان فو جمعه تقدير وفرض ولا حاجة اليه .

أما الثانية " فهل من مدكر " أي متذكر لأن الافتعال والتفعل كثيرا ما يجرى بمحضى ، وطوى هذا فلو قال قائل هذا يقتضى وجود أمر سابق فنسى ، نقول ما في الفطارة من الانقياد للمعق هو كالمحسوس فهل من مدكر يرجع الى ما فدار عليه ، وقيل فهل من مدكر أي عاقبة أو متعظ ، وطوى قولنا المراد

(١) سورة القمراية (١٣ - ٣٢) .

(٢) تفسير فو ذلال القرآن لسيد قطب المجلد الساد من ج ٢٧ ص ٣٤٣١

متذكرة إشارة إلى تاهور الأمر فكانه لا يحتاج إلى نكر ، بل هو أمر عاصم
عنده لا يحتاج إلى معاودة ما عند غيره (١)

(وفي إعادة الآية أو جزء منها نرى أنها في كل مرة تعدينا معنى
جديداً بصورة بليغة . حيث نرى أن قوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر)
في حكاية نوح للتعظيم ، وفي حكاية شعوب للبيان ، وفي حكاية عاد مرتين
للتعظيم والبيان جميعاً .

وأطمأن الله تعالى ذكر " فكيف كان عذابي " في ثلاث حكايات أربع
مرات فالمرّة الواحدة للانداز ، والمرات الثلاث للانداز لأن المقصود عسل
بالمرة الواحدة وقوله تعالى " فبأى آلاء ربكما تكذبان " ذكره مرة للبيان ،
وأعادها ثلاثين مرة غير المرة الأولى كما أعاد " فكيف كان عذابي ونذر ثلاث
مرات غير المرة الأولى فكان ذكر الآلاء عشرة أمثال ذكر العذاب إشارة إلى
الرحمة . (٢)

وفي ذكر قوله تعالى " فكيف كان عذابي ونذر " أربع مرات لبيان ما في ذلك
من المعنى ، وثلاث مرات للتقرير والتكرير ، وللثلاث والسبع من بين
الأعداد فوائدها ذكرناها في قوله تعالى " والبحر يمدده من بعده سبعين
أبعر " فلما ذكر العذاب ثلاث مرات ذكر الآلاء إحدى وثلاثين مرة للبيان
ما فيه من المعنى ، وثلاثين مرة للتقرير ، والآلاء مذكورة عشر مرات أضعاف
مرات ذكر العذاب (٣) إشارة إلى معنى قوله تعالى " من جاء بالحسنة فله
عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزيه إلا مثلها وهم لا يظلمون " (٤)

(١) التفسير الكبير ج ٩ ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) نفس المصدر ج ٢٩ ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٩٦ .

(٤) سورة الأنعام آية (١٦٠) .

وهكذا نرى التكرار الجزئى فى الآيات والجملة الذى يتكرر فى السورة الواحدة ، بين جزيئات الآيات كما شاهدنا ذلك فى سورة المرسلات وسورة القمر وسورة الرحمن وغيرها .

ويتضح ذلك ، أيضا فى سورة الشعراء حيث كررت الآية الكريمة "إن فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين ، وأن ربك هو العزيز الرحيم" ثمان مرات وكانت ملائمة لمكانها حيث أتت فى كل مرة بمعنى ومغزى تقتضيه فى سياقها . فاستمع اليه تعالى حيث يقول :

"أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ، إن فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين ، وأن ربك هو العزيز الرحيم" (١) ويكرر الآية فى موضع آخر فيقول تعالى " فأوعينا إلى موسى أن أضرب بعضاً من البحر فانطلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين ، إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وأن ربك هو العزيز الرحيم" (٢)

وكررت تلك الآية ست مرات عبرة وعظة للقوم المكذبين المعاندين فى كل

مرة

ومن التكرار الجزئى تكرر كلمة بعينها :

كما فى قوله تعالى " ولله ما فى السموات وما فى الأرض ، وكان الله غنيا غميدا ، ولله ما فى السموات وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيلاً" (٣)

(١) سورة الشعراء آية (٧ - ٩) .

(٢) سورة الشعراء آية (٦٣ - ٦٧) .

(٣) سورة النساء آية (١٣١ - ١٣٢) .

وقد يكون التكرير فى الآفة الواحدة وذلك لتثبت ماكرر نفسى النفس كما فى قوله تعالى " يا أيها الذفن آمنوا ، اتقوا الله ، ولتنظر نفس ما قدمت لفسد ، واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعملون " (١) وكذلك قوله تعالى :

" واذا قالت الطلائكة يا مريم ، ان الله اصطفاك ، وطهرتك ، واصطفاك على نساء العالمين " (٢)

ونرى القرآن يؤكد الصفات التى يختص بها الله عز وجل حتى ترسخ فى أذهان الناس مثل قوله تعالى مكررا " ان الله على كل شىء قدير ، ان الله سميع عليم - ان الله يرزق من يشاء بغير حساب - ان الله لا يخلق المعاد - ان الله غفور رحيم - ان الله شاكرا عليم - ان الله بما تعملون خبير .

فهذا التأكيد يرسخ معانى هذه الصفات فى نفس الانسان وذلك التكرير هو من عوامل ترسيخ هذه الصفات فى النفس لأنه بتكراره على السمع تلك الصفات مما يمكنها ويرسخها فى النفوس .

(ونرى من تكرار الكلمات :

التوكيد اللفظى : بأن يكرر السابق بلفظه سواء أكان المكرر اسما ، أو فعلا ، أو اسم فعل ، أو حرفا ، أو جملة . (٣)

(١) سورة الحشر آفة (١٨) .

(٢) سورة آل عمران آفة (٤٤) .

(٣) أنظر الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ٢ ص ٨٥ الطبعة

الرابعة ١٣٤٨هـ - ١٩٧٨م .

- كما في قوله تعالى " كلا اذا دكت الأرض دكا دكا " (١)
وقوله تعالى " فمهل الكافرين أمهلهم رويدا " (٢)
وقوله تعالى " هيهات هيهات لما توعدون " (٣)
وقوله تعالى " أيعدكم أنكم اذا متم ، وكنتم ترابا وعظاما
أنكم مخرجون " (٤) .
وقوله تعالى " ان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا " (٥)
(ومنه تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل) (٦) :
كما في قوله تعالى : " قالوا يا موسى اما أن تلقى ، واما أن نكون
نحن الملقين " (٧)
وقوله تعالى " اسكن أنت وزوجك الجنة " (٨)
وقوله تعالى " فاذهب أنت وربك " (٩)
ومن أنواع التكرار :
(تأكيد الضمير المنفصل بمثله) (١٠)
مثل قوله تعالى " الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم
بالآخرة هم يوقنون " (١١)

-
- ١) سورة الفجر آية (٢١)
 - ٢) سورة الطارق آية (١٧)
 - ٣) سورة المؤمنون آية (٣٦)
 - ٤) سورة المؤمنون آية (٣٥)
 - ٥) سورة الانشراح آية (٥-٦)
 - ٦) الاتقان ج ٢ ص ٨٥
 - ٧) سورة الأعراف آية (١١٥)
 - ٨) " البقرة آية (٣٥)
 - ٩) " المائدة آية (٢٤)
 - ١٠) الاتقان ج ٢ ص ٨٥
 - ١١) سورة الشعراء آية (١٥)

- ومثله قوله تعالى " وهم بالآخرة هم كافرون " (١)
- () ومنه تأكيد الفعل بمصدره ، وهو عوض عن تكرار الفعل
موتين ، وفائدته رفع توهم المجاز في الفعل (٢)
- مثل قوله تعالى " وكلم الله موسى تكليما " (٣)
- وقوله تعالى " وسلموا تسليما " (٤)
- وقوله تعالى " تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا " (٥)
- () وقد يؤكد الفعل بمصدر فعل آخر نيابة عن المصدر
واسم عين (٦)
- كما في قوله تعالى " واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتلا " (٧)
- والمصدر : تبتلا ، والتبتل مصدر بتل - أنبتكم من الأرض نباتا
أى : انبأنا ، اذ النبات اسم عين (٨)
- () ومن التكرار مجيء الحال المؤكدة : (٩)
(١٠)
- مثل قوله تعالى " وأرسلناك - للناس رسولا "

-
- (١) سورة هود آية (١٩) .
 - (٢) الاتقان ج ٢ ص ٨٥ .
 - (٣) سورة النساء آية (١٦٤) .
 - (٤) سورة الأحزاب آية (٥٦) .
 - (٥) سورة الطحور آية (٤-١٠) .
 - (٦) الاتقان ج ٢ ص ٨٦ .
 - (٧) سورة الجن آية (٨) .
 - (٨) الاتقان ج ٢ ص ٨٦ .
 - (٩) نفس المصدر السابق ص ٨٦ .
 - (١٠) سورة النساء آية (٦٥) .

(١) ومنه التأكيد بان (١)

مثل قوله تعالى " ان علينا للهدى ، وان لنا للآخرة والأولى " (٢)

(٣) ومنه التأكيد بضمير الفصل (٣)

ومثاله قوله تعالى " وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا ، وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى " (٤)

وعلى ذلك نكون قد استعرضنا بعضي المؤكدات التي تأتي مكررة سواء في الحروف أو الاسم ، أو الفعل وما شابهه حيث أن ذلك كله حينما يكرر فهو من أنواع ألوان المؤكدات ، ولا يخفى ما للتكرار من ترسيخ للعقائد في النفوس لذلك كانت له ألوان كثيرة ومتعددة .

(١) البرهان للزركشي ج ٢ ص ٣٨٩ - الطبعة الثانية - دار

المعرفة ببيروت .

(٢) سورة الليل آية (١٢ - ١٣) .

(٣) من بلاغة القرآن ص ١٥٠ لأحمد بدوي - دار نهضة

مصر للطبع والنشر الفجالة - القاهرة .

(٤) سورة النجم آية (٤٣ - ٤٥) .

٢ - تكرار الموضوع الواحد :

ونرى هذا النوع من التكرار كثيرا في القصص القرآني المكسي حيث قلنا ان حاجة أهل مكة الى التكرار لتثبيت التوحيد واليوم الآخر ، وتوضيح الأمور المتعلقة بالبعث والجزاء وما شابهه تدعو الى تكرار القصص الى أسماعهم فنرى ذلك يتكرر في كثير من القصص القرآني ، ألا وهو دعوة الرسل أقوامهم الى عبادة الله تعالى وتكذيب قومهم لهم واهلاك الله لهم نتيجة ذلك التكرار نرى ذلك في كثير من السور ، ونستطيع أن نقول : أن الموضوع نفسه يتكرر ، وان كان في زمان غير الزمان ولأقوام غير الأقوام ، يتضح ذلك في قصة نوح وقصة هود وقصة صالح وقصة شعيب عليهم السلام .

تكرر قصصهم حول موضوع واحد كدعوتهم أقوامهم الى الايمان بالله - أو انكار قومهم لهم ، وانزال العذاب من الله سبحانه وتعالى لمن عصى وذلك نفسه هو ما حدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومهم وانكارهم ادعوتهم وعدم قبولهم لها - هي نفس ما حدث مع الرسل السابقين وأقوامهم - وللتكرار هنا حكمة على نفس النبي صلى الله عليه وسلم حيث نعلم أنه نزل عليه القرآن منجما ، فكان الله سبحانه وتعالى بين الفينة والأخرى يحاول تسليبة رسوله الكريم بقص القصص وأن ما يعانیه هو نفسه ما عاناه الرسل السابقين فكان لا بد من التأسى والصبر حتى يصل الى ما يريد من نشر الدعوة الاسلامية .

والتكرار الموضوعي كثير في القصص القرآني فتراه في سورة الأعراف وفي سورة هود وفي سورة الشعراء وفي سورة المؤمنون، وغيرها كثير.

ولنستعرض هذه السور لنرى بعين اليقين أن كل سورة منها تتحدث عن ما تتحدث فيه السور الأخرى ، أي أن الموضوع نفسه يتكرر فنراه يتكرر مع رسل الله كما قلنا في دعوة قومهم التي عبادة الله ورفض القوم وجزاء ذلك الرفض من الله سبحانه وتعالى ، ولنرى ذلك في كل من هذه السور لكي نكون على بينة من الأمر .

ففي سورة المؤمن مع رسوله نوح قوله تعالى :

" ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون ، فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى " (١)

وذلك ما حدث أيضا في سورة الشعراء . مع ابراهيم عليه

السلام ، قوله تعالى :

" واتل عليهم نبأ ابراهيم ، اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ، قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم اذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا

(١) سورة المؤمن آية (٤٣ - ٢٤) .

كذلك يفعلون ، قال أفرايتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم
الأقدمون ، فإنهم مدولى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو
يهدين " (١)

الى قوله تعالى " فكذبوا فيها هم والظالمون ، وكنود ابلهين
أجمعون . قالوا وهم فيها يختصمون ، تا الله ان كنا لفسى
ضلال منهن " (٢)

وتكرار الموضوع نفسه فى سورة الاعراف فى قوله تعالى
" لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اصعدوا الله ما لكم
من اله غيره ، انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قال الملأمن
قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى
رسول من رب العالمين ، أبلغ رسالات ربهى وأنصح لكم وأعلم
من الله ما لا تعلمون " (٣)

وفى الموضوع نفسه يتكرر مع رسوله هود حيث يقول تعالى
" والى قوم صالحا قال يا قوم اصعدوا الله ما لكم من
من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه
ثم توبوا اليه ان ربهى قريب مجيب ، قالوا يا صالح قد كنت فينما
مرجوا قبل هذا أتتهاننا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفسى
شك مما تدعوننا اليه مريب ، قال يا قوم أفرايتم ان كنت على بينة

-
- (١) سورة الشعراء آية (٧٠ - ٧٨)
 - (٢) سورة الشعراء آية (٩٤ - ٩٧)
 - (٣) سورة الاعراف آية (٥٩ - ٦٢)

من ربي واتينى فيه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فمسا
تزيد ونفى غير تخسير" (١)

حتى قوله تعالى " وأخذ الذين ظالموا الصيحة فأصبحوا فى
ديارهم جاثمين " (٢)

فهكذا أو كما رأينا أنه يتكرر الموضوع فى كثير من السور لما
يستدعيه حال الأقوام المكذبين للرسول وما أتوهم به من هداية .
فى سورة المؤمنون نرى أن نوحا عليه السلام قد أرسل
الى قومه فدعاهم الى عبادة الله وحده ، ولكن قومه جحدوا
وعصوا ولم يطيعوه فيما أمرهم به .

وذلك ما نراه أيضا فى سورة الشعراء : فابراهيم عليه
السلام قد نصح أبه وقومه عن ترك ما يعبدون من دون الله ،
ولكنهم عصوا ورفضوا دعوته لهم .

وهو تماما ما نراه فى سورة الأعراف فى دعوة شعيب أهل
وقومه الى عبادة الله تعالى ، ونرى الموضوع نفسه يتكرر فى سورة
هود حيث أرسل صالحا الى قومه ثمود فدعاهم الى عبادة الله
تعالى واستغفاره ولكنهم رفضوا دعوته وعصوه فكانت نهاية أمرهم
الوبال .

ونرى من خلال ذلك كله أن الموضوع يتكرر فى كثير من السور
حيث نرى كل نبي يدعو قومه الى الايمان بالله والدعوة اليه ولكن
القوم يعصون ويرفضون الدعوة . فيجى لهم العذاب كل حسب
رفض دعوته ، وكان جزاء أمرهم الوبال والخسران .

(١) سورة هود آية (٦١-٦٣) .

(٢) سورة هود آية (٦٧) .

٣ - تكرار القصة الواحدة :

ومن أنواع التكرار في القرآن الكريم تكرار قصة الرسول الواحد في عدد من سور القرآن الكريم ، وهذا أمر موجود مع قصة كل رسول ماعدا يوسف عليه السلام حيث جاءت قصته مفصلة في سورة واحدة عرفت باسمه عليه السلام .

وهذا التكرار لا يكرر كل القصة في كل سورة وإنما تجد كل سورة تؤكد على جانب ما وتفصله وتجمل الجوانب الأخرى محافظة على بلاغة القرآن الكريم وتركيزا على الهدف المقصود من كل سورة . ولنرى معا مثلا عن تكرار القصة الواحدة في القرآن الكريم ونمثل لها بقصة نوح عليه السلام .

وبلاحظ أن نوحا عليه السلام دعا قومه الى التوحيد وخوفهم من عاقبتهم من الاصرار على الكفر والجحود ، ولكننا نجد اختلافا في العرض ونرى أيضا اضافات في كل سورة بحيث أن كل اضافة تكمل ما كان قبلها في السورة التي تسبقها وبذلك تكمل تلك الاضافات بعضها البعض بحيث تعطينا في كل موضع شيئا جديدا ، فنرى في سورة الأعراف عن نداء نوح لقومه (فقال : قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) .

وفي سورة هود : " انى لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم " .

وفي سورة المؤمنون : " فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون "

وفى سورة نوح : " قال يا قوم انى لكم نذير مبين أن أعبدوا
الله واتقوه وأطيعون يخفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل
سمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون "

وفى سورة الشعراء : " اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون
وانى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه
من أجر ان به أجرى الا على رب العالمين ، فاتقوا الله وأطيعون "

ويلاحظ أن ^{التي} فى تلك السور كلها يفتق فى أن نوحا
دعا قومه الى التوحيد ، فنرى من مجموع تلك السور أنها تهدف
الى التوحيد والى عبادة الله وحده ولكنهم كذبوه وعاندوه .

ونرى ذلك فى سورة الاعراف : " قال يا قوم ليس بى ضلالة
ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم
وأعلم من الله ما لا تعلمون ، أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون " ،

نرى نوحا عليه السلام يدافع عن نفسه ، فنفى عنها الضلال على
أبلغ وأحسن وجه ، (والضلال ! هو العدول عن الطريق المستقيم
ويضاده الهداية) (١)

(ولكنى رسول من رب العالمين) : أى أرسلنى الله اليكم
لهدائكم الى طريق الهداية والاستقامة ، (أبلغكم رسالات
ربي وأنصح لكم) : أى أبلغكم ما أرسلنى الله تعالى به اليكم

وأكون لكم به ناصحا ، والنصح : هو تحرى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه " أى أرشدكم الى ما فيه صلاحكم وهدايتكم (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى أننى أعلم من الله عز وجل ما لم يكن عندكم علم به .
وفى سورة هود اجابة نوح القوم بقوله تعالى :

(قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أتلتكموها وأنتم لها كافرون يا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارذ الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون ، ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتكم ١/٢ افلا تذكرون ، ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزددى أعينكم لن يؤتيتهم الله خيرا أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين " وتأتى سورة الشعراء فنراها تذكرد نوح على قومه فقال :

(وما علمى بما كانوا يعملون ، ان حسابهم الا على الله لوتشعرون وما أنا بطار المؤمنين ان الا نذير مبين ")

ونرى سويا فى سورة الأعراف : اجابة نوح لقومه بضل هذه

الاجابة مع الاضافة فيقول لهم موبخا : " أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون " .

ونرى سورة هود تضيف اجابة نوح ورده على قومه ويظهر ذلك

من قوله لهم : " يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي - والبينة هى الدلالة الواضحة . (٢)

(١) المفردات للاصفهاني ص ٤٤٤ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٦٨ .

وتضيف السورة أن نوحا لا يدعى لنفسه فضلا ليس له ، فهو لم يدع أنه يملك خزائن الله ، ولم يدع أنه يعلم الغيب ، ولم يدع أنه ملك ، وبذلك بين لهم أنه لا علاقة بين النبوة وبين واحد من هذه الأمور .

وتضيف السورة أن نوحا بين في اجابته أن أرادل القوم جزاءهم أنهم " لن يؤتوهم الله خيرا " وفي مرة أخرى يقول : " الله أعلم بما فى أنفسهم " .

وإذا رأينا أن سورة هود تتفق مع سورة الشعراء ، من ناحية اظهار موقف نوح من قومه وخاصة الأمراء منهم (والردالة هى الخسة ، وانما استردلوهم لاتضاع نسبهم وقله نصيبهم من الدنيا ، وقيل كانوا من أهل الصناعات الخسيسة كالحياكة والحجامة) (١)

بينت السورتين موقف نوح من الأراذل من قومه ولكن أضافت سورة هود فوق ذلك استحالة طرده لهم فانه ان فعل ذلك فسوف يعرض نفسه للعقاب الله وعند ذلك لا يستطيع أحد أن ينصره (ويا قوم من ينصرونى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون " وإذا كانت سورة هود تتفق مع سورة الشعراء من جهة أن كلا من السورتين وضحت عن تشويه ايمان الأراذل فان سورة هود قد نصت وبينت هذا التشويه بالعبارة الصريحة ويتضح ذلك

من قول قوم نوح له " وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي
الرأى " ، أما فى سورة الشعراء فلم تصرح بهذا التشويه وانما
فهم ذلك استنتاجا من قولهم لنوح : " قالوا أنوءم لك واتبعك
الأرذلون " ويؤيد ذلك الاستنتاج قول نوح فى اجابته لهم
فى سورة الشعراء " قال وما علمى بما كانوا يعملون " .

ولذا كانت سورة هود تتفق مع سورة الشعراء حيث أن
كلا منهما قد أظهرت أن نوحا عليه السلام لا يطلب منهم أجرا
على دعوته ومع كل فاننا نرى اختلافا فى التعبير يتناسب مع كل
سورة . وفى سورة هود يقول نوح لقومه " ويا قوم لا أسألكم عليه
مالا ان أجرى الا على رب العالمين " وفى الشعراء يقول لهم
" وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين "
وأوضح ما يتبين لنا من اختلاف بين المعنى فى كل من السورتين
أنه فى سورة هود قد جعل المسؤل عنه هو المال وفى سورة
الشعراء قد جعله الأجر .

ونرى أن المحاوره بين نوح وقومه تنتهى فى سورة الاعراف ،
ولكنها لا تنتهى فى سورة هود ولا فى سورة الشعراء .
فنرى القوم فى سورة هود يجيبون نوحا بعد أن يرد على شبيهم
التي أثاروها ، وبعد أن دافع عن نفسه وعن أتباعه ، فنسرى
المحاوره فى سورة هود فى قولهم " قالوا يانوح قد جادلتننا
فأكثرت جدالنا فأتنا بما تمدنا ان كنت من الصادقين " .

وفي سورة الشعراء " ترى القوم يجيئون توغلا بقولهم " قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين "

والمعنى : انك ان لم تنته عن دعوتك لنا لننقلك رميا بالعجسارة ، ويفهم ذلك الكلام تلك المحاوره من سورة هود صراحة " يا نوح جادلنا فأكثرت جدالنا (ر) وأما في سورة الشعراء فيفهم متبطلا :
ومر ذلك الاتفاق

ينتهي نتيجة هذه المحاوره بين نوح وقومه
تختلف من سورة الى أخرى ، وتضيف بهذا الاختلاف كما قلنا جديدا .
وفي سورة هود يقول نوح : " قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ولا يتفعمكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون "

فيقول لهم : ان أردت نصعكم ظن ينفعكم ان كان الله تعالى يريد اغواكم فهو مالكم ومالك كل أموركم .

وفي الشعراء آية رده لقومه بقوله " قال رب ان قومى كذبهون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين " .

ويأتى رده في سورة المؤمنين : " قال رب انصرتى بما كذبهون " ويأتى رده في سورة القمر " فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر " .

ان اجابة نوح ورده الى القوم في سورة الشعراء ، وسورة المؤمنين ، وسورة القمر ، تفيد جميعها أن نوحا دعا ربه أن ينزل العذاب على قومه ، ونلاحظ ذلك واضحا في كل سورة ولكننا مع هذا نرى اختلافات ، واضافات ، فنلاحظ في سورة الشعراء وسورة المؤمنين تكشف كل سورة منهما السبب الذى من أجله دعا نوحا على قومه .

نوحا على قومه .

ثم تأتي سورة هود وتتحدث عن الفلك وكيف صنعه نوح ولا نرى ذلك الا في سورة هود وسورة المؤمنون ، ففي سورة هود يقول :
" واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا
انهم مفروقون ، ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه
قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلموا من
يأتيه بعذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم " .

وفي سورة المؤمنون يقول تعالى : " فأوحينا اليه أن اصنع
الفلك بأعيننا ووحينا "

فنرى في سورة هود اضافات وهي كيف سارع نوح الى تنفيذ
أمر ربه وكيف كان موقف قومه منه ، وكل ذلك ليس في سورة غيرها .

ويأتي الحديث عن نهاية تلك القصة ففي سورة المؤمنون " فاذا
جاء أمرنا وفار التنور فأسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من
سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مفروقون " .

وتأتي سورة الشعراء فتقول " فأنجيناه ومن منعه في الفلك
المشحون ، ثم أفرقتنا بعد الباقين ، ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين ، وان ربك لهو العزيز الرحيم "

وسورة القمر نراها تتحدث عن هذه النهاية فتقول " ففتحنا
أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر
قد قدر ، تركناها آية فهل من مدكر ، فكيف كان عذابي ونذر "

فنرى الأمر في سورة هود يجيء مفصلا وفي سورة المؤمنون يجيء

بلفظ مجمل .

ومع هذا الاتفاق فأننا نرى اختلافا في العرض ، وزيادة
تأتي في كل سورة ليست فيما قبلها فيجلى المعنى ويتضح ويكمل
بعضه بعضا ، وتنتهي القصة في سورة المؤمنين " فإذا استهيبت
أنت ومن معك قتل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين "
ونرى سورة هود قد أضافت : بيان وتصوير جريان السفينة
بالمؤمنين في مياه هائجة أمواجهها ، كالجبال " وهي تجري بهم
في موج كالجبال " وأضافت رؤية نوح لولده والحوار الذي دار بينهما ،
ومصير ولده ، وأضافت أيضا أن نوحا لم يهبط من السفينة الا بأمر
الله وأنه نزل بسلامة الله وحفظه .

ونرى سورة هود هي السورة الوحيدة التي فصلت قصة نوح أكثر
من أي سورة أخرى ومن هنا نراها قد جمعت وحوت هسدا
الإضافات ~~أكثر~~ أي ~~سورة هود~~ .

فلو تأملنا القصة في كل سورة من هذه السور لوجدنا اختلافا
في الأسلوب وإضافات جديدة في بعضها ، ونرى تكرار القصة
الواحدة وفائدته والاتباع به على هذه الصورة من البلاغة والفصاحة
والبيان التي لا يستطيع الاتيان بمثلها بشر فسبحان من كان هذا
. كلامه " قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " .
(١)

وهذا النموذج لقصة نوح يتضح لنا عنصر تكرار القصة الواحدة
وأن مع ذلك التكرار إضافات جديدة لم تكن في السورة السابقة وأنها
تضيف الجديد ، وتكمل بعضها بعضا .

الفصل الثاني
في بيان

حاجة البشر إلى التكرار

حاجة البشر الى التكرار و

نرى الله سبحانه وتعالى يأتي لعباده بما يستجلبهم به الى الهداية والرشاد ، والى ما فيه صالحهم ، وسعادتهم فليس الدارين الدنيا والآخرة ، ومن ذلك قصص القصص فقد يكون فسي قص الأحداث والمعبرة بالسابقين ما يوقظ ضمير الانسان ، والانسان كما تعلم يحتاج دائما الى الارشاد والوعظ والتذكير حتى لا يكون في غفلة من أمره .

والتكرار بجميع ألوانه يفيد البشر لأنه داعية الى التذكر ، ولقد أثبتت العلوم ذلك ، فعلمنا النفس والاجتماع وهما طمسان وثيقان بالانسان وحياته قد ثبت فيهما ما للتكرار من تأثير طسي النفوس حيث أثبتنا حاجة البشر الطمعة الى التكرار لتأثيرهم الشديد به ، ونرى في عصورنا الحديثة كيف أن أصحاب الدعايات يعمدون في دعاتهم الى التكرار ،

فالتكرار من أحسن سبل الاقناع ، وأقوى الوسائل لتركيز السمعاء والمقيدة والفكرة المرادة في نفس البشر ، والموعظة الحسنسة وتأثيرها في النفس تحتاج الى التكرار والتذكير .

ومع كل ذلك نرى ما للتكرار من تنشيط للسامعين وتحسينك انتباههم ، والتثقل بهم من فن الى آخر فلهذا ذلك لديهم جذبا وانتباها لما يسمعون .

وفوق كل ذلك نرى الله سبحانه وتعالى وهو يعلم عباده ويعلم ما هم عليه من تنوع طبائعهم واختلاف سجاياهم ،

ومن المعلوم أن الناس مختلفون في قدراتهم وطبائعهم ~~أفهامهم~~ الذي يفهم من أول لفظة ، ومنهم الذي يحتاج الى تكرار الموضوع طويلا حتى يفهمه ويقنع به ، كما أن المؤمن يكفيه مجرد التذكير والاشارة . أما الشاك فإنه يحتاج لمجموعة من الأدلة المقنعة ، ترد اليه في اطار التكرار القصوى ، ومع هذا نسرى الجاحد المنكر لا يكفيه التوجيه مرة واحدة بل لابد له من التكرار وأساليب متعددة .

() وحين ينظر فريق من الناس الى منظر واحد أو يستمعون الى مخاطبة واحدة ، فنحن نفترض أنهم طوي حسد سواء في ادراكهم ، وهو افتراض صحيح ولكن بوجه عام فقط ، ذلك أن أحدهم قد يكون أعمد بصرا من غيره فتكون رؤيته المنظر أشد وضوحا ، أو تكون لديه خبرات سابقة تتصل بالمنظر فتجعل ادراكه له أكثر ثراء ، أو يحميه الكبت عن رؤية أشياء يراها الآخرون بوضوح ، فلا معنى ذلك أنهم متساوون تساوي تاما فيما يدركون ويسمعون وتعلمون (١)

والله سبحانه وتعالى حينما أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغ الدعوة الى الناس أمره أن يبلغ بطرق عديدة بحسب اختلاف طبائع البشر ، فلا يأمرهم كلهم بالحكمة ، ولا يأمرهم كلهم بالموعظة الحسنة ، ولا يأمرهم كلهم بالجدل الحسن ،

(١) أصول طم النفس ص ٣٠٧ ، د / أحمد عزت راجح / الطبعة

بل جعل لكل فئة منهم طريقا يدخل منه اليهم ويصل به الى قلوبهم .

يقول الله تعالى : " أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " (١)

يفسر العلماء هذه الآية أن البشر يختلفون في الطباع ، لذا يجب

تباينهم واختلفانهم في الخطاب ، فقوله تعالى : " أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن " لما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة وعطف بعضها على بعض وجب أن تكون طرقا متغايرة متباينة (٢)

ولقد قسم الامام الرازي أهل العلم الى طوائف وأقسام

طائفة هم :

(الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية ، والمكاملة مع هؤلاء لا تمكن الا بالدلائل القطعية اليقينية وهي الحكمة) .

وطائفة هم : (الذين تغلب على طبائعهم المشاغفة

والمناصمة لا طلب المعرفة الحقيقية والعلوم اليقينية ، والمكاملة اللائقة بهؤلاء المجادلة التي تغيد الاقحام والالزام ، وهاتان الطائفتان هما الطرفان :

فالأول : هو طرف الكمال ، والثاني : طرف النقصان .

(١) سورة النحل آية (١٢٥) .

(٢) التفسير الكبير ج ٢٠ ص ١٣٨ .

وأما الطائفة الثالثة فهي الواسطة :

(وهم الذين ما بلغوا في الكمال حد الحكماء المحققين ، وفقى النقصان والردالة إلى حد المشاغبين المخاصمين ، بل هم أقوام بقوا على الفطرة الاصلية والسلامة الخلقية ، وما بلغوا إلى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية والمعارف الحكيمية ، والمكاملة مع هؤلاء لا تمكن الا بالموعظة الحسنة ، وأدائها المجادلة ، وأطو مراتب الخلائق العلماء المحققون ، وأوسطهم عامة الخلق وهم أرباب السلامة ، وفيهم الكثرة والغلبة ، وأدنى المراتب الذين جعلوا على طبيعة المنازعة والمخاصمة .

فقوله تعالى " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة " معناه أدع الأهلوية الكاطين إلى الدين الحق بالحكمة ، وهي البراهين القطعية اليقينية ، وعوام الخلق بالموعظة الحسنة ، وهي الدلائل اليقينية الاقناعية الظنية ، والتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الأحسن الأكمل (١)

ويقول الامام الرازي أيضا : (والذي عندي في هذا الباب

أن جواهر النفوس البشرية مختلفة بالماهية ، فبعضها نفوس مشرقة صافية قليلة التعلق بالجسمانيات ^{كثيرة} الانجذاب إلى عالم الروحانيات ، وبعضها مظلمة كدرة قوية التعلق بالجسمانيات عديمة الالتفات إلى الروحانيات ، ولما كانت هذه الاستعدادات من لوازم جواهرها ، لا جرم يمتنع انقلابها وزوالها (٢)

(١) التفسير الكبير ج ٢٠ ص ١٣٩ .

(٢) نفس المصدر السابق ج ٢٠ ص ١٤٠ .

نعم فجواهر النفوس مختلفة ، وإذا كانت جواهر النفوس
مختلفة فلاشك أيضا في أن طبائع النفوس مختلفة ، لذا لا يناسبها
سوى التباين والاختلاف في خطاب كل نفس وكل طبع طو حسنة ،
فلا يناسب النفس الصافية ما يناسب النفس الكدرة وهكذا .

- وجاء في تفسير تلك الآية التي نحن بصددنا في روح المعاني
في قوله : " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتى هو أحسن " :

(الحكمة) : بالمقابلة المحكمة وهو العجة القطعية المزيحة
للشبه ، وقريب من هذا ما في البحر المحيط أنها الكلام الصواب
الواقع من النفس أجمل موقع (والموعظة الحسنة) وهو الخطابات
المقتصة والعبير النافعة التي لا يخفى طيبهم أنك تناصحهم بها
(وجادلهم) ناظر معانديهم .

(بالتى هو أحسن) : بالطريقة التي هو أحسن طرق المناظرة
والمجادلة من الرقق واللين واختيار الوجه الأيسر واستعمال
المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاءً للبهيم كما فعله
الخليل عليه السلام ، واستدل - كما قيل - أزباب العقول بالآية
طوى أن المعتبر في الدعوة من بين الصناعات الخمس إنما هو
البرهان والخطابة والجدل حيث اقتصر في الآية طوى ما يشير
إليها ، وإنما تفاوتت طرق دعوته عليه الصلاة والسلام لتفاوت
مراتب الناس .

فمنهم خواص :
_____ وهم أصحاب نفوس بشرية قوية الاستعداد لا أدراك

المعاني قوية الانجذاب الى الصادي^۱ العالمة مائلة الى تحصيل
اليقين طو اختلاف مراتبه ، وهو^۲ يدعون بالحكمة بالمنسوس
السابق .

ومنهم المصوام : أصحاب نفوس كدرة ضعيفة الاستعدادا شديدة
الالف بالمحسوسات قوية التعلق بالرسوم والعبادات قاصرة عن درجة
البرهان لكن لا عناد عندهم
وهو^۳ يدعون بالموعظة الحسنة بالمعنى المتقدم .

ومنهم من يعاند ويجادل بالباطل : ليدحض به الحق لما ظب عليه
من تقليد الأسلاف ورسخ فيه من العقائد الباطلة فصار بحيث
لا تنفمه المواعظ والعبير بل لا بد من القامه العجز بأحسن طرق
الجدال لتلين عريكته وتزول شكيمته .

(۱) وهو^۴ الذين أمر صلى الله عليه وسلم بجدا لهم بالتو هو^۵ أحسن

وأعتقد أن جميع الآراء متحدة من حيث تصنيف النفوس السوس
طبائع مختلفة فذلك لاشك فيه حيث أنه سبحانه وتعالى قد بين
ذلك في أمره رسوله الكريم أن يدعو الناس الى الاسلام بثلاث
طرق مختلفة متباينة ، ويدلنا ذلك طو اختلاف طبائع البشر ،
اذن نستنتج من ذلك كله أن الناس كما سبق ، وقلنا منهم من يقتنع
من أول وهلة ومنهم من يحتاج الى تكرار لكي يقتنع ومنهم من هو

(۱) روح المعاني للألوسي المجلد الخامس الجزء ۱۴ ص ۲۵۴ .

معاند لا ينفج معه مثله لله من الأمور ، فيحتاج الى التكرار أكثر
وأكثر حتى يتمكن من اقناعه .

اذن التكرار مهم جدا في حياة البشر ان هو داعية الى لغت
انتباه الانسان وجذبه ، لذا ترى كثيرا من الدعايات اليوم استقت
هذه الفكرة من كتاب الله لأنها رأّت أنها الوسيلة الناجحة لجذب
الناس الى ما يريدون نشره والدعاية اليه فلجأوا اليها .

الفصل الثالث
بسم الله

بلاغه المتكرار وقواربه

بلاغة التكرار :

التكرار أسلوب من أساليب البلاغة ، وكمد المعنى في القلوب بمنهج ظل شيق بليغ ، واللفظ اذا تكرر تقرر في نفس سامعه ، وحتى كانت المعاني الأصلية المرادة حاصلة في الجمل والألفاظ فلا يضرب بعد ذلك ما يرى في هذه الألفاظ والجمل من اختلافات لغزية لا تسمى بأصول المعاني وجواهرها والمراد منها ولا تؤدي الى تناقض أو اختلاف بل يمكن الجمع والتوفيق بينهما ، وما كان ذلك الا لليلاقه ، ومن أجل اعتبارات ومناسبات تختلف باختلاف السياق من ناحية ابرازها بوجوه متعددة ولكن الجوهر واحد ، ويكرر اللفظ أو الجمل أو الموضوع على صور متعددة فتقلب على حسي وسويحه المختلفة لاظهار ما فيه من عبر متنوعة وظنات متعددة تنبثق من ذلك التعدد ، وتنبثق في كل مناسبة ، بهذا طي ذلك أقول : أن التكرار يحوي " لأغراض كثيرة ومتعددة في القرآن الكريم وطى الأخص في قصصه ، يقول بحق البلاغسة ، بل ان تكراره لبعض المقاطع من الآية يعطيه لونا من ألوان المبرة والاتساظ والتأسي بالمباهين واجتناب ما وقعوا فيه كما مر بنا في سورة الرحمن وسورة المرسلات وسورة القمر من قوله تعالى : " فيأى الا بهيكما تكذبان " وقوله : " ويل يومئذ للمكذبين " ، وقوله تعالى : " فكيف كان عذابي ونذر " .

يذكر الرافسى وهو يوضح بلاغة القرآن وأسلوب التكرار وقيمتيه فيقول : (اذا كان أبلغ البلاغة في الشعر العبراني القديم أن

تجتمع له ، رشاقة العبارة ، وحسن الهرش ، ووضوح اللفظ ،
وفصاحة التركيب ، وإبانة المعنى ، وتكرار الكلام لكل ما يفيد التكرار
توكيدا وبالفظة وإبانة وتحقيقا ونحوها ، ثم استعمال الترادف
في اللفظ والمعنى ، ومقابلة الأضداد وغيرها ، مما هو في نفسه
تكرار آخر للمحسنات اللفظية ، وتحسين للتكرار المعنوي (١)

فالتكرار ان يمد من أساليب البلاغة التي صدرت من يعلم
كل خافية طوي عباده .

ويستطرد اليرافعى الكلام في ذلك الشأن قائلا :

(في بعض هذا التكرار معنى آخر فطان اليه بعض طائفا ولم
يكشف لهم عن سره ، وأول من نبه عليه الجاحظ في كتاب (المحصول)
ان قال : " ورأينا الله تبارك وتعالى اذا خاطب العرب والاعراب
أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحي والحذف ، واذا خاطب بنو اسرائيل
أوحى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام " أى كان ذلك بالفظة
في افهامهم وتوسعا في تصوير المعاني لهم وتلوينها بالألفاظ ،
ايجازا في موضع واطنابا في موضع ان كانوا قوما لاسليقة لهم
كالعرب ولمسوا في حكمهم من البيان ، فلا يمضى كلامه لسننه بلا
اعتراض من تنافر التركيب وثقل الحروف وجفاء الطبيعة اللغوية ،
فهذا ونحوه كان لا بد في خطابهم من التكرار والبسط والشرح ،
بخلاف العرب ، فان الكلام يقع عليهم طوي سنن كلامهم من الحذف ،
والقصد الى الحجة ، والاكتفاء باللمحة الدالة ، وبالاشارة الموحى

بها ، والكلمات المتوسمة ، وما يجرى هذا المجرى (١) ، وهو قول صحيح في الجطة . (٢)

فيتضح لنا من جراء ذلك مدى بلاغة القرآن في أسلوبه حيث جاء لأهل الفصاحة واللسن على قدر مستواهم من الإيجاز وعدم التطويل ، ولمن هم أقل شأنًا في ذلك المجال من الفصاحة والبلاغة وكرر اليهم وإلى أسناعتهم ما يريد ترسيخه في أذهانهم لذا أتى ذلك الأسلوب بالثمرة المرجوة وكان وجهها كبيراً من وجوه البلاغة .

ومن تلك البلاغة التي لسنها في التكرار (ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم) (٣) ولكنها في هذه الإعادة تلبس ثوبا جديداً ، وتخرج إخراجاً جديداً يتناسب السياق التي وردت فيه ، وتهدف إلى هدف خاص لم يذكر في مكان آخر ، حتى لكأننا أمام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل (٤)

-
- (١) أعلام القرآن للراغب ص (١٩٤ - ١٩٥) .
 - (٢) كان للمرب في اليهود شعراء فصحاء كالمسؤولين والمسبب ابن الأشرف وغيرهما ، وكان لشعر اليهود باب متميز في الرواية بعد الإسلام ، والعرب لا يمدون اليهود منهم وإن كانت الدار واحدة .
 - (٣) الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٨٨ ، وانظر الوحدة الموضوعية لمحمود حجازي ص ٣٩ - الطبعة الأولى .
 - (٤) التعبير الفني ص ٢٢٠ ، د . بكرى شيخ أمين - الطبعة الثالثة ، وانظر بحوث في قصص القرآن للسيد حافظ عديبه ص ٥٥

ومن أمثلة ذلك " الحية التي تسمى " ، (والجبان السذى
يهتز كل منهما يعطى صورة واضحة لما انقلبت اليه العصا ،
فهو حية فى جان ، أو جان فى حية ، والجبان ، هو فسوخ
الحيات - وقد جاء فى القرآن وصف آخر لما صارت اليه العصا
وهو (ثعبان ميين) وهذا الوصف يناظر ~~الوصف~~ الوصفين السابقين لها
فهو ثعبان فى خفة الحركة ، ولكنها ثعبان ميين فى عظم
الجسم وضخامته .

فالمعنى : انقلبت ثعبانا تهتز كأنها جان لها عظم الثعبان
وخفة الجان واهتزازه وهو حية تسمى (١)
(والثعبان : هو الذكر من الحية) (٢)

ولا شك فى أن : اعادة الكلام وتكراره لمعنى واحد مسجع
التشابه فى الفصاحة والبلاغة والاعجاز واصابة المراد فى الجمل
والعبارات المكررة هو سر من أسرار القرآن الكريم وضرب من ضروب
القدرة الكلامية لا يحرفه الا لكتاب الله تعالى .

" الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني " (٣)

حيث تنهل الأغراض وتعظم المصانق وتبلغ المقاصد

الأساسية التى أتى من أجلها التكرار .

(١) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٤٨٧٦ .

(٢) تفسير الطبرى ج ٩ ص ١٤ .

(٣) سورة الزمر آية (٢٣) .

ولقد مرينا ما يثبت هذه البلاغة كما في سورة القمر - والمرسلات

والرعمن ، في صورها وأنواعها .

(فموضع التكرار من سر الاعجاز وبلاغة القرآن التي لا تساميهما

بلاغة في الوجود ، وان ذلك، التكرار هو من تصريف القول الذي

هو وجه البيان العربي الذي قصد اليه الكتاب العزيز) (١)

(١) القرآن المعجزة الكبرى لأبوزهرة ص ١٤٥ .

فوائد التكرار :

لا يغفل أحد ما للتكرار من فوائد ، ونقصد من ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يأتي لنا بشيء إلا ويكون فيه الحكمة البليغة والفائدة العظيمة ، فننظر مما ما للتكرار من فوائد عديدة وكثيرة :

(ان الله تعالى اذا كرر القصة زاد فيها شيئا ، ومثال ذلك أنه ذكر الجية في عصا موسى عليه السلام وذكرها في موضع آخر ثمبانا وذلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الالفاظ ، فان كل واحدة لا بد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه لا يوقف الا منها دون غيرها) (١) وتجوز الآيات المختلفة في طرق الأداء (وهاهنا معنى دقيق في التعدي وما نطن الحرب الا وقد بلغوا فيه عجا ، وهو التكرار الذي يجرى في بعض آيات القرآن فتختلف في طرق الأداء ، وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وسط الموعظة وتثبيت الحجية ونحوها ، أو في بعض عباراته لتحقيق التعمية وترديد المنة والتذكير بالنعم واقتضاء شكره ، وهو مذهب المفسرين المعروف ولكنهم لا يذهبون اليه الا في ضرب من خطايتهم ، للتهويل والتوكيد ، والتخويف ، والتصحيح ، وما يجرى مجراها من الأمور

(١) أنظر الاعجاز اللغوي لمحمود السيد حسن - الطبعة الأولى

ص ١٢٦ ، وانظر بحوث في قصص القرآن للسيد الخافض

(١) العظيمه ، وإن ذلك منصوص عليه في كثير من كتب الأدب والبلافة)

يفيد التكرار أيضا أنه : (إذا أطال الكلام وخشى تناسي
الأول أعيد ثانيها تطرية له وتجديدا للمعنى) (٢)

ومنه قوله : " إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم
لي ساجدين) (٣)

ومنه قوله تعالى " ثم إن ربك للذين حلوا السوء بجهالة ثم
تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها) (٤)

ومنه أيضا قوله تعالى " ثم إن ربك للذين هاجروا بعد ما
فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم " (٥)

ومنه قوله تعالى " ولما جاءهم كتاب من عند الله . . . الس
قوله تعالى - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به " (٦)

ومنه قوله تعالى " لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون
أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمقازة من العذاب " (٧)

-
- (١) اعجاز القرآن للرافعي ص ١٩٣ .
 - (٢) الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٨٦ .
 - (٣) سورة يوسف آية (٤) .
 - (٤) سورة النحل آية (١١٩) .
 - (٥) سورة الأعراف آية (١٥٣) .
 - (٦) سورة البقرة آية (٨٩) .
 - (٧) سورة آل عمران آية (١٨٨) .

• ومنها التعظيم والتبجيل نحو "الحاقة ما الحاقة" • القارة

ما القارة

- ومنها أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله
أو ابدال كلمة بأخرى لندبة وهذه عادة اللفظ (١)

- ومن فوائده أيضا (أن الرجل كان يسمع القصة من القسطن
ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر بمعه آخرون يحكون ما نزل به
صدر من تقدمهم ، فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى
قوم وقصة عيسى إلى آخرين ، وهكذا سائر القصص ، فأراد الله
اشتراف الجميع فيها فيكون فيها افادة لقوم وزيادة تأكيد
لاخرين) (٢)

- ومنها أنه تعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الاتيان
بمثله ، ثم أوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في
مواضع اعلاما بأنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأي نظم
جاءوا وبأي عبارة صروا) (٣)

أي أنهم عاجزون عن الاتيان بمثله قليلا كان أم كثيرا ،
مكررا أم غير مكرر ، فكله سواء في عدم قدرتهم على محاكاته

والاتيان بمثله مما أثبت عجزهم •

(١) الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٨٦ •

(٢) نفس المصدر السابق ص (٨٨ ، ٨٩) •

(٣) نفس المصدر السابق ص ٨٨ •

ومنها أنه لما تعداهم قال " فأتوا بسورة من مثله " فلو ذكرت
 القصة في موضع واحد وأكثر في بها لقال العربي ائتونا أنتم
 بسورة من مثله ، فأنزلها الله سبحانه وتعالى في تعداد
 السور فعالجتهم من كل وجه (١)
 أي أنه لم يبق سبيل لمجادلهم أوفتح باب آخر للتعليل
 بأي شيء .

ومنها أن القصة الواحدة لما كررت في ألفاظها في كل موضع
 زيادة ونقصان وتقديم وتأخير ، وأتت على أسلوب الألفاظ
 فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد
 في صور متباينة في النظم وجذب النفوس إلى سماعها
 لما جبلت عليه من حب التنقل في الأشياء المتجددة واستلذاذها
 بها ، وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه
 هجنة في اللفظ ولا ملل عند سماعه فباين ذلك كلام المخلوقين (١)
 فما دام اللفظ لم يحصل فيه أي غرابة في المعنى المراد
 ولا يحدث مللا عند سماعه فلا بأس من ذلك ، بل إن ذلك
 ينتقل بالمستمع من فنن إلى آخر لأن الطريقة الواحدة في
 الكلام تعدت طلال لدى الانسان ، ولكن إن تعددت وتباينت
 الأساليب فإنه ما يرغب فيه السامع ويأنسه ،
 وفي التكرار يكون اختلاف الغاية التي تساق من أجلها

القصة ، فتذكر بعض معانيها الوافية بالفرش في مقام
وتبرز معانيه أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات
الأحوال .

- ومع هذه الفوائد (زيادة التنبيه على ما ينفي التهمسة
ليكمل تلقى الكلام بالقبول) (١)

ومثاله قوله تعالى (وقال الذي آمن يا قوم أتبعون أهدكم
سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع) (٢)

ولقد كررت قصص الانبياء بالذات لأن المقصود بها (افئدة
اهلاك من كذبوا وسلمهم ، والحاجة داعية الى ذلك التكرير تكذيب
الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم فكما كذبوا نزلت قصة منذرة
بحلول العذاب كما حل على المكذبين ، وهذا ما قال تعالى :
(فقد مضت سنة الأولين) " ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن "
فقرى قصة أصحاب الكهف وذى القرنين وقصة موسى مع
الخضر ومع الذبيح لم تتكرر) (٣)

فالمقصود من تكرار قصص الرسل طيبهم السلام افئدة مسن
بمداهم واتعاضهم بمن سبقهم فان العبرة والمعظة ترجعان الانسان
الى صوابه .

(١) الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٨٦ .

(٢) سورة غافر آية ٣٨ - ٣٩ .

(٣) الاتقان ج ٢ ص ٨٩ .

ويقول في ذلك الأستاذ عبد الكريم الخطيب :

(ولكن هذا الأسلوب الذي جاءت طيه الألفاظ التي تكررت كان عن قصد وتدبير فهو يوقظ المشاعر ، ويلفت العقول بهذا الخروج على المألوف من الخطاب وذلك لما يقتضيه الموقف من يقظة ووعى ، وحذر من أن يقلت من بين يدي الانسان ما ينهض أن يلقي به هذا الموقف من استمداد نفسى وعقلى ، ولوجاء على غير ذلك
للنفس من الناس من يلتفت بنفس فترة وعقل شارد) (١)

(ولقد جاء القرآن في غير ثوب شعري ، وفق غير الصدر ، من الآيات فكان ذلك اعجازا من القرآن ان أقام النثر في التأثير بما لم يطم به الشعر ، كما احتل نظمته هذا التكرار من غير أن يستعسب على تخفيفه بوزن الشعر وقافيته ، فجاء أخف وقصا وألطف مدخلا على الأذن من الشعر بجميع ما فيه من ألوان النغم والموسيقى) (٢)

(١) اعجاز القرآن ص ٤١١ للأستاذ عبد الكريم الخطيب الطهمة

الثانية ١٩٧٥م - ١٣٩٥هـ بيروت لبنان .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٤١٤ .

الفصل الرابع

رد الشبهة الموجّهة للشكرار

يحاول أصحاب العقول المريضة لئى الحقائق طوى غير مقاصدها
وتفسيرها بحسب ما يتراءى لهم ، فنراهم يقدرعون ويداعنون ويوجهون
الشبه حول موضوع التكرار ، وكثيرا منهم عام حول ذلك ، .
وسأحاول ان شاء الله أن أورد بعض هذه الشبه ثم أرد عليها
بحسب ما يقتضيه الواجب طينا والدفاع عن الاسلام ورد هو^١ لا^٢
الطبعة خائبين مدخورين .

الشبهة الأولى :

يصور صاحب اعجاز القرآن هذه الشبهة فيقول :
(قد خفى هذا المبنى " التكرار " طوى بعض الطبعة وأشياهم
ومن لانفان لهم فى أسرار العربية ومقاصد الخطاب والتأنى بالسياسة
البيانية الى هذه المقاصد ، فزعموا به المزاعم السخيفة وأحالوه
الى النقص والوهن ، وقالوا ان هذا التكرار ضعف وضيق من قسوة
وسعة (١) .

ويقول الطبعون أيضا أنه (لا شبهة فى أن التكرار شى^٣ معيب خال
عن القاعدة وفى التكرار من التكرار ما شئت ويعدون قصة فرعون
ونظائرهما ونحوه فى أى^٤ ركما تكذبان - وويل يومئذ للمكذبين -

(١) اعجاز القرآن ص ١٩٤ - مصطفى صادق الرافعى - دارالكتاب

العربى - بيروت لبنان .

وغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك (١)
وكلام هؤلاء باطل مردود عليهم .

لأن القرآن أبلغ ما يتصورون ولقد أعمز بلغنا المسرب
وفصاحتهم عن الأتيان بمثله وتعدادهم أن يأتي بسورة من مثله فلم
يستطيعوا لأعجازه وبلاغته وفصاحته وبيانها . ~~ولا يأتوا بمثله~~ .
ولقد بينا ما للتكرار من بلاغة وفوائد كثيرة ومتعددة سواء في التكرار
الحرفي أو الجزئي أو الموضوعي ما يتقبل به المعقول هنا وينجاسي
الشك من مثل هذه الشبه الواهية التي لا تستند إلى حقائق بسل
تستند إلى أكاذيب وأباطيل واهية طوى الاساذم وراء في الحق .

(١) مفتاح العلوم للمسكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ ص ٢٤٧ وما بعدها
في خاتمة الكتاب ارشاد الضلال / حاشيته اتمام الدراسة
لجمال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ .

الشبهة الثانية :

ادعى بعض الناس أن قول الكلام تكرارا في المعنى وإن كان

اللفظ يتكرر ، واستشهد لشبهته بموضعتين :

ففي الأول :

يقول تعالى " ثم توليتم الا قليلا منكم ، وأنتم معرضون " (١)

فيدعى بعض الناس أن قول النص الكريم تكرارا ، لأن التولي هو الاعراض ،

فما معنى " وأنتم معرضون " الا أن يكون تكرارا ؟

الرد على الشبهة في الموضع الأول :

ان النظر الصحيح يثبت أولا أن التولي هو الانصراف ، واليعد

بالجسم ، والاعراض هو الانصراف بالقلب ، فأشبهه بهذا

بقوله تعالى " فأعرض وتأى بجانبه " (٢)

وفي هذا تصوير حسى للاعراض فهو لم يعرض بالقلب بمسند الادعاء

بل قرن المعنى النفسى بالمظهر الحسى لتصوير الاعراض - وجعل

الحق وراءهم حسيا ، ثم قوله تعالى " وأنتم معرضون " حال وفيه

معنى توليتم ان كانت بمعنى الاعراض طامة ، وذلك لأن هذا الجلة

المطالبة أي أن الاعراض النفسى عن الحق ، ووجودهم حال مستورة

من أعوانهم ، فالحق لا يصل اليهم .

(١)

(٢)

والموضع الثاني :

وهو قوله تعالى " أقررتم وأنتم تشهدون "

فان الذين يدعون التكرار في المعنى يقولون ان الشهادة هو الاقرار

فما معنى ذكرها بعد الاقرار الا أن يكون تكرارا ؟

ونقول في الاجابة عن ذلك أن ذكر " وأنتم تشهدون " بعد الاقرار

ليس تكرارا ، لأن الشهادة هنا ليس معناها الاقرار لأن الاقرار قد يكون عن

امر مشيئ ، وانما معناها الحضور والرومية ، والمعنى طي ذلك أنكم

حضرتم الميثاق وأقررتم طي ما فيه ، فهو اقرارا موثق لا يستطيعون

(١)

أن تدعوا الغفلة ان هو قول حضور ، فمن أيهنما تفظون)

ومن الآيات القرآنية التي يدعى فيها التكرار بآدي السراى

قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام مع قومه :

" ولا تعشوا في الأرض ففسد ين " (٢)

فالجواب أنه لا تكرار بل ؛ نقول (أن كلمة ففسد يعنى ههنا

تأكيد للمعنى ، والنبي الأمين قد نهى عن الفساد ، وعن القصد

البيد ، ومن جهة أخرى فيها إيحاء إلى أن الافساد وصف لهم ،

فعليهم أن يتخلوا عن الوصف ، وهو كذلك تدل طي شناعة

(٣)

خالهم ، وفساد جمعهم ان أنه فساد لا صالح معه)

(٤)

والأمر يعمل طي ظاهره وهو المنع من كل أنواع الفساد .

(١) القرآن المعجزة الكبرى ص ٣١.٤ - ٣٢.٥

(٢) سورة الاعراف آية (٧٤)

(٣) القرآن المعجزة الكبرى للأمام بوزهرة ص ٣١٥

(٤) التفسير الكبير للرازي ج ١ ص ١٦٤

وذكره أيضا الألوسى :

ومعنى تعثوا مفسدين : الجثوه هو الفساد فمفسدين حال مؤكدة (١)

إذن لا يوجد كما ادعى هو لا المدعون - تكرار لفظي في جملة

واحدة ولا في موضع واحد ، ونحن نرى أنه لا تكرار في عبارات

القرآن ، وأنه إذا تكرر لفظ أو معنى فانما يكون ذلك لمناسبة

جديدة ، ولقد ذكرنا ذلك من قبل في فوائد التكرار .

(١) تفسير الألوسى المجلد الثالث ج ١٧ ص ١٦٤ .

الشبهة الثالثة :

جاء في سيكولوجية القصة قول الحداد حيث يقول أن فيما تكرر من قصص التران تعارضا بين القرآن وما جاء في الكتاب المقدس فيقول :

() ولا ننسى أن هذا يمثل أكثر من ثلث القرآن وفي اعتباره من المتشابه ما فيه من شبهة يزيدا مرارة ما فيه من شبهة (١)
(التعارض)

ويورد صاحب سيكولوجية القصة على ذلك القول فيقول :

() أما رأيه في التعارض بين قصص القرآن والكتاب المقدس، فهو رأى مخرى ، وأقل ما يترتب عليه التشكيك في مهمة ما ورد في القرآن ، على أساس أن نسخ التوراة والانجيل - كما يدعى - باقية كما هي ، وكما أنزلها الله ، لم يدخل عليها أي تعريف أو تغيير ، وهذا (٢)
(غير صحيح)

ونحن نقول بدورنا أن ذلك فضلا غير صحيح لأن كتب التوراة والانجيل قد بدلت وعرفت بدليل ما عرفناه من التاريخ وكتبه بدليل قوله تعالى " انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والريانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء " فلا تخشوا الناس واخشون

(١) و (٢) سيكولوجية القصة ص ١٥٠ .

ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك
هم الكافرون (١)

فكانوا يحكمون بها وهم متمسكون بها برهة من الزمان ثم شرعوا
في تحريفها وتبديلها وتغييرها وتأويلها وأبداء ما ليس منها
كما قال تعالى " وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو
من عند الله ويقولون طي الله الكذب وهم يعلمون " ^١
فأعبر تعالى أنهم يفسرونها ويتأولونها ويضعونها على تفسير
مواضعها وهذا ما لا اختلاف فيه بين العلماء

وهو أنهم يتصرفون في معانيها ويحطونها على غير
المراد (٢)

(وأما ما بأيديهم من التوراة المعربة فلا يشك عاقل في تبديلها
وتحريف كثير من ألفاظها وتغيير القصص والألفاظ والزيادات والنقص
البين الواضح وفيها من الكذب البين والخطأ الفاحش شيء كثير
جدا فأما ما يتلونه بلسانهم ويكتبونه بأقلامهم فلا اطلاع لنا عليه
والمظنون بهم أنهم كذبة خونة يكثرون الغيبة على الله ورسوله
(٣)
وكتبه)

-
- (١) سورة المائدة آية (٤٤)
 - (٢) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٤٧
 - (٣) نفس المصدر ج ٢ ص ١٤٩

إذا طر ضوء ذلك الرد نستطيع أن نقول أنه لا تعارض بين القرآن
والكتاب المقدس ولكن ما حدث كان تحريفًا للكتاب المقدس
أدى إلى التعارض الذي يدعونه .

إذا ما وجد من تعارض بين القرآن والكتاب المقدس نستطيع
أن نرده إلى ما حدث من تعريف التوراة والانجيل ، لأن تحريفهما
وتبديلهما أمر معترف به من اليهود والنصارى أنفسهم ، أما القرآن
الكريم فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وهو محفوظ بحفظ الله له سبحانه وتعالى .

الشبهة الرابعة :

_____ يذهب أصحاب هذه الشبهة الى وجود

اختلاف وتعارض بين آيات القرآن الكريم في الموضوع الواحد .

ويمثلون لذلك بوصف القصص القرآني لموقف موسى من ربه في

" سورة طه " سورة " النمل "

ففي سورة طه يقول تعالى :

" وهل آتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى

آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما

آتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد

المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى أنا الله

لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية ،

أكاد أخفيها لتجرى كل نفس بما تسعى فلا يصدناك عنها من

لا يوم من بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هى

عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولى فيها مآرب أخرى

قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قال خذها

ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى وأضم يدك الى جناحك

تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب

الى فرعون انه طغى قال رب الخ .

وهو في سورة النمل يقول الله تعالى :

" واذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سأتيكم منها بخبر

أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ، فلما جاءها نودى ~~بالحق~~ . الخ

ولماذا في سورة القصص غير هذين ؟

يقول المفروضون أن هذه الحادثة واحدة ، ولكن الحوار غير الحوار ! والوصف مختلف ، لذا جعلوا القصص القرآني من المتشابهات ، ومن هؤلاء الذين يقولون ذلك الدكتور خلف الله (١) حيث يستشهد بالامام الطبري أنه عدّ القصص القرآني من المتشابهات حيث يقول الطبري : (المتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرار فقصة باتفاق الألفاظ واختلفت المعاني وقصته باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني) (٢)

ومن أتى بهذه الشبهة قد استشهد بمقطع من كلام الامام الطبري ولم ينقل الكلام كاملاً بل أخذ منه ما يند شبهته ويقويها ولكي نثبت ذلك فسوف نسوق كلام الامام الطبري كله حتى نجلى الكلام ونوضح مقصود الامام ومراده وأنه ليس كما يقول د . خلف الله بل ان الامام الطبري يقول في تفسيره للمتشابه في قوله تعالى : " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات " (٣)

فقوله : " متشابهات " أي متشابهات في التلاوة ، مختلفات في المعنى ، فتأويل الكلام : ان الذي لا يخفى عليه شيء في

(١) الفن القصصي لخلف الله ص ٣٣ .

(٢) تفسير الطبري ج ٣ ص ١٧٤ الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

(٣) سورة آل عمران آية (٧) .

الأرض ولا في السماء ، هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن ،
منه آيات محكمات بالبيان ، هن أصل الكتاب الذي عليه عماده
وعماد أمتك في الدين ، واليه مفزك ومفرجهم فيما افترضت
عليك وعليهم من شرائع الاسلام ، وآيات آخر هن متشابهات في
الطلاوة مختلفات في المعاني . (١)

وبعد أن قال رأيه ذلك أخذ يستعرض آراء العلماء
والمفسرين ومن ضمنها الوأى الذي ذكره د . خلف الله قوله
عما جاء في تفسير الطبري (وقال آخرون : معنى المحكم :
ما أحكم الله فيه من آي القرآن ، وقصص الأمم ورسولهم الذين
أرسلوا اليهم ، ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمه ، والمتشابه :
هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور
فقصد به باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني ، وقصد باختلاف
الألفاظ واتفاق المعاني) .

ولم يذكر خلف الله باقي الكلام الذي يلي ذلك وهو :
(ذكر من قال ذلك : حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن
وهب ، قال : قال ابن زيد وقرأ : " آلر ، كتاب أحكمت آياته
ثم فصلت من لدن حكيم خبير " قال : وذكر حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في أربع وعشرين آية منها ، وحديث نوح
في أربع وعشرين آية منها ، ثم قال " تلك من أنباء الغيب " ثم

(١) تفسير الطبري ج ٣ ص ١٧٢ .

ذكروا " والى عاد " فقرأ حتى بلغ " واستغفروا ربكم " ثم مضى
ثم ذكر صالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا ، وفرغ من ذلك ، وهذا
يقين ، ذلك يقين أحكمت آياته ثم فصلت ، قال : والمتشابهه ،
ذكر موسى في أمكنة كثيرة ، وهو متشابهه ، وهو كله معنى واحد
ومتشابهه : أسلك فيها ، أحمل فيها ، اسلك يدك ، أدخل
يدك ، حية تسعى ، شعبان مبين ، قال : ثم ذكر هود في
عشر آيات منها ، وصالحا في ثمانى آيات منها وإبراهيم في
ثمانى آيات أخرى ، ولوطا في ثمانى آيات منها ، وشعيب في
ثلاث عشرة آية ، وموسى في أربع آيات ، كل هذا يقضى بين
الأنبياء وبين قومهم في هذه السورة ، فانتهى ذلك الى مائة
آية من سورة هود ، ثم قال : (ذلك من أنباء القرى نقصناه
عليكم ، منها قائم وحصيد ، وقال في المتشابهه من القرآن : من
يرد الله به البلاء والضلالة ، يقول : ما شأن هذا لا يكون هكذا ،
وما شأن هذا لا يكون هكذا ؟) (١)

وبعد ذلك أخذ الامام الطبرى يستعرض رأى العلماء

وأقوالهم في المحكم والمتشابهه ، ولكنه قبل أن يستعرضها قال

رأيه أولا كما ذكرناه في أول الكلام ، وبذلك نكون قد وضعنا

كلام الامام الطبرى الذى قد اتخذ منه الدكتور خلف الله مقطعا

يسند ويقوى شبهته .

(١) تفسير الطبرى ج ٣ ص ١٧٤ .

أما عن المحكم والمتشابه فلقد فسرها العلماء الى معاني كثيرة ولكنها متقاربة في المعاني مهما اختلفت الألفاظ .
ولنرى أولا معاني المحكم والمتشابه في اللغة :

معنى المحكم : هو ما لا يمرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى . (١)

أما المتشابه : فهو من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره اما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى وهو يعنى ما يشبه بعضه بعضا في الاحكام والحكمة واستقامة النظم والشبه من الجواهر ما يشبه لونه لون الذهب . (٢)

ولقد ذكر الرازي في تفسيره عن معنى المحكم والمتشابه ما يلى :

(اعلم أن القرآن دل على أنه بكليته محكم ، ودل على أنه بكليته متشابه ، ودل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه) (٣)
وبذلك القول قال الزركشى أيضا . (٤)

(أما ما دل على أنه بكليته محكم ، فهو قوله " الر تلك آيات الكتاب الحكيم ، الر كتاب أحكمت آياته " فذكر في هاتين الآيتين أن جميعه محكم ، والمراد من المحكم بهذا المعنى كونه كلاما

(١) المفردات ص ١٢٨ .

(٢) المفردات ص ٢٥٥ .

(٣) التفسير الكبير ج ٧ ص ١٦٧ .

(٤) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٦٨ .

حقا فصيح الألفاظ صحيح المعاني وكل قول وكلام يوجد
كان القرآن أفضل منه في فصاحة اللفظ وقوة المعنى ولا يتمكن
أحد من اتیان كلام يساوى القرآن في هذين الوصفين ، أما
مادل على أنه بكلية متشابه ، فهو قوله تعالى : " كتابا متشابها
مثنى " والمعنى أنه يشبه لعضه بعضا في الحسن ويصدق
بعضه بعضا ، واليه الإشارة بقوله تعالى : " ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " أى لكان بعضه واردا على
نقيض الآخر ولتفاوت نسق الكلام في الفصاحة والبراعة (١)

وأما مادل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه ، فالمحكم ؛
فهو ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام ، والمتشابه ؛
فأصله يشبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني (٢) كما
قال تعالى في وصف ثمر الجنة " وأتوا به متشابها " (٣) .

(ولقد وصف القرآن بالأحكام على الاطلاق في أول سورة
هود بقوله : " كتاب أحكمت آياته " وهو من الأحكام النظم
واتقانه أو من الحكمة التي اشتملت آياته عليها ، ولا شك أن
القرآن يصح أن يوصف كله بالمحكم وبالتشابه من حيث هو

(١) التفسير الكبير ج ٧ ص ١٦٧ .

(٢) البرهان ج ٢ ص ٦٨ .

(٣) سورة البقرة آية (٢٥) .

(١) متقن ويشبه بعضه بعضاً)

(وإذا كان بعض العلماء قال : ان القصص القرآني من المتشابه ، فان من الجهل الفاضح أن يفهم التشابه على أنه من المبهم الذي يعجز العقل عن ادراكه ، ولكنه شيء يشبه بعضه بعضاً في الحسن ، وفي عرض المعاني التي تدخل في واد واحد في عدة مناسبات فليفهم ذلك الحشوة الذي لم يدخل الايمان في قلوبهم) (٢)

ويقول الامام الزرقاني في شأن المحكم والمتشابه (أننا اذا نظرنا في الآراء حول المحكم والمتشابه لانرى فيها تناقضاً ولا تعارضاً ، وتعريف الرازي جامع مانع من هذه الناحية) (٣)

وأقول أيضاً : أن المتشابه هو ما تشابه في جزالة اللفظ وقوة المعنى والتشابه في الحسن والبلاغة والنسق البياني واحكام النظم والاعجاز فتشبه المعاني بعضها في ذلك .

أما من يجعلون التشابه بأنه الاختلاف والابهام والابهام فهذا خطأ فادح لانوعيده بأي حال من الأحوال .

-
- (١) تفسير المنار المجلد الخامس ج ٥ ص ١٦٣ .
 - (٢) بحوث في قصص القرآن ص ٥٧ .
 - (٣) مناهل العرفان ج ٢ ص ١٧٠ .

" فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم
يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب " (١)

فقوله : " الذين فى قلوبهم زيغ " أى مرضى " فيتبعون ما تشابه
منه " فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل ما يذهب اليه المبتدع
مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق
" ابتغاء الفتنة " طلب أن يفتتوا الناس عن دينهم ويضلوهم
" وابتغاء تأويله " وطلب أن يؤولوه التأويل الذى يشتهونسه
" وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم " أى لا يهتدى
الى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه الا الله وعباده
الذين رسخوا فى العلم : أى ثبتوا فيه وتمكنوا وعوضوا فيه
بضرس قاطع (٢)

والمحكم والمتشابه قد ذكر فيها العلماء والمفسرون أوجه
ومعاني كثيرة جدا ولكنها فى النهاية تتقابل وتتلاقى فى المعانى
ولا خلاف بينها وقد استعرضنا بعضها ما وسعنا ذلك ،
وباستعراض هذه المعانى تكون قد أزلنا الشبهة أن القصص
القرآنى من المتشابهات .

(١) - سورة آل عمران آية (٧) .

(٢) - تفسير الكشاف ج ١ ص ٤١٣ .

الباب الثالث

عناصير
القصص
القرآنية

أ - عناصر القصة :

ترتفع من فن القصص بصورة طامة أنه لا بد للقصة من عناصر

ولا لم تكن هناك قصة وأهم عناصرها طي سهيل الأجمال هي :

أولا : الشخصية :

وهي الذات التي تصنع أحداث القصة وتدور معها ، وتكون

الشخصية بشرية ، وتكون غير بشرية كالنحلة والهدد والقول والطور

وغير ذلك ، وتكون فرد أو تكون جماعة وهكذا .

ثانيا : العسوار :

وهو الكاظم الذي يدور بين الأشخاص في القصة سواء كان بين

شخصين أو أكثر .

ثالثا : الأسلوب :

وهو الذي يبين ويوضح أحاسيس ومشاعر الكاتب إلى القارىء

أو المستمع ، فله دوره أيضا المهم في رسم قالب الموضوع

وتوصيله إلى السامع أو القارىء .

رابعا : الموضوع :

وهو الحدث أو الأحداث التي تشمل عليها القصة ، وكما

نعلم أن ذلك المنصر لا تغلوا منه قصة أبدا إذ هو المنصر

الأساسي التي تدور حوله القصة .

خامسا : الهدف :

وهو الذي تساق من أجله القصة ، فالقصة بلا هدف سخيف ولعيب بعقول الناس ، فلا بد أن تكون القصة ذات هدف والا كانت درسا من دروب العبث والهزل .

سادسا : الزمان والمكان :

العنصر الزمني في القصة له أهمية واضحة حيث أنه يتضح في الصورة عندما تكون الحاجة داعية الى ذلك ، وأيضا المكان له أهميته ودوره في القصة وهو عنصر فعال فيها .

- وهذه العناصر موجودة في قصص القرآن الكريم بصورة جلية سامية تتناسب مع جلال الوحي وسمو الرسالة الالهية .

وسوف أتناول كل عنصر من عناصر القصة القرآنية بالدراسة حيث أعقد لكل عنصر فصلا خلال هذا الباب وذلك فيما

يلي :-

الفصل الأول
بسم الله

الشخصية

مفهوم الشخصية :

الشخصية هي العنصر الأساسي في القصة وهي
مبناها الكبير ، صانعة الأحداث ، مجزية الحوار ، ومخترعة
الأسلوب ، والهدف ينبع من اطارها ، هديا وارشادا . .
وسوف أتكلم عن هذا العنصر من عدة نواح تبين لتلوه الشخص
في القصة ، فقد يكون بشرا ، وقد يكون غير بشري ، وقد يكون
فردا ، وقد يكون جماعة . . وهكذا .

فالشخصية البشرية نراها : في شخصية الأنبياء ،
والمصلحين ، والطالحين ؛
كما تبين و شخصية المرأة واضحة بكل ما لها من أبعاد
في القصص القرآني ، والأشخاص العاديين ، وشخصية
الجماعات والجماهير .

والشخصية الغير بشرية في القصص القرآني :
نراها في : شخصية الملائكة ، الجن ، ابليس ، النمل ،
الطير وهكذا .

ذكرت أن الشخصية أساس القصة ، وأنها أحد عناصرها المهمة ، فلا بد وأن نتعرف على معنى الشخصية ، وعلاقتها بالقصة ؟ وهل لها أنواع ؟ أم هي نوع واحد ! وهذا مما ستعرفه من خلال البحث !

فالشخصية : (نظام متكامل من الصفات تميز الفرد عن غيره) (١) وهذا يدل على أن النظام يشمل الجوانب العقلية والعاطفية والوجدانية وسائر قوى الانسان مثل الدوافع والغرائز .

والشخصية هي التي تقوم بالدور على أكل وجه وأخسنه .
وفي عناصر القصة لا نستطيع أن نفرق بين العناصر بعضها مثل الشخصية والحدث وذلك أن الشخصية فصل الحدث .
(كما أن الشخصية لا تثبت وجودها الا من خلال ما تقوم به من أحداث ، أو ما تؤديه من أقوال ، وهذا التداخل الواضح مظهر ايجابي في بنائية القصة ، يعقق لها توازنا مستمرا في النون نحو صورة قصصية متكاملة نوعا ، كما أنه يجعل بعضها ذا تأثير بين في بعضها الآخر) (٢)

وبذلك المفهوم نستطيع أن نتعرف على الشخصية من خلال الحدث أو الحوار الذي تقوم به ونتعرف على جوانب الشخصية بوضوح .

(١) أصول علم النفس ذ / أحمد عزت راجح ص ٣٧٩ . الطبعة

التاسعة ١٩٧٣ م .

(٢) القصص في الحديث النبوي لمحمد حسين الزبير ص ١٨٥ .

ومن ذلك نفهم أن الشخصية حينما تطلق في مجال دراسة القصة القرآنية يراد منها الجانب المحسوس الظاهر التي تشترك به في بناء القصة من حديث وحدث بصورة ايجابية متوازنة مع بقايا عناصر القصة .

ويمكن أن ننظر الى الشخصية في القصة القرآنية حين نريد أن نتعرف على أنواعها ، فلا بد أن نعرفها من حيث طبيعتها ذاتها وطبيعة تكوينها .

والتعريف على أنواعها من حيث ذاتها وطبيعتها : بشرية أو غير بشرية ، ومن حيث الشخصية البشرية نجد أن هناك أنواعا كثيرة من الشخصيات البهيمية كالأنبياء والرجال والنساء والجماعات وهناك شخصيات غير بشرية : كالملائكة المكرمين ، والجن والحيوانات والطيور .

وسوف أتكلم عن كل بما يتفق ويتخاضع مع التقسيم .

أولا : الشخصية البشرية :

يقصد بالشخصية البشرية في إطار القصة القرآنية أن تكون الذات التي يدور حولها القصص القرآني من البشر رجلا كان أو امرأة صالحا كان أو طالعا ، رسولا كان أو غير رسول ، وذلك يتضح فيما يلي :

١ - شخصية الأنبياء :

من أبرز أشخاص القصة القرآنية الرسل والأنبياء (١)

وقد عثفت بجانب كبير ووفير من القصة القرآنية يشهد لذلك كثير من السير التي سميت بأسماء الأنبياء كسورة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويونس ، وإبراهيم ، ~~الأنبياء~~ عليهم جميعا الصلوة والسلام .

(١) ولا شك أن ذكر الشخصية باسمها المحدود يعطيهما نوعا من الواقعية في نأرا السامع مما يجعله أكثر قربا منهما وإرتباطا بهما ، وأكثر اعتنا بها كشخصية حقيقية كان لها وجود في الواقع (٢)

(٢) كما أن ذكر الأنبياء بأسمائهم في القصص القرآني أراد معنى إلى الاقتداء بما صدر عنهم من مواقف ، باختيار أن أسناد الموقف إلى شخصية نبوية معروفة ، يعطى أهمية للموقف نفسه ، أو الرأي الذي تتبناه الشخصية ، فتمه هدف وإذ ذكر أسماء الأنبياء هو تمريرنا بهم ، وتزويدنا بالمطلوبات من هذه الشخصيات الكريمة (٣)

ويحط أن ذكر الأنبياء بأسمائهم في القصص القرآني هو أدعى إلى الاقتداء بهم والعمل بأخلاقهم مما يجعل الناس أكثر

(١) سوف نوضح معنى الرسل والأنبياء والفرق بينهما في موضعها

ان شاء الله .

(٢) القصص في الحديث النبوي ص ٢٠٣ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٢٠٣ .

اقبالا على القصص القرآني لأنهم القدوة والاسوة الحسنة للبشر .
وهذا أحد القوائد المرادة بقوله تعالى : " أولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده " (١)

قال الراغب : الهدى والهداية في موضوع اللغزة واحد ولكن قد
خص الله عز وجل لفظة الهدى بما تولاه وأعطاه واختص هو بيسه
دون ما هو إلى الانسان وهو لا يصح مطردا . (٢)

والاقتداء في اللغة : السير على سنن من يتخذ قدوة أي مثالا
يتبع . (٣)

() فمعنى الآية على هذا : أولئك الأنبياء هم الذين هداهم
الله تعالى الهداية الكاملة فبهداهم دون ما يفسد به ويخالفه
من أعمال غيرهم وهفوات بعضهم أقتد أيها الرسول فيما يتناوله
كسبك وعملك مما بعثت به من تبليخ الدعوة واقامة الحججة ، والصبر
على التكذيب والجحود ، وايداء أهل العناد والجحود ، ومقلدة
الاياء والأجداد ، واعطاء كل حال حقها من مكارم الأخسبلاق
وأحسن الأعمال ، كالصبر والشكر ، والشجاعة والحلم ، والايثار
والزهد ، والسخاء ، والبذل ، والحكم بالعدل (٤)

(١) سورة الأنعام آية (٩٠) .

(٢) المفردات ص ٥٤١ .

(٣) تفسير المنار ج ٧ ص ٥٩٥ .

(٤) نفس المصدر السابق ج ٧ ص ٥٩٥ .

ان ايراد (شخصية الأنبياء) تهدف الى نشره و دليلى
متكامل حيث أنهم رسل الله للبشر يهدون الى الطريق القويم
السوى الذى لا يخفى سواة لعالم البشر ، والتي فى مجموعها
تدعو الى عبادة الله تعالى (شرع^(١) لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وهيسى أن
أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (٢)

(وفى أحيان قليلة يذكر الأنبياء بدون تعيين الاسم حيث
ترد الشخصية فى القصة القرآنية بلفظ " نبي ") (٣)
كما فى قوله تعالى " ان قالوا لنبي لهم امثالنا ملكا نقاتل فى
سبيل الله) (٤)

(١) شرع : الشرع نهج الداريق الواضح ، يقال شرعته له طريقا
والشرع مصدر صثم جعل اسما للداريق النهج فقيل لسه
شرع وشرع وشريعة ، واستعير ذلك للطريقة الالهية
قال (شرعة ومنهاجا) فذلك اشارة وقوله (شرع لكم
من الدين) فاشارة الى الأصول التى تتساوى فيها الطل
فلا يصح عليها النسخ كمعرفة الله تعالى ونعمونك .

(المفردات ص ٢٥٨)

- (٢) سورة الشورى آية (١٣) .
- (٣) القصص فى الحديث النبوى ص ٢٠٣ .
- (٣) سورة البقرة آية (٢٤٧) .

(ذكر أن هؤلاء القوم كان لهم نبى ولم يذكر اسمه ولا الزمان ولا المكان اللذين حدثت فيهما القصة ، والحوادث المتقدمة منها ما هو معروف ، والله تعالى يذكر هذا وذاك ما شاء أن يذكر لأجل العبرة والموعظة ، فيكتفى من القصة بموضع العبرة ومحل الفائدة ، ولا يأتى بها مفصلة بجزئياتها التى لاتزيد فى العبرة بل ربما تشغل عنها ، فلا غرو أن يكون فى هذه القصص التى يحفظها الله بها ويعلمنا سننه مالا يعرفه الناس ، لأنه لم يرو ولم يسدون بالكتاب وقد اهدى بعض المؤرخين الراقين فى هذه الأزمنة الى الاقتداء بهذا ، فصار أهل المنزلة العالية منهم يذكرون من وقائع التاريخ ما يستنبطون منه الأحكام الاجتماعية وهو الأمور الكلية ، ولا يحفظون بالجزئيات لما يقع فيها من الخلاف الذى يذهب بالثقة ولما فى قرائتها من الاسراف فى الزمن والاضاعة للعمر بغير فائدة توازيه (١)

ومن الشخصيات النبوية المذكورة فى القرآن تذكر شخصية ابراهيم عليه السلام ، فنرى شخصيته هى أعظم مثال للهداية والطاعة والشكر ، أنظر قوله تعالى :

" ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتهاه وهداه الى صراط مستقيم ، وآتيناه فسوس الدنيا حقيقا وان فى الآخرة لمن الصالحين " (٢)

(١) تفسير المنار المجلد الثانى ج ٢ ص ٤٧١ .

(٢) سورة النحل آية (١٢٠ - ١٢١) .

أى أنه عليه السلام كان يجمع الصفات الحميدة والأخلاق
الفاضلة التي تتفرق في أمة كاملة فهي مجتمعة فيه ، وكان طابدا
لله قانتا له غير مشرك ، وشاكرا لنعم الله فقد اختاره الله
وهده الى الصراط المستقيم ،

(وأتيناها في الدنيا حسنة) قيل الود الطيب وقيل : الشفاء
الحسن ، وقيل : النية ، وقيل : الصلاة مقرونة بالصلاة طس
محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل : أنه ليس أهل دين الا وهم
يتولونه وقيل : بقاء ضيافته وزياوة قبره ، وكل ذلك أعطاه الله
وزاده صلى الله عليه وسلم (^{لأنه} في الآخرة لمن الصالحين)
" من " ؛ بمعنى مع ، أى مع الصالحين ، لأنه كان في الدنيا أيضا
مع الصالحين ، (١)

وقد وصف الله ابراهيم في القرآن بقوله تعالى :

" وان ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال : انى جاظك للناس
اماما ، قال : ومن ذريتى قال : لا ينال عهدى الظالمين " (٢)

ففرى أن الله تعالى قد اختبر ابراهيم عليه السلام بكلمات
وهو اختباره بتكاليف وأمر فاتمها وقام بها حتى القيام حيث
قال الله تعالى له : " انى جاظك للناس اماما يتبعونك وتكسون

(١) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٣٨١٤ .

(٢) سورة البقرة آية (١٢٤) .

قدوة لهم فطلب ابراهيم من ربه أن يجعل الامامة في ذريته أيضا
فأجابته تعالى أن هذه الامامة لا ينالها الظالمون لأنهم ليسوا
أهل لذلك ولا أهل لأن يقتدى بهم .

ونرى وصف الله تعالى لذكر شخصية ابراهيم عليه السلام
في قوله تعالى :

” واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا ” (١)

ولقد عرفنا الصدق في موضعه ، فوصف الله تعالى نبيه ابراهيم
بالصدق والنبوة ولقد وصفه الله تعالى بالصدق قبل وصفه
بالنبوة للدلالة على أهمية هذه الصفة في حياة الانسان .

وهناك الكثير من الصفات التي وصف الله تعالى بها

نبيه ابراهيم وبها تتضح شخصيته من خلال القرآن .

- وشخصية يوسف عليه السلام حيث نرى شخصيته قد تميزت
بطابع معين في كثير من الآيات التي أوضحت لنا ذلك كما فسر
قوله تعالى :

” وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث
والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ولما بلغ أشده
آتيناها حكما وطمنا وكذلك نجزي المحسنين ” (٢)

(١) سورة مريم آية (٤١) .

(٢) سورة يوسف آية (٢١ - ٢٢) .

() أى وطى هذا النخوم من التدبير والتسخير جعلنا ليوسف
مكانة عالية فى أرض مصر " ولنعلمه من تأويل الأعداد ١٢ " ،
كتعبير الرؤيا ، ومعرفة عقائق الأمور وما ينتهى به الى الغاية
من هذا التمكين (١)

والله تعالى غالب على أمره أى أن أمره هو الغالب فلا راد له .
(ولما بلغ أشده) أى رشده وكمال قوته باستكمال نموه
الهدنى والعقلى " آتيناك حكما وطما " أى وهبناه حكما الهاميا
وعقليا بما يعرض له أو طيه من النوازل والمشكلات مقرونا بالحسق
والصواب ، وطما لدنيا وفكريا بحقائق ما يعنيه من الأمور ، وهذه
السن فى حرف الأباء تتم فى خمس وعشرين سنة ، فقله " فلما بلغ
أشده آتيناك حكما وطما وكذلك نجزي المعسرين " فالأول مبدأ
استكمال النمو العظلى والعصبى ، والثانى مستواه ، وبه يتسليم
الاستعداد للنبوة ووحى الرسالة عتو اذا بلغ خمسا وثلاثين
سنة لا يظهر منه شئ جديد من العلم الكسبى غير ما ظهر من
بدء سن التمييز الى هذه السن ، وانما يكمل ما كان ظهر منه
اذا هو ظل مزا ولا له ومشتغلا بتكميله (٢)

(١) تفسير المنار ج ١٢ ص ٢٧٣ .

(٢) تفسير المنار ج ١٢ ص ٢٧٤ .

وهكذا تجلوا كثير من الآيات شخصية يوسف عليه السلام
وما كان فيها من صفات متعددة في مطلع حياته ، وفي ظل أبيه
يعقوب عليه السلام ، وفي بيت عزيز مصر ، وجلوسه على مخزائن
الأرض حاكما ، وما استعرضناه هو بعض ملامح من شخصيته عليه
السلام .

(طو أننا لو حللنا جميع نماذج الشخصيات في مختلف القصص
لوجدنا فيها الرسم الواضح لكل منها ، وقد صورت بأسلوب
تعليلي أو بأسلوب تمثيلي طو عند تعبير رجال القصة الفنية) (١)

وهكذا لو تتبعنا جميع قصص القرآن الكريم لرأينا فيها
ما يفوق الوصف ، فهو يشخص الشخصيات بحيث يظن القارئ أو
المستمع أنها ماثلة أمامه من دقة الوصف والابداع في رسم
شخصيات القصة بكل أبعادها ومواصفاتها التي تجعلها جليلة
واضحة وكأنها ماثلة للعيان .

٢ - شخصية الصالحين :

ومن الشخصيات البشرية أشخاص ليسوا

بأنبياء ولكنهم صالحون ذكروا في القرآن ، ألا وهم الذين يهدون
الناس إلى البر وطريق التقوى والهداية والرشاد ، فصلتهم بالله

(١) التعبير الفني د / بكرى شيخ أمين ص ٢٢٣ .

تعالى هي أحسن ما تكون صلة فهم قد اهدوا وصلحوا واستقاموا
وهدوا الى غيرهم يعلمونهم الكمال والصلاح والخير ، ومثال ذلك
واضح في : لقمان وابنه ، ومؤمن آل فرعون ، ورسول عيسى عليه
السلام ، ولقد ذكروا في القرآن ليكونوا دعاة الى الحق والرشاد
والهداية والصراط المستقيم ويعدون الناس عن الالحاد والعصيان
والفسوق ، ويقربونهم الى الايمان والرشاد .

٣ - شخصية الطالبين :

ومن الشخصيات البشرية الذاتية المذكورة في القصص
القرآني ، ذكر أشخاص هم أسوأ مثل في الاغواء والضلال والفسوق .
كفرعون وهامان وجنودهم أجمعين .

٤ - شخصية المرأة في القصص القرآني :

لا بد هنا وأن نشير الى مكانة المرأة وشخصيتها التي تظهر في القصص القرآني ، ونرى ما هو الدور الذي تقوم به ! وما هي وظيفتها الطبيعية من خلال القصص القرآني ؟

فكما نعلم أن المرأة لها مكانتها البارزة في المجتمع وهي احدى شقّي النفس الانسانية التي خلقها الله تعالى ، ومنها يتكاثر البشر على وجه الأرض ، فهي تتساوى مع الرجل في أشياء وتختلف معه في أشياء أخرى كل بحسب ما يتلاءم ويتناسب مع تكوين جسمه وطبيعته ، وهذه النظرة ينظر القرآن الكريم الى المرأة في أحكامه وتشريعاته ، وترى القصص القرآني يظهر المرأة حيث تعتل مكانتها الطبيعي وتكون عنصرا أصيلا في القصة فلها كإنسانة ما للرجل من حقوق الا اختلافا قليلا في بعض الفروع ، ولهذا نراها في كل نشاط انساني يلائم أنوثتها وتكوينها وطبيعتها في القصة القرآنية ، ما يجعلنا نلاحظ في القصص القرآني أنه يأتي لنا بالمرأة لا لغرض التشويق والاثارة بل للمعبرة والعظة ، وما يستلزمه الموقف القصص الذي يمثل واقع الانسان ، بخلاف من نراهم في القصص الأدبي يتعمدون وضع المرأة للتشويق والاثارة ، فالقصص القرآني يجعلها في مكانها الطبيعي حيث تكون حرة وعظة لبنات جنسها ومن هم على مثل حالها في ذلك الموقف ، وهناك الكثير من الأمثلة التي تدلل لنا على ذلك ، فامرأة

فرعون مثلا - لم يذكر اسمها في القرآن ، لتكون ظم جنس للمرأة ، من حيث أنها انسانة مكلفة مؤهلة لها ما للرجل من عقل راشد ، فهي امرأة سالحة رغم أننا نعلم أن زوجها طاغية من الطفلة ولكن بالرغم من ذلك فهي تحكم عقلها وفهمها وصيرتها ، فما أن ظهر لهما الحق والبرهان في دعوة موسى حتى اطاعتت اليه وأمنت بما جاء به .

فهنا استحققت أن يضرب بها المثل وتكون مثلا مضروها على مسير الزمان - للعقل الحر والارادة المتعصرة ، وكان لها السيطرة الحسنة والذكر الطيب في القرآن الكريم ، حيث قال تعالى عنهما " وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ان قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين " (١)

وأنظر قوله تعالى " ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ، وقيل ادخلا ادخلا النار مع الداخلين (٢)

هاتان المرأتان على العكس تماما من امرأة فرعون فهما تحت نبين كريمين من أنبياء الله الى خلقه وتأبى كل منهما أن تسرى

(١) سورة التحريم آية (١١) .

(٢) سورة التحريم آية (١٠) .

نور الحق رغم ما يملأ بيتهما من خير وصلاح ! وهذا الموقف
تظهر لنا فيه المرأة في صورة الخارجة عن طبيعتها منعرفة عن الحق
والصلاح غير متبصرة لزوجها خاصة ان كان يدعو الى الخير والحق
والصلاح لا الى الضواية والفساد ، فكانت نموذجاً للمرأة المشاكسة
المعاداة المعادية للحق .

ثم ترى المرأة أيضا في القرآن ؛ ملكة ذات دولة وسلطان
ومركز ، لها مكانتها العظيمة بين قومها يتمثل لنا ذلك في ملكة
سبأ ولقد عرفت بالعقل والحكمة والنفكير السليم ، وهي تشمل
لنا المرأة الواعية الحازمة المتفهمة للأمور ، فانظر اليها حينما
جمعت قومها وقالت لهم في قوله تعالى ؛
" قالت يا أيها الملأ افتنوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى
تشهدون ، قالوا نعمن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك ، فانظري
ماذا تأمرين قالت ؛ ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا
أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون ، وانى مرسله اليهم بهديسة
فناظرة به يرجع المرسلون " (١)

فهي تراها قد حكمت عقلها في مواجهة هذه الأزمة .
وهنا نستطيع أن نجعلها نموذجاً لشخصية المرأة الحكيمة الواعية
التي تستطيع أن تعزم الأمور في حكمة وعقل .

(١) سورة النمل آية (٣٢ - ٣٥) .

() والمرأة في القصص القرآني لا تكون شيئا مقصودا لذاته بحيث تكون محورا تدور حولها أحداث القصة أو تستجلب استجابا لتوحيدي دور التشويق والاثارة والترفيه ، حتى في قصة يوسف كانت المرأة - امرأة العزيز - في جميع مواقفها وتحركاتها من القصة هي المرأة التي تدعو اليها دواعي الحلال ويقتضيها المقام ، ولهذا فانها كما كانت لونا زاهيا مشعا في القصة كانت كذلك لونا باهتا قائما في أكثر من موقف (١)

ففرى في القصص القرآني أن النواحي التي تدخل المرأة في القصص القرآني الكريم تقرر في النفوس معاني وصفات هي أقرب لأنوثتها بل هي المرأة بعينها في تلج المعاني ، وهو تحقق صرا وأهدافا لا تحقق الا بذكر المرأة في القصة ؛ من ذلك عاطفة الأمومة فنراها لا تحقق ولا تتمثل في سواها ، وكذلك الحنان الأنثوي والحلف الانساني لا نراه بذلك القدر الذي نراه في المرأة أنظر قوله تعالى :

" وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتطوه عني أن يغفمنا أو نتخذنه ولدا ، وهم لا يشعرون ، وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كانت لتهدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ، وقالست لأخته قصيه " (٢)

(١) بحوث في قصص القرآن ص ٧٢ .

(٢) سورة القصص آية (٩ - ١١) .

فقرى هنا العطف والحنان والرفق ، الذى لا يمكن أن يكون
فى غير المرأة وان وجد فلا يكون بهذا القدر وهذه الطريقة .
وأنظر صورة المرأة فى تقديرها لرجولة الرجل وأمانته ونزاهته
فى قوله تعالى " فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من
القوم الظالمين ، قالت احداهما : يا أبت استأجره ان خير من
استأجرت القوى الأمين " (١)

فراها تشوق أباه وتغريه بأن يستأجره وتقوى ذلك له بأن تقول
له - القوى الأمين - والفصل يثمر هذا الطلب ضد أبيها فيقول
له " قال : انى أريد أن أتكلم احدى ابنتى هاتين طى أن تأجرنى
ثمانين حجج فان أتممت فشرأ فمن عندك ، وما أريد أن أشق عليك
ستجدنى ان شاء الله من الصالحين " (٢)

ويقبل موسى ذلك العرض " قال ذلك بينى وبينك أيضا
الأجلين فلا عدوان طى والله طى . ما نقول وكيل " (٣)
فهنا نرى نموذجا للأشئ وهى تستجيب لطبيعتها فى الزواج من
خلال القصص القرآنى ، دون أن تحزج كرامتها وعباؤها ،
ويتمثل لنا فى جزء من سورة يوسف طيه السلام - مكر المرأة -
أنظر قوله تعالى " فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن واعتسدت

(١) سورة القصص آية (٢٦ - ٢٥) .
(٢) سورة القصص آية (٤٧) . (٣) سورة القصص آية (٢٨) .

لهن متكأ ، وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت أخرجنا طيبهن" (١) .
وهكذا نرى المرأة في القصص القرآني في كل مجال وكل موقف
يمكن أن تكون فيه ، فهي ركن قوي في بناء القصة ولكن حينما
تستدعي الحاجة اليها فقط فلا توضع بحاجة وبدون حاجة اليها ،
وحينما يكون لها دور وما يستدعيه الحال ، فهناك قصص لا تستدعي
فيه وجود المرأة لأن الموقف لا يتطلب ذلك وليس لها دور في
القصة ، ويتضح ذلك لنا من خلال بعض القصص القرآني كقصة
أصحاب الكهف وقصة العبد الصالح وموسى ، وقصة نبي القرنين ،
ومع هذا نلاحظ أن هذه القصص الثلاث وهي في سورة واحدة -
سورة الكهف - كانت في مستوى سائر قصص القرآن اثاره وتشويقا بما
جرى فيها من أحداث ، وذلك دائما شأن القرآن في قصصه من
روعة وجمال واعجاز ،

(١) سورة يوسف آية (٣١) .

الأسماء : الأشخاص العاديين :

ومن الشخصيات البشرية المذكورة في القصص القرآني ذلك الشباب الذي لم يخذع بمظاهر ولهو الدنيا ومفاتها بل عصم نفسه عن الهوى والشهوات وكانت نهاية الله معه في ذلك تؤيده وتحفظه ألا وهم (أصحاب الكهف) الذين سنتعرض لهم في مجالات متعددة في البحث ، من خلالها سنعرف قصتهم التي لا تخفى على أحد .

والشخصية في الأسماء الغالب لا تسمى ، وإنما تذكر بوصفها بلفظ "رجل" أو "امرأة" أو ما يراد فيها والسبب في اتجاه القصة القرآنية إلى عدم ذكر الاسم في الغالب ، هو عدم الاهتمام وسحب التركيز هو ما تقوم به هذه الشخصية (الغير مسماة) من عمل أو تتبناه من رأى أو تلتزم به من آراء ، وهذا هو منهج القرآن الكريم ، فلا قد سار على هذا المنهج في شخصيات غير الأنبياء طمهم السلام ، فكان يذكر الشخصية بلفظ رجل أو امرأة مثل قوله تعالى " وجاء رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه " (١) وقوله تعالى " وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى " (٢) وقوله تعالى " قال له صاحبه وهو يحساره " (٣)

-
- (١) سورة غافر آية (٢٨)
 - (٢) سورة القصص آية (٢٠)
 - (٣) سورة الكهف آية (٣٧)

وقوله تعالى "فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الفاهرين" (١)
وقوله تعالى "ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون" (٢)
وقوله تعالى "اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها
عرش عظيم" (٣)

وقوله تعالى "وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها" (٤)
وهذه الأخيرة معناها : (النسوة : جمع قلة للمرأة من ضمير
مادة لفظها ولم يبين لنا التنزيل عدد هن ولا أسماء هن ، لأن
القائدة في العبرة معصورة في أن عطين هن جماعة قليلة يجهد
في العرف افتقارهن ، واتفاقهن على الاشتراك في مثل هذا المنكر ،
ولفظ النسوة مفرد مذكر فيجوز تذكير ضميره للفظه وتأنيشه
لمعناه) (٥)

بالشخصية
ولعدم الاهتمام في ذاتها - في مثل هسذه
المواقف - أغفل اسمها ، ان لا أثر للاسم على المراد الذي هو
موقف الشخصية نفسه وعلمها وفعلها .

فيوم / د / محمد خلف الله : أن هناك اختلاف في طسة
الجدول عن التسمية بين شخصيات الرجال وشخصيات النساء
فيقول :

-
- (١) سورة الاعراف آية (٨٣)
 - (٢) سورة هود آية (٣٠)
 - (٣) سورة النمل آية (٢٣)
 - (٤) سورة يوسف آية (٣١)

() وثاني الأمر هو الحدول عن التسمية وان اختلفت الصلة هنا
فيها هناك ، فقد كنا نرى الأمر بالنسبة للرجال عدم الاهتمام
بالشخصية لعنصر رئيسي في القصة ، ونرى الحدول عنها " إلى
غيرها من العناصر كالأحداث والحوار ، ولكننا هنا نجد للمسألة
تحليلاً آخر هو سلطان البيئة ، والحرص على مراعاة التقاليد
المعروفة في العربية إذ ذاك (١)
وهذا الكلام خطأ وغير صحيح ؛

لأن القرآن هو الذي يجعل في النفوس سلطانه ، وليس
العكس أن يتحكم سلطان البيئة في القرآن فذلك - خطأ لأن
للقرآن سلطان في نفوس الناس ولا يحق أن يكون سلطان البيئة
هو الذي يتحكم في القرآن ويسيره .

أما قوله عن الحرص على مراعاة التقاليد المعروفة في العربية
إذ ذاك ، فذلك أيضاً خطأ وغير صحيح .
لأن المرأة كانت تسمى وتدعى باسمها .

() فقد احتفظ العرب بأنساب نسائهم كما احتفظوا بأنساب
رجالهم فكانوا يحفظون اسم المرأة واسم أمها وجدتها ، السوي
أجيال كثيرة ، فالعرب لم يكونوا يتحرجون في ذكر نسائهم بأسمائهم

(١) الميزان القصص ص ١٨٣ وما بعدها .

زوجات أو أمهات ، أو بنات ، وما فعله القرآن في الذكر أو الخذف
كان لمقتضى الحال (١)

وتكون الأهمية لذكر الاسم في القصة حينما يكون القرآن في
موقف دفاع عن هذه الشخصية كموقف عيسى وأمه مريم حينما اتهموا
بالبهتان ، واتهم عيسى بالقتل في قوله تعالى :
” وكفرهم وقولهم طى مريم بهتاناً عظيماً ” (٢)

” وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلناه
وما صلبوه ولكن شبه لهم ” (٣)

(المراد بالكفر في الآية السابقة ” وكفرهم ” الكفر بعيسى ولذلك
فظف عليه بهت أمه (طيها السلام) وهو قذفها بالفاحشة
والبهتان والكذب الذي يبهت من يقال فيه أي يدهشه ويخيره
لهصدده عنه وفرابته عنده) (٤)

-
- (١) القصص القرآني ص ١١٨
 - (٢) سورة النساء آية (١٥٦)
 - (٣) سورة النساء آية (١٥٧ - ١٥٩)
 - (٤) تفسير المنار المجلد السادس ج ٦ ص ١٨

٣. - (الجماعات والجماهير) :-

وهذا النوع من الشخصيات التي تذكر في القصة بصيغة الجمع أو بما في معناه ، ويتخذ مكانته في القصة من حيث عدده ، وحيث يعطينا صورة واضحة لفئة من الناس ذات شخصية خاصة ، وهي شخصيات جماعية تملأ المكان بوجودها ، وهذا واضح في قصص مشاهد القيامة . . . وقصص البعث والنشور . . . ، واليوم الآخر . . . ، وأهل الجنة . . . ، وأهل النار . . . ، والناس الأولون والآخرين . . . ، والمؤمنون والكافرون . . . ، والذين كانوا يعبدون القمر ، (والذين كانوا يعبدون الشمس) ، (والذين كانوا يعبدون الأصنام) (والفقراء والمهاجرون) .

وإذا أردنا حصر هذه الجماعات وأمثالها لا نستطيع لأنها كثيرة في القرآن الكريم ، مما يدل على أن شخصية الجماهير لها دورها المميز في القصة لذلك جعلناها نوعاً من أنواع الأشخاص التي ترد في القصص القرآني .

أنظر قوله تعالى " قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم ، أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربك ، قالوا انا بما أرسل به مؤمنون " (١)

(الملأ هنا : هم الجماعة الذين يجتمعون على رأي ، فيطعنون

(١) سورة الأعراف آية (٧٥)

العيون رواً ومنظراً والثفوس بيهاً وجلالاً (١)
فإن مشاهد الجماعة تعس وأنت تقرأ القرآن أنها تملأ المكان
بعدها وقوتها .

ولقد كانت الجماعة في الآية السابقة هم الفقراء والمستضعفون
فلقد (مضت سنة الله تعالى بأن يسبق الفقراء المستضعفون من
الناس إلى اجابة دعوة الرسل واتباعهم وإلى كل دعوة اصلاح
لأنه لا يثقل عليهم أن يكونوا تبعاً لغيرهم) (٢)
والجماعات والجماهير من الشخصيات البارزة في القرآن الكريم عامة
وفي القصص القرآني خاصة .

(١) المفردات للأصفهاني ص ٤٧٣ .

(٢) تفسير المنار المجلد الثامن ج ٨ ص ٥٠٤ .

ثانيا ب - الشخصية الغير بشرية في القصة القرآنية :

والشخصية الغير بشرية كما وردت في القرآن الكريم

متنوعة نذكر منها :

١ - شخصية الملائكة :

والملائكة لهم وجود في مجال القصة .
(والغالب أنهم لا يردون في القصة معنيين بأسمائهم) (١) فلم يذكر منهم باسمه الا ثلاثة : (جبريل - وميكائيل - ومالك) عليهم جميعا السلام .

ويلاحظ في القصص القرآني أن هناك شخصيات ملائكة غير سماه كقوله تعالى " ملك " أو " مناد " .

(وهناك عدة صور يظهر بها الملائكة : منها الصورة التي خلقوا عليها ومن النادر أن يبرزوا بها في القصة ، ومرة واحدة أشارت القصة الى ذلك في قصة " جبريل " حين رآه الرسول صلى الله عليه وسلم يتهبب لهذه الهيئة العظيمة وتأخذه رجفة شديدة جعلته يسرع الى خديجة قائلا :

" دثروني . دثروني " . (٢)

(١) القصص في الحديث النبوي ص ٢٢٢ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٢٢ .

ونرى في قوله تعالى " ان هو الا وحى يوحى ، غمه شديد
القوى ذميرة فاستوى ، وهو بالأفق الاطى ، ثم دنا فتدلى
فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ،
ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه
نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى " (١)
(فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية (٢)

فكان قاب قوسين أو أدنى (أى بين جبرائيل ومحمد عليهما
السلام مقدار قوسين أو أقل ، وورد هذا على استتمسك
العرب وطابتهم ، فان الأميرين منهم أو الكبريين اذا اضلحا
وتعاهدا خرجا بقوسيهما وتركل واحد منهما طرف قوسيه
بطرف قوس صاحبه ولذلك تسمى سابعه ، فكانه تعالى أظهر
أنهما كأميرين كبيرين فكان بينهما مقدار قوسين أو كسان
جبرائيل عليه السلام سفيرا بين الله تعالى ومحمد صلى
الله عليه وسلم فكان كالتبع لمحمد صلى الله عليه وسلم فصار
كالسابع الذى يعد السباع لا القوس) (٣)

(ثم دنا فتدلى) قال الرازى فيه وجوه منها :
(أن جبرئيل دنا من النبي صلى الله عليه وسلم أى بعدما

(١) سورة النجم آية (٤ - ١٥) .
(٢) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٢٨ الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ .
وأنوار الطبري ج ٢٧ ص ٤٤ .
(٣) التفسير الكبير ج ٢٨ ص ٢٨٦ وما بعدها .

(١) مد جناحيه وهو بالأفق .

وهناك الصورة البشرية للملائكة التي كثيرا ما يأتون فيها ويتكلمون حين ينزلون الى الأرض في بعض المهمات حيث يخاطبون الناس ويظهرون في صور أخرى بشرية .

وللملائكة وظائف متعددة وكثيرة يقومون بها منها :

التقديس والتسبيح لله تبارك وتعالى :

" ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته " (٢)

وفيه قوله تعالى " وثرى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم " (٣)

ومن وظائفهم تنفيذ ما يصدر اليهم من جميع الأمور الالهية وهم الذين " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون " (٤) وللملائكة دور في القصة كما في قصة ابراهيم ولوط عليهما السلام .

أنظر قوله تعالى " ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بحجل خيئذ - فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناهما ياسحق ومن وراء اسحق يعقوب " (٥)

-
- (١) التفسير الكبير ج ٢٨ ص ٢٨٦
 - (٢) سورة الرعد آية (١٣)
 - (٣) سورة الزمر آية (٧٥)
 - (٤) سورة التحريم آية (٦)
 - (٥) سورة هود آية (٦٩ - ٧١)

(دخلت كلمة " قد " هنا لأن السامع لقصص الأنبياء عليهم السلام
السلام يتوقع قصة بعد قصة ، و " قد " للتوقع ، ودخلت السلام
في " لقد " لتأكيد الخبر ولفظ (رسلنا) جمع وأقله ثلاثة فهذا
يفيد القطع بحصول ثلاثة ، وأما الزائد طوى هذا المستند فلاسبيل
الى اثباته الا بدليل آخر ، وأجمعوا طوى أنه الأصل فيهم كنان
جبريل عليه السلام ثم اختلفت الروايات ، فقليل : أتاه جبريل عليه
السلام ومعه اثنا عشر طكا طوى صورة الغلمان الذين يكونون فسق
قاية الحسن ، وقال الضحاك : كانوا تسعة ، وقال ابن عباس رضى
الله عنهما : كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرائيل عليهم السلام
السلام ، وهم الذين ذكرهم الله في سورة الذاريات في قوله
تعالى " هل أتاك حديث ضيف ابراهيم " وفي سورة الحجر في قوله
تعالى " ونبئهم عن ضيف ابراهيم " (١)

وقوله تعالى عن لوط في سورة هود " ولما جاءت رسلنا لوطا
سوى بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب " (٢)

فهو لا " الرسل هم الذين بشروا ابراهيم بالولد عليهم السلام
قال ابن عباس رضى الله عنهما : انطلقوا من عند ابا هيسم
الى لوط وبين القريتين أربع فراسخ ودخلوا عليه طوى صورة شباب

(١) التفسير الكبير للرازي ج ١٨ ص ٢٢ وما بعدها .

(٢) سورة هود آية (٧٧) .

مرد من بنی آدم و كانوا في غاية الحسن ولم يعرف لوط أنهم ملائكة
وذكروا فيه ستة أوجه :

الأول : أنه ظن أنهم من الانس فخاف طيهم خبت قومه وأن
يعجزوا عن مقاومتهم .

الثاني : ساء مجيئهم لأنه ما كان يجد ما ينفقه طيهم وما كان
قادرا على القيام بحق ضيافتهم .

الثالث : ساء ذلك لأن قومه منصوه من ادخال الضيف داره .

الرابع : ساء مجيئهم لأنه عرف بالحمذر أنهم ملائكة وأنهم انما
جاؤا لاهلاك قومه .

والوجه الأول : هو الأصح لدلالة قوله تعالى " وجاء قومه
بمهرعون اليه " .

ومعنى (سي بهم) : أي ساء مجيئهم .

(وضاق بهم ذرعا) : يقال مالى به طاقة ، والدليل على صحته
أنهم يجلسون الذراع في موضع الذرع فيقولون ضقت بالأمر
ذرعا (١)

إذا كان للملائكة دور في القصة القرآنية كما رأينا وكما هو

واضح في قصتي ابراهيم ولوط طيها السلام .

(١) التفسير الكبير للرازي ج ١٨ ص ٣١ .

٢ - شخصية الجن :

ولقد وردت في القصة بعض الصور لشخصيات

الجن الممثلة في بيان الشهب التي يراها

الناس وهي ترمي بأمر الله تبارك وتمالسي

على الجن الذين يقومون باستراق السمع ، كما

قال تعالى في سورة الجن :

فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا (١)

ومعنى الآية : (يقول الله عز وجل وأنا كنا معشر الجن نسمع

من السماء مقاعد لنسمع ما يحدث ، وما يكون فيها ، (فمن يستمع

الآن) فيها منا (يجد له شهابا رصدا) يعنى : شهاب نار

قد رصد له به (٢)

فترى أن للجن وظائف منها السماع لما يحدث ، والشخصية

الجن دور في القصة .

٣ - شخصية ابليس :

وهي شخصية الشيطان فعسب ، ولقد ورد ذكرها

في القرآن الكريم في أماكن عديدة كما ظهرت

واضحة في قصة آدم ومنها قوله تعالى :

(١) سورة الجن آية (٩) .

(٢) تفسير الطبري ج ٢٩ ص ١١٠ .

- " وان قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابي " (١)
وقوله تعالى " قال يا ابليس مالك ألا تكون من الساجدين " (٢)
وقوله تعالى " الا ابليس استكبر وكان من الكافرين " (٣)

وهكذا نرى شخصية ابليس هي هي لا تفسير فهو غنى عن أن يعرف
فهو معروف دائما بالغرابة والضلال وابعاد الانسان عن طريق
الرشد والصواب الى طريق الفسوق والضلالة وواضح في قصة آدم
دور ابليس وغوايته .

٤ - شخصية النمل :

وردت شخصية النمل في القرآن الكريم ان ورد
قوله تعالى " حتى اذا أتوا على وادى النمل
قالت نطة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون " (٤)
وتشير هذه القصة الى دور النمل فقوله " قالت نطة " فالمعنى
أنها تكلمت بذلك وهذا غير مستبعد ، فان الله تعالى قادر
على أن يخلق فيها العقل والنطق ، وأما قوله تعالى " ادخلوا
مساكنكم " فاعلم أن النطة لما قاربت عند العقل ، لاجرم ذكرت
بما يذكر به العقلاء " فذلك قال تعالى " ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
سليمان وقومه " .

-
- (١) سورة المائدة آية (٢٤) .
(٢) سورة الحجر آية (٣٢) .
(٣) سورة ص آية (٧٤) .
(٤) سورة النمل آية (١٨) .

يقول في ذلك الامام الرازي :

رأيت قوم يحضون الكتب أن تلك النملة انما أمرت غيرها بالدخول
لأنها خافت على قومها لأنها اذا رأت سليمان في جلالته فرما
وقعت في كفران نعمته الله تعالى وهذا هو المراد بذلك ، فأمرتها
بالدخول في مساكنها لئلا ترى تلك النعم فلا تقع في كفران
نعمته الله تعالى ، وهدايته على أن مجالسة أرباب الدنيا
محفورة . (١)

وتظهر النملة في القصة في أحسن ما تكون شخصية من بلوغ
العقل والحكمة والتفكير ، فيخيل للسامع أو القارئ أنه أمسك
علاق عظيم وليس امام نملة صغيرة ، فتمثل لنا النملة شخصية
هي أحسن ما تكون شخصية وتقوم بدورها اهلئ غير وجه وأحسن
أداء .

٥ - شخصية الطير :

وتتمثل لنا في شخصية الهدد وهو طائر
معروف ، وجمعه هذاهد ، والهداهد بالضم
واحد ، قال الشاعر :

كهدد: كسر الرماة جناحه

يدعوبقارعة الطريق هديلا (٢)

(١) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١٨٧ وما بعدها .

(٢) المفردات ص ٥٣٨ .

وتتضح لنا شخصية الهدهد في سورة النمل في قصة الطير سليمان والملكة بلقيس ملكة اليمن حيث نرى الهدهد تبرز شخصيته من بين شخصيات القصة في قوله تعالى " وتفقده الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين " (١)

() فأما هي المنقطعة نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالا لا أراه ، على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر سترة أو غير ذلك ، ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول : أهو غائب كأنه يسأل عن صفة ملاح له ومثله قولهم : أنها لاهل أم شاء (٢)

فقال عليه السلام " لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينسى بسلطان مبين " (٣)

() وهذا لا يجوز أن يقوله إلا فيمن هو مكلف أو فيمن قارب العقل فيصلح لأن يؤدب (٤)

والهدهد كان كذلك لأن الله تعالى قد أعطى سليمان ملكا كبيرا وعظيما ومن ضمن ذلك الملك أن الطيور والحيوانات كانت مسخرة لسليمان وكان يفهم لغة الطير وذلك من ضمن نعم الله تعالى عليه .

(١) سورة النمل آية (٢٠) .

(٢) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١٨٩ .

(٣) سورة النمل آية (٢١) .

(٤) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١٨٩ .

وهنا نرى الهدهد قد ظهر في أحسن ما تكون صورة كأنه
شاخص للعيان يودي دوره في القصة ، بكل تأن وثبات حيث
تكون شخصية قوية باتيانته بالخير الذي لا يعلمه سيده أولاً وهو
كشاف أمر ملكة سبأ وعاداتها هي وقومها للشخص لذلك نراه يقول
لسيده : " جئت من سبأ بنبأ يقين " (١)
وقوله : " من سبأ بنبأ " من محاسن الكلام الذي ^{يخلق} باللفظ
وشرط حسنة صحة المعنى ، وقد جاء ههنا زائداً طو الصحة
فحسن لفظاً ومعنى ، ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان
المعنى صحيحاً ، ولكن لفظ النبأ أولى لما فيه من الزيادة التي
يطا بقها ^{هدف} الحال (٢)

ومن الواضح أن القصص القرآني حافل بالكثير من الشخصيات ،
فهناك قصص فيها عدد من الشخصيات محدود ولكنها تقوم بالدور
المسند اليها طو أكمل وجه وأحسنه ، وهنالك قصص فيه شخصيات
هائلة وكثيرة كما مر بنا مثل شخصيات الجماعات والجماهير ،
أيضاً هذه الجماعات لها دورها الهائل المسند اليها في
القصة ، ولكننا حينما ننظر إلى الشخصية في القصة لا بد وأن نعرف
أنها ذات وظيفة وذات هدف معين فلا تجي هكذا عشياً دون

(١) سورة النمل آية (٢٢) .

(٢) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١٩٠ .

فائدة ، فكل شخصية : لها وظيفة ولها هدف جيات
من أجله في القصة باقامة كيان القصة القرآني في صورة سوية
واضحة المعالم يستطيع فهمها كل من قرأها أو سمعها .
فالشخصية تشكل الوعاء الأساسي للقصة فهي التي يعتمد
عليها في توصيل المعاني والأفكار التي تسعى القصة الى تحقيقها
من تصوير للمعاني المختلفة ، والقيم والأخلاق بما تحويه من
نماذج بشرية فيها الخير والشر ، الحب والكره ، القوة والضعف ،
الايمان والكفر ، وما الى ذلك من معاني مختلفة فكل ذلك
نستطيع أن نراه متمثلا أمامنا في القصة القرآني حيث نرى الشخصيات
تؤدي الدور على أكمل وجه وأحسنه ، ولقد مرت بنا الأمثلة
على بروز الشخصيات المختلفة في القصة القرآني سواء شخصيات
الأنبياء أو الناس العاديين
وهي توضح لنا مدى اعتماد القصة القرآنية على الشخصية
حيث أنها هي التي تقوم بتوصيل المعاني والأفكار الى السبب
القاري والمستمع ، فهي احدي عناصر القصة الأساسية
وأهمها .

الفصل الثاني

الحكايات

ر: الحدث :

والحدث هو الوقائع التي تجرى في القصة ويسدور حولها عنصرى الحوار والأشخاص ، ويعتبر من أهم عناصر القصة اذ هو جزء أساسى من الموضوع فى القصة القرآنية ومن طريقه يكون الوصول الى قلب القصة .

ونرى الحدث فى القصص القرآنى تفتلف طبيعته فهناك الأحداث العادية البسيطة ، وهناك الأحداث الطويلة المركبة مثل قصة بنى اسرائيل فهى قصة طويلة ومركبة من عدة أحداث مختلفة ومتعددة .

١ - وهناك الحدث الذى يأتى نتيجة القضاء والقدر فى القصة ،

فالأحاسيس بوجود هذا العنصر وهو الايمان بالقضاء والقدر (له مداه البعيد فى النفس ، ذلك أن القدر الخفى الذى يسير الأحداث الواردة فيه قوة عظيمة كامنة فى أسرار الغيب ، ولكنها واعية عادلة لما تنجلي عنه فى عالم الشهادة من عناية الله بالمخلصين الأخيار وان كانوا ضعفاء ولقمة ومكره بالمظلمين الأشرار وان كانوا أشداء أقوياء) (١)

(١) سيكولوجية القصة ص ٤٣٩ .

ولاشك أن هذه العواقب يؤمن بها المؤمنون الصادقون
فيزدادوا إيماناً مع إيمانهم ويهلل لها الجاحدون ، المنكرون ،
ولنرى أمثلة على وقوع القضاء والقدر في كثير من القصص
القرآنية والأحداث القرآنية .

فأهل الكهف مثلا - وهم فتية عرفوا الحق من الباطل فميسروه
ولما انكشف وتجلى أمامهم الباطل لم يروا بدا إلا الفرار
وهجراخوانهم وديارهم وأهلهم فذهبوا وأوا إلى الكهف
يرجون فيه رحمة ربهم ، فيضرب الله على آذانهم في الكهف
سنتين فينامون نومة طويلة ، تحرسهم فيها عناية الله :
" أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ،
إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة
وهي لنا من أمرنا رشدا ، فضربنا على آذانهم في الكهف
سنتين مددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا
أمدا " (١)

وفي قصة يوسف عليه السلام نرى إخوته يكيدون له ،
ولكن القدر يسير بالأحداث في طريق آخر معاكس لما فعلوه ،
فحفظه العناية الإلهية من العوت في الجب ، ومن فتنة
الأغراء ، ومن الهلاك في السجن ، ونرى القدر يغلب على
ذلك كله فيما كادوا له وتبوؤوا عرش مصر .

(١) سورة الكهف آية (٨ - ١٢) .

ونرى تدخل القدر أيضا في أصحاب الجنة (البستان)
اذ يطعمون في حق المساكين من ثمارها ، فينونون جنيها
في وقت مبكر لا يأتي فيه المساكين ، ولكن القدر يأتي متعقبا
لهم ولجرم أعمالهم ويأتي ليلا فيصبحون ويجدون كل شيء
خطاما قد احترق .

(١) (وقد وا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا انا لمضالون)
وضمه الكثير من الأمثلة في القرآن الكريم التي تبين لنا القوة
الخيبية الروحية للقدر .

٢ - وهناك الحدث أو الحوادث الناشئة عن خوارق العادات .
فنرى أن الله تعالى يرسل الرسل فيطلب القوم منه
أن يأتيهم بالبراهين والآيات الدالة على صدقه في دعوتيه ،
ويبعث الله اليهم بالبراهين والآيات ، ولكنهم يكذبون ، ويحاندون
ويكابرون ، ومثال ذلك واضحا في جل قصص القرآن وكما هو
واضح في قوله تعالى من سورة الأعراف عن قصة موسى :
" وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين ، حقيق
على أن لا أقول على الله الا الحق قد جعلتكم بيينة من ربكم
فأرسل معى بنى اسرائيل ، قال ان كنت جئت بآية فأت بها
ان كنت من الصادقين " (٢)

(١) سورة القلم آية (٢٥ - ٢٦) .

(٢) سورة الأعراف آية (١٠٤ - ١٠٦) .

يتضح هنا في هذه الآيات أن موسى رسول من رسل الله تعالى الى خلقه ولقد جاء بالحق فرسل الله تعالى لا تقول سوى الحق ، ومعنى قوله " قد جئكم ببينة من ربكم " وهي المعجزة الظاهرة القاهرة . (١)

فترى فرعون يطلب اليه المعجزة فيقول له : " ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين " وكما نعلم أن الله تعالى قد جعل معجزة موسى قلب العصا شعبانا ، واظهار اليد البيضاء . (٢)

وكثير من قصص القرآن التي غالبا ما يطلب فيها القوم من نبيهم الايات بالمعجزة أو الخارق للعادة والبراهين والحجج عنادا واستكبارا .

(١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٩٠ .

(٢) لقد مررنا بقصة قلب العصا شعبانا في موضعها

الفصل الثالث
بسم الله

الحج والعمرة

الحوار :

الحوار عنصر هام فى القصص القرآنى نراه واضحا
فى كثير منها ، اذ يضى على الموقف قوة وبراعة ويجسم القصة
كأن الانسان يسمع ويرى .

فالحوار : (نمط من أنماط التعبير تتحدث به شخصيتان
أو أكثر وقد اتسم حديثهم بالموضوعية والايجاز والافصاح
أو غير ذلك وهو الطابع الذى يتسق به الكلام بطريقة تجعله
يشير الاهتمام باستمرار) (١)

وإذا نظرنا فى قصص القرآن مرتبا حسبما نزل لاحظنا
أنه بدأ بإشارات خاطفة وسريعة خالية من الحوار كما فى
سورة الفجر ، وذلك لأن الفرض هو ايقاظ الفكر واثارة الوجدات
أولا ثم بعد ذلك يكون التدرج بهم الى التفصيل والاطناب ،
وذلك كما عرف عن أسلوب الدعوة حيث تدرج بالقوم شيئا فشيئا
حتى تنهيا نفوسهم وعقولهم الى قبول الدعوة فكان لا بد من التدرج
أولا فى الدعوة ، وكان لا بد لكى نقرر حقائق التوحيد والبعث
والرسالة أن يكون هنالك تمهل وأناة فى الأمر . وكان لا بد

(١) الحوار فى القصة والمسرحية والاذاعة والتلفزيون .
د . طه عبد الفتاح مقلد ص ٩٤ - نقلا عن كتاب فن الكاتب
المسرحى ليهفيلد - ترجمة درينى خشبة ص ٢١٨ .
وانظر بحوث فى قصص القرآن ص ٧٢ .

مع ذلك التدرج في الدعوة من الجدل والمحاجة وخاصة
مع المكابرين الجاحدين .

(ومن هنا كان دخول عنصر الحوار الذي تدرج بالقصة من الإشارة
الى التفصيل ، ومن العام الى الخاص ، ومما تفتنى فيه العاطفة
الى ما يحتاج الى الفكر والنظر) (١)

(وموضوعات الحوار في القصص القرآني هي الموضوعات
الدينية ، كالوحدانية والبعث وكون الرسل من البشر وليسوا
من الملائكة ، واحداث الأمور والمعجزات الخارقة للدلالة
على النبوة وغيرها) (٢)

(والحوار على يسره وسهولته نراه من أعقد الأساليب
وأشقيها في اقامة بناء فني متماسك متكامل ، ذلك أن القصص
الذي يقف عند مجرد الحكاية لمقولات القائلين ونقلها عنهم
انما هو آلة ناطقة فحسب فهي أشبه بالمرصد دون أن تحمل
شيئا من ملابسات الموقف وما يدور فيه وما يعتدل بين أبعاده ،
فحين نقف بين يدي أحد مواقف القرآن في حوار القصص نجد
المشهد كله حاضرا ومشخصا يملأ الأسماع والأبصار ، ويملاً حتما
ظك الفراغات والفجوات التي تقع بين ثنايا الحوار ، وطوايا

(١) سيكولوجية القصة ص ٤١١ .

(٢) الفن القصصي د . خلف الله ص ٣٠٢ .

الصراع من غير تعمل أو تكلف أو اصطناع (١)

() وتتوزع في أرجاء القصة ألوان كثيرة ، ولكنها تمسك
وتتزن بميزان الحوار ، وتقيمه على وجه الصحة والبصيرة والصواب ،
والقرآن الكريم يمسك من الموقف الحوارى بالعناصر الحية
منه ، وبالمشاهد البارزة فيه مما من شأنه أن يحكى الموقف
ويحدد معالمه (٢)

() فالحوار فى القصص القرآنى دعامة لها خطرهما فى إعداده ،
بالحياة وعماد له أثره فى تلوينه وتنويعه ، فللقصص بغير
حوار معنى جامد يسد منافذ الشعور ويحزم النفس بالفنث
والدون ، والحوار فى القرآن يجرى فى نمط أساليبه الرفيعة
مهما كانت الأشخاص والمتحاورون (٣)

وهكذا نرى عنصر الحوار كيف يودى دورا فعّالا ومهما
فى القصص ويعطيه الحيوية والحركة ويبعث فيه النشاط ، فالحوار
له دور فعال فى إعطاء الصورة والموقف بما يرسمه لنا من خلال
القصة ، فكأننا نراه شاخصا أمامنا .

(١) بحوث فى قصص القرآن ص ٧٤ - ٧٥ - وأنظر القصص

القرآنى للخطيب ص ١٢٣ .

(٢) القصص القرآنى للخطيب ص ١٤٠ .

(٣) بحوث فى قصص القرآن للحافظ ص ٧٢ .

وليس شرطاً أن يكون الحوار موجوداً دائماً في كل قصة ، بل يأتي بحسب ما يتطلبه الموقف ويقتضيه ، فقد لا نرى الحوار في بعض قصص القرآن كما في سورة البروج : ، :
" قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، اذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذي له ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء شهيد" (١)

فهذه قصة قرآنية كاملة العناصر ، لكنها حلت من الحوار كذلك ما نقرأه في سورة الفيل " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول" (٢)
ونرى عنصر الحوار واضحاً في كثير من قصص القرآن فنراه في قصة نوح مع قومه وإبراهيم مع قومه وأبيه ، وهود وصالح وموسى مع أقوامهم ، ويظهر ذلك في قوله تعالى " وكذلك بعثناهم لیتساءلوا بينهم ، قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ، قال : ربكم أعلم بما لبثتم ، فابحثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلینظر أیها أذكى طعاماً فلیأتکم برزق منه ولیتلطف ولا یسخرن بکم أحدا" (٣)

(١) سورة البروج آية (٤ - ٦) .

(٢) سورة الفيل آية (١ - ٥) .

(٣) سورة الكهف آية (١٩) .

فقصة أهل الكهف قصة معروفة ، فهوؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم وكان ملكهم ظالم فحينما خافوه ذهبوا الى الكهف فضرب الله عليهم فيه عددا من السنين الطويلة فناموا ولما بعثهم الله من ذلك النوم الطويل قاموا يتساءلون فيما بينهم هل ناموا يوما أو أكثر ؟

فقال أحدهم : بأن ربهم هو أعلم بذلك ، وتشاوروا بأن يذهب أحدهم بنقود الى المدينة ليشتري طعاما على أن لا يشعرون به أحدا من أنصار ذلك الملك لأن في حسابهم أنهم مكتوا في الكهف يوما وليس عددا من السنين .

فنرى ذلك الحوار الذى دار بينهم وهم يتساءلون ويدور ما يدور من حوار ، فنلمس من ذلك الحوار أننا نعيش بينهم وهم يتشاورون ويتحاورون ، حيث نرى أنه لو أتى لنا بالقصة عبارة عن خبر وليس حوارا ، لما أتى بهذه الصورة ، العجيبة من الجمال وتجسيم الموقف فهى كذلك أعمق وأوضح ،

(نياتى الحوار فى سياق القصة فى صورة طبيعية ، أى أنه يبرز الى الوجود فى ساحة القصة من خلال الموقف وبدافع منه فهو لا يقحم على السياق ولا يفرض عليه فرضا) (١)

وكذلك ما نراه فى سورة الحجر فى الحوار الذى دار بين

(١) القصص فى الحديث النبوى ص ٢٥١ بتصرف .

ابراهيم وضيفه حينما جاوهه فسلموا عليه وبشروه بغلام عليهم
فقال لهم أبشرتموني بهذه البشرى بعد أن مسنى الكبر ، وسألهم
عن أمر حضورهم ومجيئهم اليه فقالوا له انهم أرسلوا الى قوم
مجرمين ، وجرى بينهم وبينه الحوار الذى يأتى على ذلك النمط
المنتظم فى هذه الآيات من سورة الحجر أنظر قوله تعالى :
" ونبئهم عن ضيف ابراهيم ، ، اذ دخلوا عليه فنقالوا سلاما قال :
انا منكم وجلون . . قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليهم . . قال
أبشرتموني على أن مسنى الكبر فبم تبشرون ؟ قالوا : بشركناك بالحق
فلا تكن من القانطين ، قال : ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون . .
قال : فما خطبكم أيها المرسلون . . قالوا : انا أرسلنا الى
قوم مجرمين . . الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا
أنها لمن الفابرين . . فلما جاء آل لوط المرسلون قال : انكم
قوم منكرون ، قالوا : بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وآتيناك
بالحق وانا لصادقون " (١)

فنراه حوارا يأتى بطبيعته ينساب فى روعة وجمال وهدوء
كما هى عادة كلمات القرآن دائما ، تأتي متألفة متأخية ومتزنة
بما يليق مع الملابس والأحوال والظروف . والمناسبات كالحوار
الذى دار بين ابراهيم وضيفه بمناسبة دعوتهم طيبة .

(١) سورة الحجر آية (٥١ - ٦٤) .

وميزة الحوار أنه ليس دائما مصدره الانسان فقط بل نراه
بين الله والملائكة ، وبين الله والانسان ، وبين الله وابلوس ،
وبين الانسان والحيوان ، واليك الأمثلة على ذلك ، بين الله
والانسان في قوله تعالى : " أو كالأذى مر على قرية وهى غاوية
على عروشها ، قال : أتى يحي هذه الله بعد موتها ؟
فأما لله مائة عام ثم بعثه قال : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوما
أو بعض يوم الخ " (١)

وبين الله وابلوس في قوله تعالى :
" قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال : أنا خير منه
خلقتنى من نار وخلقته من طين ، قال : فاهبط منها ، فما
يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج أنك من الصاغرين ، قال : انظرنى
الى يوم يبعثون ، قال : أنك من المنظرين ، قال : فبصبا
أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين
أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد
أكثرهم شاكركين ، قال أخرج منها مذموما مدحورا لمن اتبعك
منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين " (٢)

(١) سورة الأعراف آية (١٠ - ١٧) .

(٢) سورة الأعراف آية (١٢ - ١٨) .

وبين الانسان والحيوان فى قوله تعالى :
" وثققد الطير فقال : مالى لا أرى الهدهد أم كان من
البنائين ؟ لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه ، أولياً تبنى
بسلطان مبين ، فمكث غير بعيد ، فقال : أحطت بما لم تحط به
وجئتك من سبأ نبأً يقين ، انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من
كل شىء ولها عرش عظيم ، وجدت بها وقومها يسجدون للشمس من
دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم
لا يهتدون ، الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبأ فى السموات
والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ، الله لا اله الا هو رب العرش
العظيم ، قال : سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين " (١)

(١) سورة النمل آية (٢٠ - ٢٧) .

دلالات الحوار :

وللحوار دلالات نفسية وعقلية وجمالية :

دلالاته النفسية :

نراها في اثاره العاطفة حيث نلاحظ أن للحوار دورا كبيرا على هذه الدلالة : اذ نراه في كل صورة من صور الحوار يعطينا لونا من ألوان النفس البشرية وصفة من صفاتها الملازمة لها ، فنرى في قوله تعالى :

" واضرب لهما مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من القوم الظالمين " (١)

هنا نرى امرأة فرعون ذلك الطاغية نراها في صورة هي أحسن ما تكون صورة للمرأة المستقيمة الصالحة فهي تطلب بنفس واثقة مطمئنة وقلب موهن ، أن ينجبها الله سبحانه وتعالى من القوم الظالمين وأن يعوضها ببيت لها في الجنة وهو خير لها من بيوت الدنيا .

وأنظر قوله تعالى " حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون " (٢)

-
- (١) سورة التحريم آية (١١)
 - (٢) سورة النمل آية (١٨)

فترى ذلك الحوار بين النمل بصورة تأتى الينا واضحة
 نستشف من حوار النمل ذلك الخوف والهلع الذى سيطر على
 النمل من سليمان ورجاله ، فيصور لنا الحوار ذلك الخوف والهلع
 الشديدين فى أحسن ما تكون الصورة .

اذن نرى أن ذلك الحوار : يدل على نفس صاحبه
 فالكافر نفسيته تميل الى التعالى والتفاخر والكبرياء ، والمؤمن
 تميل نفسيته الى الهدوء والوعظ والرجوع الى الحق ، فيوضح
 الحوار نفسية الكافر ونفسية المؤمن ، فكل منها لها مدلولها
 وطابعها الخاص الذى يدل على نفسية صاحبها ، فكما ذكرنا
 من خلال الحوار نستطيع أن نعرف نفس المؤمن الهادئة ونفس
 الكافر الثائرة التى تميل دائما الى التعالى والتفاخر والتكبر ،
 فيبين لنا الحوار طبيعة كل نفس بوضوح وجلاء ، كما دل على
 ذلك نفسية امرأة فرعون المؤمنة وما تنطوى عليه نفسها الطبيعية ،
 وما ظهر لنا من حوار النملة لجماعتها من النمل عندما عاقت
 سليمان وجنوده .

وأما الدلالات العقلية :

فنهاها في صور كثيرة من القرآن الكريم وقصه كما في قوله تعالى : " قال فمن ربكما يا موسى ، قال ربنا الذي أعطى كل شي خلقه ثم هدى ، قال فما بال القرون الأولى ، قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ، الذي جعل لكم الأرض مهذا سلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به بزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لأولى النهي " (١)

(نرى في تلك الآيات أنه سبحانه حكى عن فرعون أنه قال لموسى وأخيه هارون : " فمن ربكما " وقال في سورة الشعراء : " وما رب العالمين " فالسؤال ههنا بمن وهو عن الكيفية ، وفي سورة الشعراء بما وهو عن الماهية وهما سوء الان مختلفان والواقعة واحدة والأقرب أن يقال أن سؤال من كان مقدما على سؤال ما . لأنه كان يقول انى أنا الله ، والرب فقال فمن ربكما فلما أقام موسى الدلالة على الوجود وعرف أنه لا يمكنه أن يقاومه في هذا المقام لظهوره وجلائه عدل الى المقام الثانى وهو طلب الماهية وهذا أيضا مما يبينه على أنه كان عالما بالله لأنه ترك المنازعة في هذا المقام لعلمه بغاية ظهوره وشرع في المقام الصعب لأن العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر) (٢)

(١) سورة طه آية (٤٩ - ٥٤) .

(٢) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ٦٤ .

ونرى الدليل العقلي في ذلك الحوار بين موسى وفرعون
واضحاً جلياً لأن موسى عليه السلام استدل على اثبات الصانع
بأحوال المخلوقات وذلك واضحاً في قوله " ربنا الذي أعطى كل
شيء خلقه ثم هدى " .

() يرد بالصفة المبدعة المدبرة ، ربنا الذي وهب الوجود
لكل موجود في الصورة التي أوجده بها وطره عليها ثم هدى كل
شيء تالي وظيفته التي خلقه لها ، وأمدّه بما يناسب هذه الوظيفة
ويعينه عليها ، و " ثم " هنا ليست للتراخي الزمني ، فكل شيء
مخلوق ومعه الاهتداء الطبيعي الفطري للوظيفة التي خلق لها ،
انما هو التراخي في الرتبة بين خلق الشيء واهتدائه الى وظيفته ،
وهذا الوصف الذي يحكيه القرآن الكريم عن موسى - عليه السلام -
يلخص أكمل آثار الالهية الخالقة المدبرة لهذا الوجود الكبير
تتجلى له آثار تلك القدرة المبدعة المدبرة في كل كائن صغير
أو كبير ، من الذرة المفردة الى أضخم الأجسام ، من الخليقة
الواحدة الى أرقى أشكال الحياة في الانسان ألا انه الاله الواحد . .
ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (١)

ففي اجابة موسى عليه السلام ورده على فرعون حينما
سأله عن ربه نرى موسى قد أجابه بدليل ظاهر وبرهان باهر

(١) في ظلال القرآن لبسيد قطب ج ١٦ ص ٢٣٣٨ .
الطبعة الشرعية العاشرة ١٤٠١ هـ .

فقال له : " ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى " فنراه قد قدم له الدليل العقلي على سوءه فإذا حكم عقله ونظر فيما حوله من مخلوقات فسيذكر هذه القوة الالهية العظيمة مصدر هذا الوجود كله .

وسأله مرة أخرى فقال له : " فما بال القرون الأولى " (فلم يلتفت موسى عليه السلام الى ذلك الحديث بل قال " علمها عند ربي في كتاب " ولا يتعلق غرض بأحوالهم فلا اشتغل بها ، ثم عاد الى تتميم كلامه الأول وايراد الدلائل الباهرة على الوحدانية) (١) فقال : " الذي خلق لكم الأرض مهذا سلك لكم فيها سبلا "

أى : أن الأرض كالمهد تضم جميع من فيها من خلائق في كنفها (وهى مهده لهم كذلك للسير والحرث والزرع والحياة جعلها الخالق المدير كذلك يوم أعطى كل شيء خلقه ، فأعطى هذه الأرض خلقها على الهيئة التى خلقت بها سالحة للحياة التى قدرها فيها ، وأعطى البشر خلقهم كذلك على الهيئة التى خلقهم بهل سالحين للحياة فى هذه الأرض التى مهدها لهم وجعلها مهدهم " ان فى ذلك لآيات لأولى النهى " وما من عقل مستقيم يتأمل هذا النظام الحبيب ثم لا يطلع فيه على آيات تدل على الخالق الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (٢)

(١) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ٦٧ .

(٢) فى ظلال القرآن ج ١٦ ص ٢٣٣٩ .

قطعة لحم كأنها مقدار ما يوضع كالزفرة وهي مقدار ما يفتترف
وسمى التحويل خلقا لأنه سبحانه يفتني بعض أمراضها ويخلق
أمراضا غيرها فسمى خلق الأمراض خلقا لها وكأنه سبحانه وتعالى
يخلق فيها أجزاء زائدة ، وفي قوله تعالى : " ثم سواك رجلا " ^(١)
مثل قوله تعالى في سورة المؤمنون : " ثم أنشأناه خلقا آخر " ^(١)
أي خلقا مابيننا للخلق الأول مابيننا ما أبعد ما حيث جعله حيوانا
وكان جمادا ، وناطقا وكان أبكم ، وسميعا وكان أصم ، وبصيرا
وكان أكمه ، وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل
جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا يحيط بها وصف
الواصفين ولا شرح الشارحين) (١)

فهنا قدم المؤمن للكافر هذه الأدلة العقلية التي ان
تدبر بها ذلك الجاحد لربه لأدرك أنها فعلا أدلة عقلية حاصلة
له ، ولكن عميت أعينه عن الحق وادراك الصواب فذهب يفتخسر
ويتعالى على أخيه المؤمن بما أعطاه الله وهو يحسب أن الله
تعالى قد وهب له ذلك لأنه يستحقه ولا يدرك أن ذلك المال
والجاه للاستدراج والاختبار وقال له المؤمن : ولكننا أي ولكن
هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا .

(١) التفسير الكبير ج ٢٣ ص ٨٤ وما بعدها .

دلالات الحوار الجمالية :

للحوار دلالاته الجمالية الكثيرة التي تشهد لها عظمة القرآن وجمال أسلوبه واتقان واحكام سبكه في جميع سورته سواء القصيرة منها أو الطويلة ، نرى فيها الاتقان والبلاغة في الاسلوب ، ولقد وضحا ذلك في أسلوب القصة - في موضعه - حيث نرى أن أسلوبه هو أعلى الأساليب وأرقها هنئنا على الاطلاق ، فقد تحدى فصحاء العرب وبلغائهم فلم يستطيعوا محاكاته أو الوصول الى فصاحته وبلاغته .

وإذا أردنا أن نورد مثلا على دلالاته الجمالية فخير مثال على ذلك هو كلمات القرآن كلها .

ولكننا سنورد بعض الآيات حتى تكون شاهدا أمانا على عظمة وجمال أسلوب القرآن ، فنرى فيه طريقة الاقناع ، والتنوع في الأسلوب ، والتفنن في العبارات ، ونرى فيه أيضا أنه يعاصر المشاطين ، أي أنه صالح لكل زمان ولكل مكان ، وأن ما فيه يوافق البشر على مر السنين ، وذلك أيضا من سر عظمته واعجازه وكونه موافقا للبشر على مر العصور والسنين ، وأن ما فيه من حكمة وموعظة وارشاد أو أمر بفعل شيء أو نهى عن عمل شيء ، نرى أنه صالح لكل انسان ولكل البشر .

ولنأخذ جانبا من سورة الشعراء لنرى جمال ذلك الحوار

بين الله سبحانه وتعالى وعبده موسى عليه السلام .

فهذه المناجاة التي كانت بين الله سبحانه وتعالى وعبده

موسى ، وما أوسدت الى موسى من عمل هو وأخوه هارون (قاتيا فرعون فقولا انا رسولا رب العالمين ، أن ارسل معنا بنى اسرائيل" (١)

تبين لنا ذلك الحوار القصصى القرآنى بأرفع مكانة وأسمى معان

وأنظار الحوار القصصى القرآنى بين موسى وفرعون أيضا مرة ثانية

حيث يقول :

قال - فعلتها اذن وأنا من الضالين ، ففقرت منكم لما خفتكم فوهب

لى ربهى حكما وجعلنى من المرسلين ، وتلك نعمة تمنها على أن

مبدت بنى اسرائيل ؟

قال فرعون : وما رب العالمين ؟

قال : رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم مومنين "

قال لعن حوله : ألا تسمعون ؟

قال : ربكم رب آبائكم الأولين "

قال : ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون "

قال : رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون "

قال : لعن اتخذت لها غيرى لأجعلناك من المسجونين "

قال : أو لو جعلتك بشىء مبین ؟

قال : فأت به ان كنت من الصادقين "

- فألقى عصاه ، فاذا هى شعبان مبین .

ونزع يده ، فاذا هى بيضاء للناظرين .

قال : للملأحوله " ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من

أرضكم بسحره فماذا تأمرون ؟

- قالوا : " أرجه وأخاه وأبعث فى المدائن حاشرين ، يأتوك بكل سحار عليم " (١)

نرى الحوار بين موسى وفرعون يتم دون تكلف أو تصنع يسأله فرعون عن أشياء كثيرة ومتعددة فيجيبه موسى عن ربه ورب آبائهم السابقون ، وطلب اليه فرعون المعجزة فلباه بقلب العصا ثعبان ظاهر بين الناظرين .

ويمضى الحوار من أوله الى آخره على ذلك الترتيب المتقن المعجز الذى يأتى مرتبا ومنسقا حسب الترتيب الالهى الذى لا ترتيب ولا تسيق يضاهيه فى الوجود .

ففى الكلمة مع أختها والجملة مع رفيقتها تناسب المقام وتناسب الحال وتناسب فى عذوبة وتثبت فى النفس وقعها الجميل ، فكيف لا تكون الكلمات والجمال جميلة وهى تجىء من عالم الخيب القادر على كل شىء ! فبظهر لنا جمال الحوار وتألقه فكل موضع الهى جاء فيه الحوار نراه ينساب فى عذوبة بالغة جذابة جميلة قادرة .

(١) سورة الشعراء آية (٢٠ - ٢٧) .

القصة الرابعة

الزَّمان في

القصة

رابعاً : الزمان والمكان في بناء القصص القرآني ؛

الزمن في القصة له مكانته الملحوظة نسبيًا وفي سير أحداثها ولهذا () تقوم القصة الناجحة على ملاحظة العنصر الزمني ملاحظة دقيقة واعية ، حيث تصك الخيوط الزمنية بكل جزئياتها وتحركها بميقات معلوم ، فتطلع بها في الوقت الذي تستدعيه الأحوال ، كما تبعدنا عن مجال الرؤية في الوقت المناسب (١)

ف نجد الزمن يظهر حيث تستدعيه الموقف ويتطلبه ويقتضيه الحال ، فهو "أخوة يوسف وقد فعلوا فعلتهم ، وألقوا بأخيهم في غيابات الجب لم يستلیموا أن يواجهوا أباهم بذلك الذئب ، وبأن الذئب قد أكله ، لهذا صرح لنا القرآن بالزمن الذي جاءوا إلى أبيهم فيه ، فيقول سبحانه " وجاءوا بأباهم مساءً يكون " (٢)

يقول الامام القرطبي في ذلك :

" جاءوا بأباهم مساءً يكون : أي ليلاً ، وانما جاءوا مساءً ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة ، ولذا قيل : لا تطلب الحاجة بالليل ، فان الحاجة في العيين ولا تعتذر بالتهار من ذنب فتتلجج في الاعتذار " (٣)

-
- (١) القصص القرآني ص ٨٢ - ٨٣ .
 - (٢) سورة يوسف آية (١٦) .
 - (٣) القرطبي ج ٤ ص ٣٣٧٣ .

ثم نجد في القصة من جزئيات الزمن أن يوسف قد " لبث في السجن بضع سنين " (١)

ذكر الراغب في مفرداته : أن البضع بالكسر المنقطع من العشرة ويقال ذلك لما بين الثلاث الى العشرة ، وقيل : بل هو فوق الخمس ودون العشرة . (٢)

ويقول الامام القرطبي : البضع قطعة من الدهر مختلف فيها وقال الهروي : العرب تستعمل البضع فيما دون الثلاث الى التسع ومناها القطعة من العدد ،

قال وهب بن منبه : حبس يوسف في السجن سبع سنين . (٣)

ويقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى " بضع سنين " : البضع ما بين الثلاث الى التسع ، وأكثر الأقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين . (٤)

فهذه الجزئية من الزمن " بضع سنين " لها دلالتها العظيمة في الكشف عن معدن هذا النبي العظيم ، وما في نفسه من قوى الايمان بالله ، ولو افقدناها في القصة لافقدنا هذا الاحساس ، وتلك المشاعر ، وهذا التعاطف الذي يصل بيننا وبين هذا النبي

(١) سورة يوسف آية (٤٢) .

(٢) المفردات ص ٥٠ .

(٣) القرطبي ج ٤ ص ٣٤٢٦ .

(٤) الكشاف ج ٢ ص ٣٢٢ .

الكريم ، وما في نفسه من رصيد من الصبر والايامن . (١)

اذا . . . فللزم في القصة مكانة كبيرة تشكل جزءا من عناصرها نرى أنها مهمة فيه ، لذلك لم يستغن عنها القصص القرآني وأتى بها من خلال قصصه .

ونلاحظ أنه ليست دلالات الزمن الصريحة بها كشهر ويوم وليلة وسنة وبنح سنين ونحو ذلك هي المستعملة فقط ، بل ان للزمن دلالات كبيرة وكثيرة سواء كان ذلك مصرحا به أو ملمحا عنه أو تساق ضمنا في القصة .

(وهذا الاستخدام لا يحقق الغاية المرجوة منه الا اذا وقع لي يد حكيمة قادرة على الامساك به ، واطلاقه ، أو امساكه بحساب وتقدير ، بحيث لا يطفئ على الأحداث ذاتها ، ولا يبتلعها) (٢)

وبناء على ذلك نقول : ان أهمية العنصر الزمني في القصة واضحة حيث أنه يجيء بحسب مقتضيات الحال فحينما يكون له أهمية في رسم الصورة المعطاة فالقصص يجيء به ، وحينما لا يكون له أهمية من ذكره أو أن ذكره وعدمه سواء فلا يذكره في القصص القرآني ، لذا نرى أنه من الحكمة الالهية ذكر الزمن أو عدم ذكره لما يقتضيه الحال فهو سبحانه أعلم بكل شيء يناسب العباد .

(١) القصص القرآني في منظوقه ص ٨٥ ، وأنظر بحوث في قصص

القرآن للحافظ ص ٦٠ .

(٢) القصص القرآني ص ٨٦ .

ومما يلاحظ كذلك في قصص القرآن الكريم أنه سبحانه يعلمه الواسع يتحدى ويبين وجه الإعجاز في خرق العادات والسنن فلا يلتزم ببيان الثواريخ مع علمه الواسع بكل شيء ! (فلا يعمد سبحانه إلى الزمن إلا إذا استدعاه المقام) (١) ، ونرى ذلك واضحا في قوله تعالى " وليثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا " (٢) .

فهذا خبر من الله تعالى عن مدة لبثهم ، فانهم لبثوا ثلاثمائة سنة وتسع ، فأخبر الله تعالى نبيه أن هذه المدة في كونهم نياما ، وأن ما بعد ذلك مجهول للبشر ، فأمر الله تعالى أن يرد علم ذلك إليه ، " وازدادوا تسعا " (٣) .

لم يدر الناس أهى ساعات أم أيام أم جمع أم شهور أم أعوام ، واختلف بنو إسرائيل بحسب ذلك ، فأمر الله تعالى ببرد العلم إليه في التسع ، فهي على هذا مبهمه . (٤) وفي تلك المسألة يرد علم ذلك إليه تعالى .

" قل الله أعلم بما لبثوا " أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق أخبرك الله به . (٥)

-
- (١) بحوث في قصص القرآن ص ٦١ .
 - (٢) سورة الكهف آية (٢٥) .
 - (٣) سورة الكهف آية (٢٥) .
 - (٤) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٤٠٠٣ .
 - (٥) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٤٨١ .

فكما نرى أن للزمان حسابا وتقديرا في بناء القصة ،
وفى نظام الأحداث وسيرها ، كما سقنا الأمثلة التي تبين أهمية
الزمان فى القصة حيث يأتى به الله تعالى حين يكون لوجود
ذكر الزمان أهمية ، وحينما لا يكون لذكره أية أهمية فالله
تعالى لا يأتى به ، الا فيما يقتضيه الحال والمقام ، وأهمية
الزمان لا تقل أهمية عن أى عنصر من عناصر القصة حينما يتطلب
الموقف ذكره لرسم الصورة الواضحة الكاملة بجميع عناصرها
وأجزائها ، وهكذا يأتى الزمان عنصرا واضحا له مكانته المناسبة
فى القصص القرآنى ، ونلاحظ أن الزمن يأتى أحيانا فى القصة
بصفة يتضمن الدقة العددية ، وتحقيق التأثير المطلوب ، ففى
قوله تعالى " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة
الا خمسين عاما " (١) .

يقول فى ذلك الامام الرازى :

(قال بعض العلماء : الاستثناء فى العدد تكلم بالباقى ،
فاذا قال القائل لفلان على عشرة الآ ثلاثة ، فكأنه قال على
سبعة ، اذا علم هذا فقوله " ألف سنة الا خمسين عاما " كقوله
تسعمائة وخمسين سنة ، فما الفائدة فى العدد عن هذه
العبارة الى غيرها ؟ فنقول قال الزمخشري : فيه فائدتان :

(١) سورة العنكبوت آية (١٤) .

احدهما : أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فان من قال : عاش فلان ألف سنة يمكن أن يتوهم أن يقول ألف سنة تقريبا لا تحقيقا ، فاذا قال الا شهر أو الا سنة يزول ذلك التوهم ويفهم منه التحقيق .

الثانية : هي أن ذكر لبث نوح عليه السلام في قومه كان لبيان أنه صبر كثيرا فالنبي عليه السلام أولى بالصبر مع قصر مدة دعائه واذا كان كذلك فذكر العدد الذي نفي أعلى مراتب الأعداد التي لها اسم مفرد موضوع ، فكان مراتب الأعداد هي الآحاد الى العشرة ، والعشرات الى المائة ، والمئات الى الألف ، ثم بعد ذلك يكون التكثير بالتكرير فيقال عشرة آلاف ، ومائة ألف ، وألف ألف . وقال بعض الأطباء : العمر الانساني لا يزيد على مائة وعشرين سنة والآية تدل على خلاف قولهم .

فنقول : لا نزاع بيننا وبينهم لأنهم يقولون العمر الطبيعي لا يكون أكثر من مائة وعشرين سنة ونحن نقول هذا العمر ليس طبيعيا بل هو صلوات الهى ، وأما العمر الطبيعي فلا يدوم عندنا ولا لحظة ، فضلا عن مائة أو أكثر . (١)

(١) التفسير الكبير ج ٢٥ ص ٤١ - ٤٢ .

القفل المشهور

المكان في

القصر

خامسا - المكان ومكانته في بناء القصص القرآني :

المكان عنصر من عناصر القصص لا يقل أهميته عن سواء من العناصر ويكون ذلك في وضعه الطبيعي الذي يستلزمه الموقف القصصي فيظهر في الوقت المناسب حيث تستدعي الحاجة ذلك ، انه حين يكون لا مندوحة عن المكان الا بذكره يذكره القرآن ، وحينما لا يكون لذكره أي فائدة فانه لا يذكره ، وتلمس ذلك من الآيات العديدة المذكورة في القصص القرآني .

يقول الأستاذ الخطيب : (والقرآن الكريم ينظر الى المكان في قصصه على هذا الاعتبار أو قريب منه فهو لا يلتفت الى المكان ولا يجري له ذكرا الا اذا آكان للمكان وضع خاص يؤثر في سير الأحداث ، أو يبرز ملامحها ، أو يقيم شواهد العبرة والعظة منها) (١)

ومما يظهر الأهمية النفسية والروحية لتحديد المكان وذكره في القصص ما جاء في حديث الاسراء والمعراج حيث جاء الاسراء مقترنا بالمكان الذي بدأ منه والذي انتهى اليه فقال تعالى " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) (٢)

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ص ٩٢ .

(٢) سورة الاسراء آية (١)

فيقول في ذلك الامام القرطبي : في معنى أسرى :

أى سار من أول الليل ، ولقد ثبت الاسراء وروى عن الصحابة
في كل أقطار الاسلام فهو من المتواتر بهذا الوجه . (١)

(المسجد الأقصى) سمى الأقصى لبعده ما بينه وبين المسجد
الحرام ، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض بعظم
الزيارة ، وفي قوله " الذى باركنا حوله " قيل بالشار وبمجارى
الأنهار ، وقيل : بمن دفن حوله من الأنبياء والصالحين وبهذا
جعله مقدسا (٢)

والمراد بالمسجد الحرام (الحرم لا حاطته بالمسجد والتباسه
به) (٣)

والمراد بالمسجد الأقصى (بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ
وراءه مسجد ، (باركنا حوله " يريد بركات الدين والدنيا لأنه
مقعد الأنبياء من وقت موسى ومهبط الوحي ، هو محفوف
بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة) (٤)

فبيان المكان كان ضروريا لبيان مكانة الآية والاعجاز بتكريم
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم .

(١) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٣٨٢١ ، وانظر الكامل في التاريخ

ج ٢ ص ٣٣ .

(٢) نفس المصدر السابق ٣٨٢٨ .

(٣) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٤٣٧ .

(٤) نفس المصدر السابق ج ٢ ص ٤٣٧ .

ومما ورد فيه ذكر المكان ليودى مفزاه في موضعه ما ورد
في قصة موسى في قوله تعالى " فلما نودى من شاطىء السوادي
الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى " (١)
فلما نطق لهذا شأن ومنزلة رفيعة في بيان التحدي للبشر لما فيه
من دقة محكمة لا يستطيعها أحد سواه سبحانه وتعالى .
كقوله سبحانه وتعالى " وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى
موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكننا نشأنا قرونا ففتاول عليهم
العمر ، وما كنت ثابوا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا
كنا مرسلين ، وما كنت بجانب الطور إذ نادينا " (٢)
فنرى هنا أن ذكر المكان لا فني عنه سواه ، ولتظهر اعجاز
الآيات للناظرين والسامعين .

وفي قصة أصحاب الكهف فانها على طولها لم يجز فيها
ذكر المكان الا باعتبار أنه موضع حفظ لتلك الآيات ، فهو لا يحدد
ولا يبين مكانه ولا موقعه لأنه ليس هنالك ضرورة ولا داعي لذلك ،
فاقتضى الحال عدم ذكره أو تفصيله ، فنرى المكان هنا يشترك مع
الحدث ولكن في تناقل وتباطؤ شديد إذ لا أهمية
ولا ضرورة لذكر المكان هنا .

(١) سورة القصص آية (٣٠) .

(٢) سورة القصص آية (٤٥ - ٤٦) .

فكما ذكرنا أنه حينما لا يكون لا مندوحة ولا استغناء إلا .
بذكر المكان كما مر بنا في الأسراء والمعراج برسول الله صلى
الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فإنه
يذكر المكان لأن عظمة الأمر وأعجازه لا تتضح إلا به ، وحينما
لا يكون للمكان أهمية وتسير الأحداث فإنه لا يذكره ، وكما نعلم
أنه سبحانه وتعالى هو أعلم بأحوال العباد وما يتناسب معهم
من كلام فلا يضاھيه في ذلك بشر " ان الله عليم خبير " (١)
الخبير بما يتماشى مع النفوس والبشر أجمعين .

ان ايراد المكان يختلف من مكان لآخر طولا وقصرا مجملا
ومفصلا ولذلك نراه في القرآن الكريم على صور :-
أولها : قد يذكر اسم صاحب القصة مضافا إلى المكان كأصحاب
الرسد ون عرض للقصة . (٢)

ثانيها : قد يذكر المكان بصفته مثل " ربوة ذات قرار معين " (٣)
فتتعدد في تفسيرها وتحديدها الآراء .
فقال أبو الحسن في معنى الربوة : أنها سميت بها لأنها ربت
بنفسها في مكان اذا زاد وعلا . (٤)

-
- (١) سورة لقمان آية (٣٤) .
 - (٢) بحوث في قصص القرآن ص ٢٧١ .
 - (٣) سورة المؤمنون آية (٥٠) .
 - (٤) المفردات للأصفهاني ص ١٨٢ .

() والربوة أيضا هي المكان المرتفع من الأرض ، والمراد بها هاهنا
في قول أبي هريرة : فلسطين ، وعنه أيضا : الرملة . (١) وقال
كعب وقتادة : بيت المقدس ، قال كعب : وهي أقرب الأرض إلى
السماء بثمانية عشر ميلا . (٢)

وذلك هو الراجح من الأقوال لاجتماع المفسرين عليه .

وقال الزمخشري :

هي الأرض المرتفعة ، قيل : هي ايلياء أرض بيت المقدس
وأنها كبد الأرض ، وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا
عن كعب . (٣)

ثالثها : قد تذكر القصة دون اشارة إلى المكان مثل قصة
ادريس . (٤)

رابعها : قد يذكر المكان باسمه الصريح المعروف كالمسجد
الحرام والمسجد الأقصى . (٥)

خامسها : وقد يذكر الاسم العلم ولكن يختلف في تحديد موقعه
كالجودي : جبل نوح . (٦)

وهكذا يأتي المكان عنصرا في القصص القرآني ليفيد الغاية الذي ساقه الله له
وهو العليم الحكيم .

(١) الرملة : مدينة ظيمة بفلسطين وكانت قصبتها قد خرجت

الآن ، وكانت رباطا للمسلمين / ذكره القرطبي ج ٥ ص ٤٥١٨

(٢) أنظر تفسير القرطبي ج ٥ ص ٤٥١٨ .

(٣) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٣٣ .

(٤) ، (٥) ، (٦) بحوث في قصص القرآن ص ٢٧٦ م

القصة السابعة

الأسلوب

سادسا : الأسلوب فى القصص القرآنى :

نقصد بأسلوب القصة القرآنية (طريقة سبك القصة التى انفرد القرآن الكريم بها فى تأليف كلامه واختيار ألفاظه ، ولاغرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به ، فان لكل كلام الهى أو بشرى أسلوبه الخاص به ، وأساليب المتكلمين - من أدباء وشعراء - تتعدد بتعدد أشخاصهم ، بل تتعدد فى الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التى يتناولها ، والفنون التى يعالجها ، ويلاحظ أن الأسلوب غير المفردات المجردة - وانما هو الطريقة التى انتهجها المؤلف فى اختيار المفردات التى يستخدمونها واحدة والتراكيب جملة واحدة) (١)

وهذا هو السرفى عظمة أسلوب القرآن واعجازه البيانى فمع أنه لم يبرح معهود العرب فى لغتهم من ناحية المفردات والجمل والقواعد العامة فى صياغة التراكيب ونسج الكلام ، وأنه جرى على ما ألفوه فى ذلك كله ، فقد جاء على الوجه المعجز فى كلامه ، وسر القوة فى اعجازه البيانى أنه دخل عليهم من باب يعرفونه ، ولو أتاهم من غيره لتشبهوا بالأعداء " ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا : لولا فصلت آياته ؟ أأعجمى وعربى " (٢)

(١) مناهل العرفان ج ٢ ص ١٩٩ .

(٢) سورة فصلت آية (٤٤) .

وأسلوب القصة القرآنية بليغ التراكيب فصيح الألفاظ بيّن المعاني ، بديع السبك بطريقة معجزة كسائر أسلوب القرآن الكريم ، وبذلك اكتسب الأسلوب القرآني وبخاصة في إطار القصة كأحد عناصرها لونا فريدا ساعد على أن تصل القصة الى هدفها الذي سيقت له .

والبلاغة في اصطلاح العلماء :

(هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال

(١) مع فصاحته)

وذلك المعنى استتبطناه من معاني كثيرة وألفاظ متعددة ، ولكن منها ما واحد ومدلولها واحد ، ولذلك قسمها الاصطلاحيون الى : الفصاحة ، والمعاني ، والبيان ، والبديع .
وبالبحث في أسلوب القصة القرآنية تظهر البلاغة بأنواعها الأربع بوضوح ، فهي ذات أسلوب فصيح : والفصاحة : هي الظهور والبيان .

يقول العلماء المتقدمون : (اللفظ الفصيح هو الظاهر

(٢) البين)

ويقول المتأخرون : أن المراد من الفصاحة (أنها عبارة عن

(١) بغية الايضاح لعبد المتعال الصعدي ج ١ ص ٢٦ .

(٢) سر الفصاحة لابن سنان ص ٤٩ .

الألفاظ البينة الظاهرة ، المتبادرة الى الفهم ، والمأنوسة
الاستعمال بين الكتاب لمكان حسنها (١)

فصاحة الكلمة تتحقق بسلامتها من أربعة عيوب :

- ١ - تناثر الحروف - لتكون رقيقة عذبة تخف على اللسان ولا تثقل على السمع .
- ٢ - غرابة اللفظ - أي تكون مألوفة الاستعمال .
- ٣ - مخالفة القياس - أي القياس الصرفي حتى لا تكون شاذة .
- ٤ - خلوصها من الكراهة في السمع . (٢)

أما فصاحة الكلام (فتكون بسلامته من كل ما يتعلق به
معناه وبنبيهم مغزاه ، والا كان مردودا خارجا عن حدود البلاغة ،
ورسوم الفصاحة ، ولو احتوى على أجل المعاني ، وإنما يتم له
ذلك اذا كان سليما من هذه الأشياء :

- ١ - تناثر الكلمات مجتمعة .
- ٢ - ضعف التأليف .
- ٣ - التعقيد اللفظي - كتقديم الصفة على الموصوف ، والصلة على الموصول - ، وما شابه ذلك يسمى تعقيدا لفظيا .
- ٤ - التعقيد المعنوي - وهو إخفاء دلالة الكلام على المعنى المراد .

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص ٧ للمرحوم

أحمد الهاشمي الطبعة الثانية عشرة

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص ٧ بتصريف .

والفرق بين البلاغة والفصاحة :

أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون الا وصفا للألفاظ مع المعاني ، لا يقال كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة ، وان قيل فيها فصيحة ، وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغا ، كالذى يقع فيه الاسهاب من غير موضعه (١)

(فاذا تأملت نظم القرآن فى جميع ما يتصرف فيه من أوجه المعانى وجدته على حد واحد فى حسن النظم وبديع التأليف والرصف لا يتفاوت ولا يتباين ولا ينحط عن المنزلة الرفيعة العالية فى كل غرض . أغراضه سواء فى عرض القصص والمواعظ أو فى عرض العقائد والبراهين والحجج فى الوعد والوعيد وفى الحكم والأحكام وفى التبشير والتحويل فى الثواب والعقاب) (٢)

واننا لنلاحظ أن الآيات جميعا سواء طويها وقصيرها قد بلغت رتبة الإعجاز على حد واحد لا يتفاوت ولا يختلف فى البلاغة وفى الفصاحة ثم اننا لو أمعنا النظر فى كتاب الله تبارك وتعالى بيد ولنا على طوله وكثرته متناسبا فى الفصاحة ومتوازيا فى البلاغة ، كما وصفه الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ، مثانى تقشعرون منه

(١) سر الفصاحة ص ٤٢ وما بعدها .

(٢) بينات المعجزة الخالدة ص ٢٦١ الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ

جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلمن جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله" (١)

والمراد بكونه متشابها هنا (تشابه معانيه في الصحة
والأحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في
المعاد والمعاش ، وتناسب ألفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في
الاعجاز) (٢)

ولقد شهد أجّل علماء اللغة العربية أن ألفاظ القرآن هي
لب كلام العرب وزيدته وأن ما عداها كالفشور والنوى بالنسبة الى
أطياب الثمر ، وكالحنثالة والتبن بالنسبة الى لبوب الحنطة (٣)
فالله سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيء علما ، وقد أحاط
باللسان العربي علما (ولقد استرعت فصاحة القرآن الكريم أنظار
العلماء ذوى الضلالة في العربية .) (٤)

ونلاحظ أن الحديث عن الأسلوب في القصة القرآنية ينطبق
على أسلوب القرآن الكريم وأسلوب القرآن لا يتغير ، وليس أبين
ولا أفصح من ألفاظ القرآن الخلافة ، فانه بيان عجيب وفصاحة
ظاهرة تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي .

(١) سورة الزمر آية (٢٣) .

(٢) التفسير الكبير للألوسي ج ٢٣ ص ٢٥٨ .

(٣) أنظر مقدمة مفردات الراغب الأصفهاني ص ٦ .

(٤) البيان والتبيين ص ٢٤٦ .

يقول صاحب مآهل العرفان في ذلك :

(نريد بنظام القرآن الصوتي ، اتساق القرآن وائتلافه
في حركاته وسكاته ، ومداته وغناته ، واتصالاته وسكاته ، اتساقا
عجيبا ، وائتلافا رائعا ، يسترعى الأسماع ، ويستهوئ النفوس ،
بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر منظوم ومنثور) (١)
وعلى ذلك نقول : بأن اللفظة أو المفردة القرآنية تمتاز
بميزات تسموبها الى البلاغة والفصاحة ، هذه الميزات
هي :

- ١ - جمال وقعها في السمع .
- ٢ - اتساقها الكامل مع المعنى . (٢)
- ٣ - احكام سبك اللفظة القرآنية .

أنظر الى قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ، ما لكم اذا
قيل لكم ، انفروا في سبيل الله أناقلتم الى الأرض " (٣)
(وادرس الآداء الفني الذي قامت به اللفظة " أناقلتم " بكل
ما تكونت به من حروف ، ومن صورة ترتيب هذه الحروف ، ومن حركة
التشديد على حرف " الثاء " والمد بعده ، ثم مجيء القاف الذي

-
- (١) مآهل العرفان ج ٢ ص ٢٠٥ .
 - (٢) التعبير الفني ١٨١ .
 - (٣) سورة التوبة آية (٣٨) .

هو أحد حروف القلقة ، ثم التاء المهموسة ، والميم التي تنطبق عليها الشفتان ويخرج صوتها من الأنف ، ألا تجد نظام الحروف وصورة أداء الكلمة ذاتها أوحى اليك بالمعنى ، قبل أن يرد عليك المعنى من قبل المعاجم ؟ (١)

ألا ترى في خيالك ذلك الجسم المائل ، ألا تشعر بأن البطء في تلفظ الكلمة يوحي بالحركة البطيئة التي تكون من المائل ؟ وإذا جربنا أن نبدل المفردة القرآنية ، أو نحل محلها لفظة " ثناقلتم " ألا نشعر أن شيئاً من الخفة ، والسرعة ، والنشاط أوحى به " ثناقلتم " بسبب زوال شدة الحروف وسبق التاء قبل التاء ؟

فالملاحظ إذن أن البلاغة لا تتم إلا باستعمال لفظية

" ثناقلتم " للمعنى المراد ولا يكون ذلك في مرادفتها " ثناقلتم " .

(وهناك مفردات قرآنية من نوع آخر ، يرسم صورة الموضوع ،

لا بجرسه الموسيقي ، بل بظله الذي يلقيه في الخيال ، وللألفاظ

- كما للعبارات - ظلال خاصة يلحظها الحس البصير ، فيما يوجه

اليها انتباهه ، وحينما يستدعي صورة مدلولها الحسية) (٢)

مثال ذلك : " فأصبح في المدينة خائفا يترقب " (٣) فمفردة

" يترقب " ترسم هيئة الحذر المطلقت في المدينة التي يشيع فيها

(١) التعبير الفني في القرآن ص ١٨٢ .

(٢) التصوير الفني ص ٧٩ .

(٣) سورة القصص آية (١٨) .

الأمن والاطمئنان ، في العبادة ، وقد يشترك الجرس الموسيقى والظل في مفردة واحدة كقوله تعالى " يوم يدعون الى نار جهنم دعاً " (١) مفردة " يدعون " أو " دعاً " يصور مدلولها بجرسه وظله جميعاً ، ومما يلاحظ هنا أن " الدع " هو الدفع في الظهر بعنف ، وهذا الدفع في كثير من الأحيان - يجعل الموضوع يخرج صوتاً غير ارادى ، فيه عن ساكنه هكذا :

(٢) في جرسه أقرب أن يكون الى جرس " الدع " (

(واذا قرأنا قوله تعالى " يا أيها النفس المطمئنة ، ارجعي الى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادى وادخلي جنتى " (٣)

ونونات ؟ وهيهات لانسان مهما أوتى حظا من الذوق والأدب أن
يبلغ هذا المستوى المعجز (١)

ولما بين الكلمات من فروق ، ولما لها في النفس من صدى ،
واحساس خاص دعا القرآن الكريم ألا يستخدم لفظ مكان آخر لما له
من تأثير على النفوس كما في قوله تعالى " واذ نجيناكم من آل فرعون
يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم " ، وفي
ذلكم بلاء من ربكم عظيم " (٢)

(فهنا قد اختار سبحانه وتعالى : الفعل ذبح مصورا
به ما حدث كأنه ماثل للعيان ، وضعف عينه للدلالة على كثرة
ما حدث من القتل ، في أبناء اسرائيل يومئذ ، ولا نجد ذلك
مستفادا اذا وضعنا بدلا من هذه الكلمة كلمة يقتلون) (٣)
وتكبير كلمة حياة في قوله تعالى " ولتجدنهم أحرس الناس على
حياة " (٤)

يعبر تعبيرا دقيقا عن حرص هؤلاء القوم على مطلق حياة يعيشونها
مهما كانت حقيرة القدر ، لا قيمة لها .
وقوله تعالى " قالت نملة : يا أيها النمل ، ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمان وجنوده ، وهم لا يعلمون " (٥) ، وقوله تعالى

(١) التعبير الفني في القرآن ص ١٨٣ . (٢) التعبير الفني ص ١٨٤

(٣) سورة البقرة آية (٤٩) .

(٤) سورة البقرة آية (٩٦) .

(٥) سورة النمل آية (١٨ - ٢١)

" وقالت لأخته : قصيه ، فبصرت به عن جنب ، وهم لا يشعرون " (١)

نرى هنا دقة التمييز بين معانى الكلمات ، ما نجده فى

الثرقة فى الاستعمال بين يعلمون ويشعرون .

(نفى الأمور التى يرجع الى العقل وحده أمر الفصل فيها ،

نجد كلمة " يعلمون " صاحبة الحق فى التعبير عنها ، أما الأمور

التي يكون للحواس مدخل فى شأنها ، فكلمة " يشعرون " أولى

بها ، فتأمل قوله تعالى " فبصرت به عن جنب ، وهم لا يشعرون "

فهنا البصر أولى أن يعبر معه ويشعرون ، ومثل ذلك كثير فى

القرآن لا عد ولا حصر له .

فذلك من الدقة فى التمييز بين معانى الكلمات المستعملة فى

(٢)
القرآن الكريم)

٢ - أما الاتساق مع المعنى :

فأعنى به (ائتلاف حركاته وسكاته ، وتناسقه ، ومداته ،

وغناته ، واتصالاته ، وسكاته ، وبيان ذلك أن من ألقى سمعه

الى مجموعة القرآن الصوتية ، وهى رسالة على وجه السذاجة فى

الهواء كمجردة من هيكل الحروف والكلمات ، كأن يكون السامع

بعيدا عن القارئ المجود ، بحيث لا تبلغ الى سمعه الحروف والكلمات

متمهزة بعضها عن بعض ، بل يبلغه مجرد الأصوات الساذجة

(١) سورة القصص آية (١١) .

(٢) التعبير الفنى ص ١٨٤ بتصرف .

الموهبة ، المدات والفنات ، والحركات والسكنات (١)
وبيان ذلك أن السامع لو كان عجميا لأدرك أنه أمام لحن غريب
(وهذا التناسق الفني والجمال الصوتي هو أول شيء أحسسته
الأذن العربية يوم نزل القرآن وتلاه الرسول صلى الله عليه
وسلم ، ولم تكن من قبل عهدت مثله في منشور الكلام ومنظومه (٢)
فخيل اليهم في مبتدأ الأمر بأنه شعر ، لأنهم لا يعلمون هذه
الأنغام الا في الشعر الذي يسمعونه ، ولكن سرعان ما خطووا
أنفسهم فيما حسبوه شعرا وما هو بشعر حتى قال قائلهم - وهو
الوليد بن المغيرة (٣) - " وما هو بالشعر " وغلل ذلك بأنه ليس
على أعرابى الشعر فى قصيدة .

(على أن النسق القرآنى قد جمع بين مزايا النثر والشعر
جميعا ، فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتشعيلات
التامة ، فنال بذلك حرية التعبير الكافلة عن جميع أغراضه
العامة وأخذ فى الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية ،
والفواصل المتقاربة فى الوزن التى تغنى عن الضاميل ، والتقنية
المتقاربة التى تغنى عن القوافى (٤)

(وحيثما تلا الانسان بعض آيات من آيات القرآن أحسب

-
- (١) مناهل العرفان ج ٢ ص ٢٠٦ .
 - (٢) التعبير الفني ص ١٨٦ .
 - (٣) مناهل العرفان ج ٢ ص ٢٠٦ .
 - (٤) التصوير الفني ص ٨٥ .

ذلك الايقاع الداخلى فى نفسه وهذا الجمال الذى جعل أمثال
الوليد بن المغيرة بأنه شعر ثم عدل عنه الى أفحش منه وقال أنه
سحر من كثرة حيرته (لأنه أخذ من النثر جلاله وروعته ، ومن
النظم جماله ومتعته ، ووقف منهما فى نقطة وسط خارقة لحدود العادة
البشرية ، بين اطلاق النثر وارساله ، وتقييد الشعر وأوزانه) (١)
٣ - أما أحكام سبك اللفظة القرآنية فنقول فيه :

أن الألفاظ القرآنية متعانقة متماسكة وأنا نراها متأخية
الكلمات والعبارات عذبة رقيقة ونرى أن ذلك السبك والاحكام
شئ ملحوظ مع طوله ، وتنوع مقاصده وافتنانه وتلوينه فى الموضوع
الواحد ، وبين سور القرآن من التناسب ما جعله سوى الخلق
حسن السميت بدليل قوله تعالى " قرآنا عربيا غير ذى عوج " أى
لا اختلال فيه بوجه من الوجوه (٢)

فمهما قرأنا وكررنا تلاوة القرآن فاننا لن نقف فيه على
زيادة أو نقصان أو ترادف فى الكلمات ، فلقد اختيرت كل كلمة
فى موضعها الحقيقى المناسب لها .

-
- (١) مناهل العرفان ج ٢ ص ٢٠٧ .
 - (٢) سورة الزمراية (٢٨) .
 - (٣) تفسير القرآن العظيم ج ٢٣ ص ٢٦١ .

وبالنسبة للمعاني :-

(وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال) (١) حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له ، فيه تحرز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد (٢)

وينحصر في ثمانية أبواب ، أحوال الاسناد الخبري ، أحوال المسند اليه ، أحوال المسند ، أحوال متعلقات الفعل ، القصر ، الانشاء ، الفصل والوصل ، الايجاز والاطناب والمساواة . نرى ذلك كله وغيره من أمور البلاغة والفصاحة موجودا في أسلوب القرآن الكريم حيث أنه معجز بأسلوبه وفصاحته ونرى أن لعلم المعاني فائدة منها :

- ١ - الوقوف على أسرار البلاغة في منشور الكلام ومنظومه . (٣)
- ومن هنا يتوصل الى معرفة سر قوله صلى الله عليه وسلم " أنا أفصح من نطق بالضاد "
- ٢ - معرفة وجه اعجاز القرآن من وجهة ما خصه الله فيه من حسن التأليف وبراعة التراكيب واشتماله على الألفاظ الجزلة العذبة وثباته وحفظه على مر العصور .

(١) التلخيص في علوم البلاغة للقزويني الخطيب ص ٣٧ الطبعة الأولى ١٩٠٤ .

(٢) علوم البلاغة للمراغي ص ٤٢ الطبعة الأولى ١٩٨٠ م .

(٣) التلخيص ص ٣٧ .

أما علم البيان :

(هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة
في وضوح الدلالة) (١)

أى أنه ملكة يقتدر بها على إدراكات جزئية أو أصول وقواعد
معلومة يعرف بها المدلول بكلام مطابق لمقتضى الحال على ذلك
المعنى) (٢)

والمراد من ذلك التعريف : (أن الضلع من هذا الفن إذا
حاول التعبير عما يختلج في صدره من المعانى وجد السبيل
ممهدا فيختار ما هو أليق بمقصده وأشبه بمطلبه من فنون القول
وأساليب الكلام) (٣)

ويشتمل علم البيان على عدة أبواب هي :
التشبيه ، الحقيقة والمجاز ، الكناية . وكل من هذه الأبواب
تفرعات خاصة بذلك العلم .
يتفرع إلى

أذن علم البيان موضوعه ذلك التصوير ، الذى يهب الفكرة
وضوحا وقوة فيزيد تأثيرها في نفس المخاطب ، أو القارىء ، بالالتجاء
إلى الخيال المصور . (٤)

(١) ، (٢) شروح التلخيص : وهو مختصر الفتازانى على تلخيص

الفتاح للخطيب ، ومواهب المفتاح للمغربى ، وعروس الأفرح

للسبكي ج ٣ ص ٢٥٧ وما بعدها .

(٣) علوم البلاغة للمراغى ١٨٩ .

(٤) من بلاغة القرآن لأحمد بدوى ص ١٩ .

ونرى البيان واضحا في الأسلوب القرآني وذلك غير خاف
على أحد فكما قلنا بأنه يورد المعنى الواحد بطرق مختلفة مع
وضوح الدلالة على ذلك نستطيع أن نقول عنه انه غنى :
(بثروته في أفانين الكلام وبراعته في تصريف القول) .
ومعنى هذا أنه يورد لنا المعنى الواحد بألفاظ وبطرق متعددة
ومختلفة ، بمقدرة عظيمة خارقة لقوة البشر .

ومثاله في القصة ايراد معنى ما في قصة رسول ما وتبوع
ورود هذا المعنى بأساليب مختلفة .
وذلك واضح في ما مر معنا من التكرار ، ولكننا سنورد مثلا على
ذلك بقصة هود عليه السلام .

فقصة هود من القصص التي تكررت في كثير من سور القرآن
وكانت تعرض أحيانا بايجاز وأحيانا أخرى بتفصيل .

وتتلخص هذه القصة فيما دار بين هود وقومه ، وفي الحديث
عن العذاب والنجاة ، وكان الحوار يطول أحيانا فنأدى هود
قومه ويجيبون عليه ، وقبل الكلام على هذا وذاك نرى افتتاح
القصة وهو ارسال هود الى قومه عاد ، وأن هود كانت تربطه
بقومه أخوة النسب ، وسنتبع هذه الألفاظ في كل قصة لنرى ما هي
الإضافات التي يحملها كل عرض مع أن المعنى واحد في كل
سورة ولكن يتغير اللفظ للتجديد وإضافة جديد في القصة .

فنرى القصة أتت بتفصيل في سورة الأعراف وسورة هود وسورة
الشعراء وسورة الأحقاف وسورة المؤمنون ، وأتت في سور أخرى

بإيجاز مثل سورة فصلت وسورة الذاريات وسورة القمر وسورة الحاقة
وسورة الفجر .

أما ما جاءت فيه القصة بتفصيل فنتبع ماورد فيه من معنى
واحد بألفاظ متعددة في دعوته لقومه ولنرى ما أضيف من
زيادات في ذلك المعنى الواحد ، ونستطيع أن نقول أن السور
تتاولت القصة بتفصيل يمكن أن يؤخذ من افتتاحها أن الله
تعالى قد أرسل هودا الى قومه عاد ، وأنه كانت تربطه بقومه
أخوة النسب ، لكن التعبير عن ذلك جاء مختلفا وحمل الاختلاف
إضافات وفوائد .

فنرى في افتتاح سورة الأعراف وسورة هود يحدد اسم القوم واسم
الرسول الذي أرسل اليهم والعلاقة التي تربط بين الرسول وبين
القوم فتقول في كل منهما :
" والى عاد أخاهم هودا " .

وتأتى سورة المؤمنون فلا تذكر اسم المرسل ولا المرسل اليهم
وتترك سياق الآيات يحدد ذلك ، ولكنها على هذا تضيف أن
هذا الرسول نشأ بين القوم ، وهنا نقول ان هودا كانت تربطه
بقومه أخوة النسب كما يؤخذ من غير سورة المؤمنون .
" ثم أنشأنا من بعدهم قوما آخرين ، فأرسلنا فيهم رسولا منهم "
فنرى القرآن قد عبر بلفظ " منهم " دون لفظ " اليهم " كما جاء
في غير هذه السورة للايذان من أول الأمر أن من أرسل اليهم لم
يأتيهم من غير مكانهم وإنما هو واحد منهم نشأ بينهم .

أما افتتاح سورة الشعراء فيبرز نهاية القصة قبل البدء فيها
ويبين وحدة الرسل وأن من كذب رسولا فقد كذبهم جميعا ، وهذا
ملا يستفاد من غيره من السور التي تناولت القصة بتفصيل .
ويقول تعالى " كذبت عاد المرسلين "

وتأتى سورة الأحقاف فلا تذكر اسم الرسول وتكفى ببيان القوم
وصلة القرابة بينه وبين القوم ولكنها تضيف مع هذا جديدا فتحدد
المكان الذى سكنته عاد ووجه رسولهم منه دعوته وأنه الأحقاف (١)
ولقد جاء التعبير فى سورة الأحقاف فى افتتاحها عن دعوة
هود بالانذار مخالف بذلك غيره فيقول تعالى - " واذكر أخا هود
اذ أنذر قومه بالأحقاف "

ولنرى بدء كلام هود لقومه فى غير سورة الأحقاف :
ففى سورة الأعراف يقول تعالى : " والى عاد أخاهم هودا
قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون "
ومن سورة هود يقول تعالى " والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم
اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون "
وفى سورة المؤمنون يقول تعالى " ثم أنشأنا من بعدهم قوما
آخرين ، فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن أعبدوا الله مالكم من اله
غيره أفلا تتقون "

(١) يقع شمالي حضرموت ، ويقال أنه الآن رمل ليس به أنيس .

وفى سورة الشعراء يقول تعالى " كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود ألا تتقون ، انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون "

أما فى سورة الأحقاف فيقول تعالى فيها " واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت من بين يديه ومن خلفه ألا تمسدا ولا إلا الله "

ونرى سورة الأحقاف تضيف أيضا اغتاق الرسل فى دعوة التوحيد .

اذن نستطيع أن نقول على ما تقدم أنك تستطيع أن ترى الفرق فى كل سورة فى الأسلوب أثناء عرضنا للأمر الواحد كما ورد فى استعراضنا للآيات السابقة ، وهذه هى المواضع التى ذكرت فيها القصة بالفاظ متعددة حيث جاءت فى تلك السور السابقة بالتفصيل . أما السور الموجزة التى أتت فيها قصة هود بايجاز نستطيع أن نقول أنها كانت اشارات سريعة خاطفة للعبارة والعظة ، تجلى لنا ما ذكرناه فى السابق .

وفى سورة الذاريات يقول تعالى " وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شىء أتت عليه الا جعلته كالرميم "

وفى سورة القمر يقول تعالى " كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ، فكيف كان عذابى ونذر "

وفى سورة الحاقة يقول تعالى " وأما عاد فأهلكوا بريح
صرصا عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى
القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية"
وهكذا يجيء المصنى فى كل سورة بلمحة من قوم هود للمعظة
والعبرة فى كل موضع ، وهكذا نرى كيف أن القصة الواحدة تأتى
فى كل سورة بلفظ آخر للتجدد وزيادة معنى .

أثر بلاغة الأسلوب في أداء المعنى :

كان من الطبيعي بعد أن عرضنا بلاغة أسلوب القرآن الكريم في قصصه وفي سائر آياته ، كان لابد وأن نتعرف عن تأثير ذلك الأسلوب في المعنى وتأثيره على الناس فنقول كما ذكرنا سابقا أن الناس درجات في الفهم وخاصة في ادراك المعنى الواحد فان كل منهم يفهمه بحسب فهمه هو وبطريقته هو (ومن ههنا نجد العبارة البليغة الواحدة كثيرا ما تقع المواقع المختلفة تلى طبقات متعددة في أهل النظر حين يتأملونها ويصفونها ، فان بقيت على بلافتها مع جميعهم لا يرد لها أحد ولا ينكرها . (١)

وأسلوب القرآن الكريم يتميز بما يلي :-

- ١ - مرونة أسلوب القرآن وذلك مشتمل على ثلاثة أمور :
أحد ها : عدم مصادمته الآراء المتقلبة على اختلاف العصور .
الثاني : استواءه على وجه واحد يستجمع درجات الفهم .
الثالث : مخاطبته العقل والعاطفة في آن واحد .
- أما عن عدم مصادمته للآراء المتقلبة على اختلاف العصور فنقول : أن للقرآن مرونة لا توجد في مثلها وذلك (أن فيه من

(١) اعجاز القرآن للرافعي ص ٢٦٠ .

المعاني الكثيرة والأغراض الوافرة ، مما لو كان في كلام الناس لظهر عليه صبغ النفس الانسانية لا محالة ، بأوضح معانيه وأظهر ألوانه ، وبصفات كثيرة من أحوال النفس ، وحسبك أن تأخذ قطعة منه في الموعظة والترغيب ، أو الزجر والتأديب ، أو نحو ذلك مما يستفيض فيه الكلام الانساني ، فتعزيمها الى قطعة مثلها من كلام أبلغ الناس بيانا ، وأفصحهم عربية لترى فرق ما بين أثر المعنى الواحد في كلتا القطعتين ، ولتقع على مقدار ما بين الطبقة الالهية والطبقة الانسانية في السعة والتمكن ، فان هذا الأمر لا تصف العبارة منه ، واذا وصفت لا تبلغ من صفته ، ثم لا دليل عليه لمن يريد أن يستدل
(١)
الا الحسن)

اذن نستدل من ذلك أن معانيه الكثيرة وأغراضه الوافرة وأسلوبه الفذ جعله سهلاً مرناً لكل من تطلع اليه فانه يلتصق فيه تلك المرونة ، ونرى في أسلوبه من المرونة واللين والمطاوعة بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة وايضاح ذلك هو أننا نلاحظ في أسلوب القرآن اللين والمطاوعة على التقلب والمرونة في التأويل بحيث لا يصادم الآراء على اختلاف العصور .

(فهو يفسر في كل عصر بنقص من المعنى وزيادة فيه ، واختلاف وتمحيص ، وقد فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم الا الفطرة ،

(١) اعجاز القرآن للرافعي ، ص ١٢٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان

وفهمه كذلك من جاء بعدهم من الفلاسفة وأهل العلوم ،
وفهمه زعماء الفرق المختلفة على ضروب التأويل ، وأثبتت العلوم
الحديثة كثيرا من حقائقه ^{وكيفما} قلبته رأيته وجها واحدا ،
وصفة واحدة ، لأن الفصاحة لا تكون في الكلام إلا ابانة ، وهذه
لا تفصح إلا بالمعنى المتعين ، وهذا المعنى محصور في فرضه
الباعث عليه (١)

وتفسير ذلك : أن تركيب القرآن يمثل روح الفطرة اللغوية
في العرب عموما وأنه لا سبيل إلى صرفة من نفس أحد منهم
فهو الكمال اللغوي الذي عرف أرواحهم والسبيل إلى نفوسهم
ثانيا : استواءه على وجه واحد يستجمع درجات الفهم .
معنى ذلك أن يستجمع درجات الفهم أي أن جميع
عقول الناس ولو كانت متفاوتة في الفهم فهي تستطيع ادراكه وفهمه
على ما في نفسه من أسرار وأعجاز ، ومن ذلك أيضا (ما قلناه سابقا)
إرضاءه العامة والخاصة : ومعنى هذا داخل في استجماع
درجات الفهم " فالقرآن الكريم إذا قرأته على العامة من الناس
أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه على قدر استعدادهم
ما يرضون عقولهم وعواطفهم وكذلك الخاصة إذا قرءوه أحسوا جلاله
وذاقوا حلاوته . (٢)

(١) اعجاز القرآن للرافعي ص ٢٠٧

(٢) مناهل العرفان ج ٢ ص ٢٠٩ .

نعم هكذا القرآن يرضى جميع درجات الافهام عند الناس
وجميع درجات الفهم كل على قدر فهمه فهو يصل الى أسماعهم
والى أفئدة تهم بسحر جماله وعذب كلامه لأن ذلك لا يضاهاه كلام البشر
جـ مخاطبة العقل والعاطفة فى آن واحد :

فكما نعلم أن لكل أسلوب من الكلام طريقة يتميز
بها ، فالأسلوب الأدبى مثلا نظما أو نثرا يغلب عليه الاهتمام
بخطاب القلب أو العقل واثارة العاطفة أو يخاطب العقل تارة
والقلب تارة أخرى ، والأسلوب العلمى يعنى بخطاب العقل وحده ،
ولكن أسلوب القرآن يتميز بأنه يخاطب الانسان بكامله عقلا وقلبا
ووجدانا فهو يجمع الحق والجمال فى آن واحد ، فنرى مثلا فى
قصة مريم عند ميلاد عيسى ، قوله تعالى :
" واذكر فى الكتاب مريم ، اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ،
فاتخذت من دونهم حجابا " (١)
فهاهى ذى فى خلوتها ، مطمئنة الى وحدتها ، ولكن نراها
تفاجأ مفاجأة عنيفة شديدة " فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها
بشرا سويا ، قالت : انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا "

هنا نرى الآيات فى أجمل صورة فهى تخاطب العقل والوجدان
فى آن واحد فكأننا نرى هذا الموقف ونشاهده ونحس بما عانته

(١) سورة مريم آية (١٦) .

مريم في تلك الحالة التي وابتها ، وهذه الصورة من القصص صورت لنا الموقف أو جزء منه ، وفي قصة يوسف نرى المواقف والمشاهد في هذه القصة ، اذ قال في مشهد من مشاهد ~~القصص~~ :
" وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ، وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي ، انه لا يفلح الظالمون " (١)

(فتأمل في هذه الآية كيف قولت دواعي الغواية الثلاث بدواعي العفاف الثلاث) (٢)

هنا نرى مقابلة صورت من القصص الشيق الممتع جدا لا قويا ضيفا بين جند الرحمن وجند الشيطان ، وضعتهما أمام العقل ! ليحكم بينهما ، وهكذا في القرآن كله مزيجا من العقل والعاطفة ومثيلات هذا المثل فيه كثير .

ونحن نرى أن أسلوب العلماء لا يرضى الأدباء وأسلوب الأدباء لا يرضى العلماء ، أما كلام الله سبحانه وتعالى فهو مختلف ومعجز عن أسلوب البشر جميعا وقد انفرد بهذه الميزة من أنواع الكلام وهو تفرد به وجمعه بين الروح والجسد بين العقل والعاطفة .

(١) سورة يوسف آية (٢٣) .

(٢) مآهل العرفان ج ٢ ص ٢١٠ .

٢ - (اشتماله على العلوم الالهية ، وأصول العقائد الدينية ،
وأحكام العبادات وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع
السياسى والمدنى والاجتماعى الموافقة لكل زمان ومكان) (١)
ونرى ذلك واضحا فى آى القرآن الكريم حيث العلوم الالهية
وأصول العقائد الدينية وأحكام العبادات وقوانين الفضائل
والآداب وكل الأمور السياسية والمدنية والاجتماعية التى كانت
وما زالت وستكون موافقة لكل مكان وزمان على مر السنين والعصور
بل مدى الدهر كله ونراه أيضا قد اشتمل على (تحقيق كثير
من المسائل العلمية والتاريخية التى لم تكن معروفة فى عصر
نزوله ، ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من
طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله فى الخلق) (٢)
وذلك مثل ما ثبت من أن الأرض كروية الشكل .
بدليل قوله تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على
الليل) (٣)
فتكوير الليل على النهار نراه نص صريح فى كروية الأرض .

(١) تفسير المنار المجلد الأول ج ١ ص ٢٠٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٢١٠ .

(٣) سورة الزمر آية (٥) .

أثره الموسيقى :

نعلم ما للقرآن الكريم من تأثير على نفوس سامعيه ونرى نظمه العجيب في تركيب جملة وآياته ، ونرى كيف أنه أعجز بلفاء العرب وفصحائهم على أن يأتوا بسورة مثله ولما قرئ عليهم القرآن رأوا فيه ألحانا لغوية رائعة ورأوا فيه أنه أمر لا قبل لهم فيه (وحسبك بهذا اعتبارا في اعجاز النظم الموسيقي في القرآن ، وأنه مما لا يتعلق به أحد ، ولا يتفق على ذلك الوجه الذي هو فيه الا فيه ، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها ، ومناسبة بعض ذلك لبعض مناسبة طبيعية في الهنس والجهنر ، والشدة والرخاوة وغير ذلك) (١) .

لذلك نرى أن ذلك النظم هو الذي جعل طباع البلفاء بعد ظهور الاسلام صافية نظيفة (حتى كان لهم من محاسن التركيب في أساليبهم - مما يرجع الى تساوق اللفظ واستواء التأليف - ما لم يكن مثله للعرب من قبلهم ، ولولا القرآن وهذا الأثر من نظمه العجيب ، لذهب العرب بكل فضيلة في اللغة ، ولم يبق بعد هم للفصحاء الا كما بقي من بعد هؤلاء في العمامة ، بل لما بقيت اللغة نفسها) (٢)

(١) اعجاز القرآن للرافعي ص ٢١٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٢١٥ .

وهكذا نرى أن سحر القرآن ووقعه الموسيقى على نفوس
العرب قد أثر عليهم في طباعهم وفي كتاباتهم حيث أن القرآن
الكريم يمتاز بجمال كلماته وسحرها مما لا يستطيع محاكاته بشر
فنرى جماله في ألفاظه وكلماته وحروفه وما هذه (الفواصل التي
تنتهي بها آيات القرآن الا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها
جمل الموسيقى ، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا
عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في
العجيب مذهب ، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والصيم ، وهما
الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها ، أو بالمد ، وهو كذلك
طبيعي في القرآن ، فان لم تنته بواحدة من هذه ، كأن انتهت
بسكون حرف من الحروف الأخرى ، وكان ذلك متابعة لصوت الجملة
وتقطيع كلماتها) (١)

() والقرآن كما نعلم ترسيل واتساق وتطويل ، فلا نراه يضبط
بحركاته وسكنات كأوزان الشعر فتجعل له بطبيعتها صفة من
النظم الموسيقي (٢)

وبذلك نرى كيف أن الأسلوب وما يشتمل عليه من محاسن
ومميزات يشتمل عليها القصص القرآني بعناية الهية فائقة استوفت
المعاني وأجلت الأمور في أحسن وأعظم صورة مبدعة الهية .

(١) اعجاز القرآن للرافعي ص ٢١٦ وما بعدها .

(٢) نفس المصدر ص ٢١٨ .

الباب الرابع

أنواع القصص

كما جاءت في

القرآن الكريم

أنواع القصة كما جاءت في القرآن الكريم :

تتنوع القصة في القرآن الكريم باعتبار قدرها وكميتها
إلى قصة طويلة وإلى قصة قصيرة .

- أما القصة الطويلة فإنها ترد في بعض الأحيان مجزأة
ثم تجمع في موضع واحد ، وفي أحيان أخرى ترد مرة واحدة
في مكان واحد .

ولنتعرف على كل منها مع وضع تعريف لها يحدد المعنى
ويجلبه .

فالقصة الطويلة المجزأة : هي القصة التي أتت مجزأة في عدة
سور تكمل بعضها البعض كقصة نوح وقصة هود وقصة صالح
وقصة لوط عليهم السلام .

وسوف نستعرض على سبيل المثال قصة طويلة مجزأة أتت
في عدة سور من القرآن وهي قصة نوح عليه السلام ، فلقد جاءت
مجزأة ثم جمعت في سورة خاصة وهي سورة نوح عليه السلام .

أما القصة الطويلة الوحيدة في القرآن التي جاءت كاملة
دفعاً واحدة فهي قصة يوسف عليه السلام .

- وأما القصة القصيرة : فهي القصة المحتوية على بعض العناصر
كقصة النحل والنمل والهدد ، أو مشتتة على كل عناصر القصة
إلا أنها قصيرة .

وسوف أتناول هذه الأنواع بالدراسة في الفصول التالية :

القصة الطويلة

القصة الطويلة
المجزأة

القصة الطويلة المجزأة :

أغلب قصص القرآن الكريم جاء طويلا مجزءا موزعا في سور

عديدة .

ومن أمثلة هذا النوع قصة نوح عليه السلام التي نزلت مجزأة في سورة الأعراف ، هود ، المؤمنون ، الشعراء ، القمر ، نوح ، يونس ، الأنبياء ، الفرقان ، الصافات ، الذاريات ، النجم ، العنكبوت .

فهذه ثلاثة عشر موضعا أتت قصة نوح فيها ، وفي كل منها لها هدف ، ومع الهدف جزء من القصة ، يقول الله تعالى في سورة الأعراف " لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قال الملائمة من قومه انالتراك فى ضلال مبين ، قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ، أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ، فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين " (١)

(١) سورة الأعراف آية (٥٩ - ٦٤) .

ففى سورة الأعراف هذه نرى دعوة نوح الى التوحيد ومعها
نرى صورة الجدل الذى أظهره قوم نوح معه ومدى جرأتهم فى
اتهامه بالسفه والجنون .

أما فى سورة هود فتأتى قصة نوح عليه السلام بالتفصيل على
النحو التالى :

يقول تعالى " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير
مبين ، أن لا تعبدوا الا الله انى أغاف عليكم عذاب يوم أليم ،
فقال الملائكة الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نريك اتبعك
الا الذين هم آرادنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل
بل نظنكم كاذبين ، قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي واتينى
رحمة من عنده فعمت عليكم اتلزمكموها وانتم لها كارهون ، ويا قوم
لا أسئلكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين
آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون ، ويا قوم ممن
ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا يتذكرون ، ولا أقول لكم عندى
خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للمذنبين تزدري
أعينكم لن يوءتيمهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن
الظالمين ، قال يانوح قد جادلتنا فأكثرنا جدا لانا فا تنا بما
تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأ تكم به الله ان شاء وما أنتم
بمعجزين ، ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله
يرى أن ينويعكم واليه ترجعون ، أم يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون ، وأوحى الى نوح أنه لن يوء من

من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ، واصنع
الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مفرقون
ويصنع الفلك وكلها بر عليه ملا من قومه سخروا منه قال ان تسخروا
منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ، حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور
قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه
القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ، وقال اركبوا فيها بسم
الله مجريها ومرسيها ان ربي لفتور رحيم ، وهي تجري في موج
كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن
مع الكافرين ، قال ساوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم
اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من
المغرقين ، وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيمي
الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم
الظالمين ، ونادى نوح ربه فقال يا رب ان ابني من أهلي وان وعدك
الحق وانت أحكم الحاكمين ، قال يا نوح انه ليس من أهلك انه
عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم انى أعطاك أن تكون من
الجاهلين ، قال ربي انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم
والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين ، قيل يا نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسسهم
منا عذاب ألیم تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها
أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين (١)

فإن القصة في هذه السورة توضح أدلة الايمان بالله حيث تبدأ الآيات بارسال نوح عليه السلام الى قومه نذيرا لهم من عذاب الله ومبيناً لهم طرق الهداية والرشاد ، يأمرهم بعبادة الله لا شريك له ، فقال الملائكة وهم الأشراف والأكابر من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا فظنوا بذلك أن يكون الرسول من غير البشر ولم يتصوروا نوحا رسولا لهم واتهموا أتباعه بالهوان حيث قالوا : وما اتبعك الا الأراذل أي ضعاف القوم الذين لا فضل لهم علينا بل هم أقل منزلة منا ، وضع نوح عليه السلام لقومه في دعوته أنه لا يسألهم على ما أتاهم أجرا بل هو يريد هدايتهم ولما كثر الجدل معهم ، دون جدوى أوحى الله سبحانه وتعالى أنه لن يؤمن من قومه الا من آمن من قبل فقط فهون عليك ولا تحزن فاني مفرقهم جميعا جزاء بما كسبت أيديهم .

" وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ، وغيض الماء ، وقضى الأمر ، واستوت على الجودي ، وقيل بعدا للقوم الظالمين " أي قال الله تعالى للأرض بعد ما تناهى أمره في هلاك قوم نوح بما أهلكتهم به من الغرق ، " يا أرض ابلعي ماءك " أي تشربي ، من قول القائل : بلع فلان كذا يبلعه ، أو بلعه اذا ازدرده ، " ويا سماء اقلعي " يقول : اقلعي عن المطر اسكبي " وغيض الماء " ذهبت به الأرض ونشفته (" وقضى الأمر " يقول : قضى أمر الله ، فمضى بهلاك قوم نوح " واستوت على الجودي " يعني الفلك استوت أي رست على الجودي ، وهو جبل فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة (وقيل بعدا للقوم الظالمين) أي أبعد الله القوم

(١) الثالثين الذين كفروا بالله من قوم نوح .

وهكذا تضى السورة مبينة ومفصلة جميع الأحداث التي جرت بين نوح وبين قومه متسلسلة مترابطة في الكلمات والمعاني والأحداث نرى فيها القصة كاملة لهذا قلنا عنها أنها من القصص المفصلة أى التي أتت بالتفصيل ، ولكن ذلك لا يغنى عن أن يأتى طرف آخر فى سورة أخرى يكملها ويظهر المعنى ويوضحه ويجليسه ، للقارىء أو السامع ، فكما قلنا أن كل قصة طويلة مجزأة مهما كانت طويلة فإن لها طرفا فى سورة أخرى يوضحها وهكذا

وفى سورة المؤمنين تأتى القصة على الوجه التالى فى قوله تعالى " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون ، فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آباءنا الأولين ، ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين ، قال رب انصرنى بما كذبون ، فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مفرقون ، فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى

(١) تفسير الطبرى ج ١٢ ص ٤٦ .

نجانا من القوم الظالمين ، وقتل رب انزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ، ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين " (١)

هنا بينت السورة أن الله سبحانه وتعالى قد نجى نوحا فى الفلك المشحون وهى السفينة التى نجى بها هو ومن معه من القوم المؤمنين ، ولم تكن قد بينت ذلك ما قبلها من سور ، فيتضح فيها تفاصيل الهدف التى أتت من أجله القصة هنا ، فأوضحت من ذهب معه فى الفلك المشحون .

وفى سورة الشعراء نرى فى قوله تعالى " كذبت قوم نوح المرسلين ، اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ، انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم ه عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، قالوا أنوء من لك واتبعك الأزدلون ، قال وما علمى بما كانوا يعملون ، ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون ، وما أنا بجلارد المؤمنين ، ان أنا الا نذير مبين ، قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن ممن المرجومين ، قال رب ان قومى كذبون ، فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين ، فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ، ثم أغرقنا بعد الباقين ، ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وان ربك لهو العزيز الرحيم " (٢)

(١) سورة المؤمنون آية (٢٣ - ٢٠) .

(٢) سورة الشعراء آية (١٠٥ - ١٢٢) .

فى افتتاح سورة الشعراء هذه نرى أن فيها يتضح لنا
وحدة الرسل فيما أرسلوا به ، فمن كذب رسولا فقد كذب المرسلين
جميعا ، فقال تعالى فى افتتاح السورة " كذبت قوم نوح
المرسلين " وقوم نوح لم يرسل اليهم سوى نوح عليه السلام ، ولكن
بين لنا أنهم بتكذيبهم لرسولهم نوح فهم مكذبون لجميع الرسل .
وكما نعلم أن قصّ هذه القصص كانت لتسلية الرسول الكريم
فقص سبحانه وتعالى على رسوله محمد خير الأنبياء تسلية له
فيما يلقاه من أذى قومه (فقص عليه أيضا نبأ نوح عليه السلام ،
فقد كان نبوءه أعظم من نبأ غيره ، لأنه كان يدعوهم ألف سنة إلا
خصيين عاما ، ومع ذلك كذبه قومه فى دعوته لهم بتقوى الله) (١)
" انى لكم رسول أمين " وذلك لأنه كان منهم مشهورا بالأمانة كمحمد
صلى الله عليه وسلم فى قريش فكأنه قال كنت أمينا من قبل ،
فكيف تتهمونى اليوم ؟ " وما أسألكم عليه من أجر " أى على
ما أنا فيه من ادعاء الرسالة لئلا يظن به أنه دعاهم للرغبة
فان قيل ولماذا كرر الأمر بالتقوى ؟
(جوابه) : لأنه فى الاوّل أراد " ألا تتقون " مخالفتى وأنا
رسول الله ، وفى الثانى " ألا تتقون " مخالفتى ولست آخذ منكم
أجرا ، فهو فى المعنى مختلف ، وقد يقول الرجل لغيره :

(١) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١٥٤ .

ألا تتقى الله في عقوقى وقد رببتك صغيرا ، ألا تتقى الله فى عقوقى وقد علمتك كبيرا وإنما قد الأمر بتقوى الله . تعالى على الأمر بطاعته ، لأن تقوى الله علة لطاعة فقدم العلة على المعلول ، ثم ان نوحا عليه السلام لما قال لهم ذلك أجابوه بقوله — " أنؤمن لك واتبعك الأردلون " ، وفى قوله تعالى " فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون " الفلك : السفينة وجمعه فلك ، قال تعالى " وترى الفلك فيه مواخر " فالواحد يوزن قفل والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم شيئا ورجلا ، فدل ذلك على أن الذين نجوا معه كان فيهم كثرة ، وأن الفلك امتلأ بهم وبما صحبهم ، وبين تعالى أنه بعد أن أنجاهم أغرق الباقين (١)

(١) التفسير الكبير ص ١٥٥ - ١٥٦ .

أما في سورة القمر قال تعالى : " كذبت قبلهم قوم نوح
فكذبوا عبدنا وقالوا مجنونين وازداد جر ، فدعا ربه انى مغلوب
فانتصر ، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيوننا
فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر ،
تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ، ولقد تركناها آية فهل من مدكر
فكيف كان عذابي ونذر " (١)
وهذه السورة كما نراها تركز على تهويل صورة العذاب وتصويره
تصويرا مهولا مفرزا لمن يستحقه .

وسورة الأنبياء ترد القصة بقوله تعالى " ونوحا اذ نادى
من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ، ونصرناه
من القوم الذين كفروا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم
أجمعين " (٢)

وتشير السورة الى لجوء نوح الى ربه ونصره له وهو توضيح
الأزمات التى يقع فيها الرسل ثم ينصرهم الله تعالى .

وفى سورة العنكبوت فى قوله تعالى " ولقد أرسلنا نوحا
الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ، فأخذهم الطوفان
وهم ظالمون ، فأنجيناه وأصحاب السفينة ، وجعلناها آية
للعالمين " (٣)

(١) سورة القمر آية (٤ - ١٦)

(٢) سورة الانبياء آية (٧٦ - ٧٧) .

(٣) سورة العنكبوت آية (١٤ - ١٥) .

حيث تركز السورة على بيان مدة الرسالة وتبين العنت الذي
لاقاه نوح مع قومه ، مع الاشارة الى أن فى قصة نوح عبرة وعظة
لمن بعده .

ولقد تكررت هذه القصة فى كثير من سور القرآن وكانت تأتى
أحيانا بايجاز وأحيانا بتفصيل :

فمن المواضع التى أتت فيها القصة موجزة هى :

سورة الأنبياء - سورة يونس - سورة الصافات - سورة الفرقان -
سورة النجم - سورة الذاريات - سورة العنكبوت .

ومن السور التى جاءت فيها القصة مطولة :

سورة هود - سورة المؤمنون - سورة الشعراء .

وأخيرا تأتى القصة متكاملة فى سورة سميت باسم نوح عليه

السلام وفيها يقول الله تعالى :

" انا . أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم

عذاب أليم ، قال يا قوم انى لكم نذير مبين أن أعبدوا الله

واتقوه وأطيعون ، يخفر لكم ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى

ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ، قال رب انى

دعوت قومى ليلا ونهارا ، فلم يزد هم دعائى الا فرارا ، وانى كلما

دعوتهم لتفغر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم

وأصروا واستكبروا استكبارا ، ثم انى دعوتهم جهارا ، ثم انى

أعلنت لهم وأسرت اسرارا ، فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ،

يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل

لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ، ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد
خلقكم أطوارا ، ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا ، وجعل
القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ، والله أنشأكم من الأرض
نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اعراجا ، والله جعل لكم
الأرض بساطا ، لتسلكوا فيها سبلا فجاجا ، قال نوح رب انهم
عصوني واتبعوا من لم يزد له ماله وولده الا خسارا ، ومكروا مكرا
كبارا ، وقالوا لا تزرن الهيئكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث
ونسرا ، وقد أضلوا كثيرا ولا ترد الظالمين الا ضلالا ، مما
غطيتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله
أنصارا ، وقال نوح لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، انك
ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ، رب اغفر
لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد
الظالمين الا تبارا" (١)

كما ذكرنا أن قصة نوح أتت أطرافها في عدة سور اذا جمعت
بعضها الى بعض أعتلتنا قصة متكاملة ، ولكن هنا تختلف السورة
عن سابقتها اذ تأتي اليها وقد جمعت كل الأجزاء الماضية
وأعطتنا قصة متكاملة ، وهى كغيرها من السور فى سهيل الآيات
اذ نراها تبين أيضا أن نوحا دعا قومه الى التوحيد وأنه كانت
تربيته بقومه أخوة النسب ، ولكن رغم ذلك الاتفاق فى دعوتهم

(١) سورة نوح آية (١ - ٢٨) .

الى التوحيد فى كل السور الا أننا نرى اختلافا فى الألفاظ .
يوضح المعانى ويجليها فنرى التهديد فى الأمر بالتقوى ، ويلاحظ
أن ذلك التهديد جاء من أول الأمر صريحا حدد فيه المتقى
منه وهو الله سبحانه وتعالى والمراد عقابه ولكن لا يظهر
فيه مدى درجة العذاب .

ونرى هذه السورة فى نداءها أن نوحا بين لقومه
أن من جزاء الاستجابة عدم أخذهم بالعذاب وتأخير نهايتهم
الى الأجل المحتوم .

لقد دعا نوح عليه السلام قومه الى التوحيد اذ كانت
تربطه بهم أغوة النسب ، وفى قوله تعالى ؛ " وانى كلمنا
دعوتهم لتفقر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم " أى أنهم
بالضوا فى التقليد الى حيث جعلوا أصابعهم فى آذانهم
لئلا يسموا الحجة والبينة .

" واستغثوا ثيابهم " أى تغطوا بها ، اما لأجل أن لا يبصروا
وجهه وكأنهم لم يجوزوا أن يسموا كلامه ، ولا أن يروا وجهه ،
واما لأجل المبالغة فى أن لا يسموا ، فانهم اذا جعلوا
أصابعهم فى آذانهم ، ثم استغثوا ثيابهم على ذلك ، صار المانع
من السماع أقوى .

" وأصروا " والمعنى أنهم أصروا على مذاهبهم ، أو على اعراضهم
عن سماع دعوة الحق . (١)

(١) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

" واستكبروا استكباراً " أي عظيماً بالغاً الى النهاية القصوى .
" ثم انى دعوتهم جهاراً ، ثم انى أعلنت لهم وأسرت لهم أسراراً "
(وأعلم أن هذه الآيات تدل على أن مراتب دعوتهم كانت
ثلاثة ، فبدأ بالمناصحة فى السر ، فعاملوه بالأمر الأربعة ،
ثم ثنى بالمجاهرة ، فلما لم يوفى جمع بين الاعلان والاسرار ، وكلمة
(ثم) دالة على تراعى بعض هذه المراتب عن بعض اما بحسب
الزمان ، أو بحسب الرتبة ، لأن الجهار أغلظ من الاسرار .
والجمع بين الاسرار والجهار أغلظ من الجهار وحده) (١)

" فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا " ان قوم نوح لما كذبوه زمناً
طويلاً حبس الله عنهم المطر ، وأعمق أرحام نسائهم أربعين سنة ،
فرجعوا فيه الى نوح فقال لهم : استغفروا ربكم من الشرك حتى
يفتح عليكم أبواب نعمه) (٢)

ومن هنا نرى أن من أسباب الاستغفار فتح باب السرزق
للانسان وأن عدمه يترتب عليه منعه .
وقوله تعالى " يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً "
يقول : يسقيكم ربكم ان تبتغى ووحده تموه وأخلصتم له العبادة الفيث

فيرسل به السماء عليكم مدارا متابعا . ويمددكم بأموال وبنين " ويعطيكم مع ذلك ربكم أموال وبنين ، فيكثر ~~غنا~~ عندكم ويزيد فيما عندكم منها ، ويرزقكم بساتين وأنهارا تسقون منها جناتكم ومزارعكم ، وقال ذلك لهم نوح لأنهم كانوا فيما ذكر قوم يحبون الأموال والأولاد . (١)

(ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ، والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ")

(يخبرنا تعالى عن حاجة نوح لقومه بحجج الله في وحدانيته فيقول لهم : " ألم تروا " أيها القوم فتعجبوا " كيف خلق الله سبع سماوات طباقا " سبع سموات سما فوق سما مطابقة ، " وجعل القمر فيهن نورا " وجعل في السماوات السبع نورا " وجعل الشمس " فيهن " سراجا ") (٢)

" والله جعل لكم الأرض بساطا ، لتسلكوا فيها سبلا فجاجا " ، قال نوح : رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزد له ماله وولد هالا خسارا ، ومكروا مكرا كبيرا ")

فألله تعالى جعل لهم الأرض بساطا أي تستقرون عليه " لتسلكوا فيها سبلا فجاجا " أي طرقا كثيرة ومتعددة ومتفرقة

(١) تفسير الطبري ج ٢٩ ص ٢٤ .

(٢) نفس المصدر ج ٢٩ ص ٢٦ .

والفجاج هي الطرق جمع فح أي طريق .

" قال نوح رب ابلنهم عصوني واتبعوا من لم يزد ه ماله وولده الا خسارا"
وذلك لأنه قال في أول السورة أن أعبدوا الله واتقوه وأطيعون ،
فكأنه قال لهم أطيعوني فهم عصوني " ومكروا مكرا كبيرا " والمكر
الكبار هو أنهم قالوا لا تبعهم " لا تذر ردا " فهم منعوا القوم
عن التوحيد ، وأمروهم بالشرك ، ولما كان التوحيد أعظم المراتب ،
ولا جرم كان الضع منه أعظم الكبائر ، فلهذا وصفه الله تعالى
بأنه كبار (١)

فلما دعا قوم نوح الى المعصية وعدم ترك هذه العبادات وهذه
الآله من دون الله فقد أضلوا عن الطريق المستقيم بهذا العمل ،
والله سبحانه وتعالى لا يزد الظالمين الا ضلالا فوق ضلالهم
لأنهم منحرفون عن الحق .

" مما خطيئاتهم أفرقوا فأدخلوا نارا " أي بسبب خطيئاتهم هذه
أفرقوا وكان جزاءهم الفرق ودخول النار لانهم يستحقون ذلك
بمعصيتهم أمر ربهم ورفض دعوة رسولهم .

" فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا " وهذا تعريض على أنهم
واظبوا على عبادة تلك الأصنام لتكون دافعة للآفات عنهم جالية
للمنافع اليهم ، فلما جاءهم عذاب الله لم ينتفعوا بتلك الأصنام

(١) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ١٤٢ .

(١) وما قدرت تلك الأصنام على دفع عذاب الله عنهم)

(انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ، رب اغفر
لن ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين وللمؤمنات ولا تزيد
الظالمين الا تبارا)

(يقول تعالى عن قول نوح في دعائه على قومه انك يا رب ان تذر
الكافرين احياء على الأرض ، ولم تهلكهم بعذاب من عندك) يضلوا
عبادك (الذين قد آمنوا بك) فيصدوهم عن سبيلك (ولا يلدوا الا
فاجرا) في دينك (كفارا) لنحكمتك (٢)

وهكذا نرى السورة - سورة نوح - من أولها الى أن انتهت تقص
القصة كاملة بجميع جزئياتها التي أتت مفصلة في عدة سور في كل
سورة منها جزء يوضح ويكمل ما سبقه ويرد زيادة تفيد في المعنى
المراد ، ثم نرى أنها بعد ذلك جمعت في سورة واحدة كاملة
متدعة بدعوة نوح لقومه الى التوحيد وخصيانهم وتمردهم وعسدم
قبولهم الدعوة ، ثم ما جرى بينه وبينهم ، وكيفية نصحه لهم التي
جعلها على مراحل عسى أن يقينه ذلك معهم ولكنهم أبوا وأصروا
على الكفر والظلمان الى أن كانت نهايتهم أن أغرقهم الله بمسد
أن دعا عليهم لتأكده من عدم رجوعهم الى الحق وهدايتهم الى
الصواب .

(١) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ١٤٦ .

(٢) تفسير الطبري ج ٢٩ ص ١٠١ .

وهكذا تكون سورة نوح قد أوضحت لنا ذلك المثال الواضح على
القصة المجزأة التي أتت في كل سورة جزءاً ثم أتت مكتملة في سورة
واحدة وهي سورة نوح ، ولقد حق قوله تعالى حين قال " قل لئن
اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتسون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " (١)

(١) سورة الاسراء آية (٨٨) .

الفصل الثاني

القصة الطويلة التي جاءت
كاملة مرة واحدة

القصة الطويلة التي جاءت كاملة مرة واحدة ؛

وهي قصة يوسف عليه السلام .

وهذه القصة الطويلة الوحيدة في القرآن الكريم جاءت مكتملة .

لذلك لا يد وأن نعترف ؛

و

أولا ؛ لماذا لم تتكرر قصة ويوسف ؟

فكما هو معروف أن قصة يوسف هي القصة التي جمعت كاملة

تامة في سورة واحدة سميت باسمه ، وهي السورة الوحيدة التي

ذكرت كاملة بهذا الشكل .

وان من يدرك السرف في تكرر القصة في القرآن الكريم خاصة قصص

الأنبياء يرى أنها سبقت لتدل على التوحيد ، وتهدى إليه وتبين

نصرة الله تعالى لأنبيائه على أعدائه ، وأنها سبقت للعبارة والحنطة

وقصة يوسف ليست في ذلك المجال من شيء بل هو في مجال آخر

مختلف عن تلك المجالات ، ^{وأيضاً} ~~مختلفة~~ مواقف مادية وأحداث عادية تقع

في كثير من الأوساط وليس فيها غوارق أو معجزات ، وأغلبها حصل

ليوسف عليه السلام قبل النبوة ، ويلاحظ في القصة أيضاً أن أغلب

مواقفها كان ناتجاً عن العواطف المختلفة للإنسان ، فتبين القصة

ما حدث بين يوسف وأخوته ، لذلك نرى أولاً أن نقف على أسرار عدم

تكرار قصة يوسف ، والنعمة من سوقها مساقاً واحداً دون غيرها

من القصص .

١ - أن فيها تشبيب النسوة به ، وحال امرأة ونسوة افتتنوا بأبدع الناس جمالا ، فناسب عدم تكرارها لما فيه من الاغصاء والستر . (١)

٢ - أنها اختصت بعضول الفرج بعد الشدة ، بخلاف غيرها من القصص فان مالها الى الهمال كقصة ابليس ، وقوم نوح ، وهود وصالح ، وغيرهم ، فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعى طوى نقلها لخروجها عن سمت القصص . (٢)

٣ - قال أبو اسحاق الاسفراينى : انما كرر الله قصص الأنبياء مساق قصة يوسف مساقا واحدا اشارة الى عجز القرب كأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ان كان من تلقا نفسى فافعلوا نفسى قصة يوسف ما فعلت فو سائر القصص . (٣)

٤ - نزلت سورة يوسف بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم ، فنزلت مسبوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استحباب القصة وترويح النفس بها والاعاطة بطرشيها . (٤)

٥ - وجواب خامس وهو أقوى ما يجاب به : ان قصص الأنبياء انما كررت لأن المقصود بها افادة اهلال من كذبوا رسلهم ، والحاجة داعية الى ذلك لتكرير تكذيب الكفار للرسول صلى الله عليه

(١) الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ٨٩ الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

(٢) ، (٣) ، (٤) نفس المصدر السابق ج ٢ ص ٨٩ .

وسلم ، فكلما كذبوا نزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حصل
على المكذبين ، ولهذا قال تعالى " فقد مضت سنة الأولين "
" ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن " وقصة يوسف لم يقصد منها
ذلك ، وهذا أيضا يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرار قصة أصحاب
الكهف وقصة ذى القرنين وقصة موسى مع الخضر وقصة الذبيح ،
فان قلت ؛ قد تكررت قصة ولادة يعقوب وولادة عيسى مرتين وليس
من قبيل ما ذكرت ، قلت الأولى في سورة كهيعص وهو سورة مكية
أنزلت خطابا لأهل مكة ، والثانية سورة آل عمران وهو مدنية أنزلت
خطابا لليهود ولنصارى نجران حين قدموا ، ولهذا اتصل بها
ذكر المجاجة والمباهلة . (١)

هذه أسرار عدم تكرار قصة يوسف نوالحكمة من سوقها صياقا واحدا
دون غيرها من القصص .

والقصة تهدف الى أهداف كثيرة ومتعددة حيث تشير اليها
مجطة فيما بعد فقصة يوسف قصة انسانية ، نرى فيها العواطف
البشرية التي أثرت في سير الأشخاص وتوجيههم نحو الخير والشر
في حياتهم ، وهي طويلة لأننا نرى فيها الشخصيات المتعددة -
والاحداث الكثيرة (ويجرى فيها الحوار هينا ؛ لينا رقيقا ، وتتوزع
فيها العناصر التوزيع الذي يتطلبه الفن القصصى ، فهو موزعة
بمقدار ، تظهر وتختفى حسب الظروف الطبيعية ، وحسب ما يحيط
بالأبطال من أحداث) (٢)

(١) الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ٨٩ .

(٢) الفن القصصى فى القرآن الكريم ص ٣١٤ .

والملاحظ. في قصة يوسف أنها (قد بنيت بناءً محكماً من حيث وحدة الموضوع وأحكام التصميم ، وتساوق المعاني ، اشتراك فيها الفن والاعساس فجاءت ثرية بالالوان والسمات ، لأنها جمعت من عناصر القصة ما تفرق في غيرها من قصص القرآن ، وجاء ترتيبها للأحداث في تناسق وتسلسل وخيط الأحداث فيها طوي ما بينها من اختلاف في الدوافع والمقاصد ، وتباعد في الزمان والمكان - تمسك به العناية الالهية من البداية الى النهاية ، فقد بدأت القصة برويا يوسف في عالم الخيب وعظمت بتحقيق رؤياه في عالم الشهادة) (١)

ومما اتسمت به قصة يوسف أيضا هو أن (الأحداث هي معركة مسيرة لمعركة الزمن ، حيث ينمو الحدث نموا طبيعيا مع سير الأيام والليالي ، كما ينمو الكائن الحي ويتطور مع مسيرة الزمن فالصغير يكبر والكبير يشين ويهزم ، والمواطن الشاب الثائرة تبرد وتهبأ ، فالزمن عنصر له مكانه وله وزنه وحسابه في تلك القصة) (٢)

- وقصة يوسف تهدف الى انتصار الحق والافلاق الفاضلة حيث نرى سيدنا يوسف يتغلب على الاغراء الذي تمثل له في امسرة العزيز ، فلا بد وأن تنتصر الافلاق الفاضلة ويهزم الباطل السلي والخلق السيء .

(١) سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ص ٥٠٦ - ٥١٠ .

(٢) القصص القرآني للخطيب ص ٣٩٨ .

- أيضا تهدف القصة الى تصبير الرسول صلى الله عليه وسلم بما يحدث له من قومه أسوة بيوسف فقصته شبيهة بقصة يوسف مع اخوته فليأخذ منها العبرة والحظة ، ويصبر طويلى قومه له حيث سيكون له النصر والظفر .

- تهدف قصة يوسف أيضا الى رجوع اخوته وتوبتهم الى أخيهم يوسف واعترافهم له بما سبق منهم وصفة عنهم .

- أنه سوف ينتهي أمر الرسول مع قومه بالنصر ودخولهم فى دين الله كما حدث مع يوسف من انضمام أخوته له ، وحدث أيضا مع الرسول صلى الله عليه وسلم أن انضم اليه قومه حتى تدرجت الدعوة وانتشرت فى جميع أنحاء الأمة الاسلامية ودخل الناس فى دين الله أفواجا وانتصر دين الله وانتشر الاسلام الى يومنا هذا والى يوم الدين باذن الله تعالى .

الفصل الثالث
مورس

الفصل القصصية

القصة القصيرة :

- ١ - القصة القصيرة : قد تكون مكتملة العناصر ولكنها قصيرة وترد مرة واحدة في القرآن الكريم ولا تتكرر كقصة الهدد وقصة النمل وقصة النحل وغيرها الكثير في قصص القرآن الكريم .
- ٢ - وقد تكون قصة قصيرة وهي حدث من قصة طويلة انفرادي بمكان .
ولنبدأ أولاً بالقصة القصيرة المكتملة العناصر التي وردت مرة واحدة في القرآن الكريم ولم تتكرر وهي قصة النمل :-
أنظر قوله تعالى :-

"حتى اذا أتوا طوى وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وطفى والدى وأن أصعل صالحاً ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادة الصالحين (١) ."

فهنا نرى قصة النمل كاملة العناصر واضحة المضمون ، ولننظر تفسير الآيات حتى تتضح المعانى فى القصة :

"حتى اذا أتوا طوى وادى النمل : حتى هو الذى يبدأ بها الكلام ومع ذلك هو غاية لما قبلها ، ووادى النمل واد بأرض الشام كثير

(١) سورة النمل آية (١٨ - ١٩) .

النمل (قالت نطة) جواب اذا ، والظاهر أنها صوتت بما فهم سليمان عليه السلام منه معنى " يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون " وهذا كما يفهم عليه السلام من أصوات الدبير ما يفهم ، " فتبسم ضاحكا من قولها " أي فسمعها فتبسم ولعله عليه السلام انما تبسم من ذلك سرورا بصلا المهتم من حسن حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك ما هو همس بالنسبة الى البشر وفهم مرادها منه) (١)

وقوله " فتبسم ضاحكا من قولها " يعني تبسم شارحا في الضحك ، بمعنى أنه قد تجا وزهد التبسم الى الضحك ، وانما ضحك لأمرين : الأول : اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده ، وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى ، وذلك قولها " وهم لا يشعرون " .

الثاني : سروره بما آتاه الله مما لم يوعت أحد من سماه لكلام النطة واحاطته بمعناه) (٢)

أما قوله " رب اوزعني " فقال صاحب الكشاف : حقيقة اوزعني : اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفنه وارتيبه لا يتفلت عنى حتى لا أنقذ شاكرا لك ، وانما أدرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين ، خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان

(١) تفسير روح المعاني المجلد السابع ج ١٨ ص ١٢٥ ، ١٢٦
(٢) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١٨٨ وانظر روح المعاني المجلد السابع ج ١٨ ص ١٢٦ .

تقيا نفسيهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له
وقالوا رضى الله عنك وعن والديك " وأدخلني في عبادة
الصالحين " أي واجعلني من أهل الجنة (١)

وهكذا تضى القصة من أولها الى آخرها على نسق واحد
من التسلسل والاحكام بذلك الجمال وتلك الروعة التي تصحبك في
القصص القرآنى كله حتى ولو كانت القصة قصيرة كتلك القصة
السابقة .

(١) تفسير الكشاف ج ٣ ص ١٤٢ .

الباب الخامس

أهداف

القصص

القرآنية

التعمير

- ١- دعوة الناس إلى الإسلام
- ٢- تسليمة الرسول صلى الله عليه وسلم
- ٣- ترابط الدعوات الإلهية

أهداف القصة القرآنية

تمهيد :

كل شيء نبيل لا بد وأن يكون له هدف سام وغاية حسنة يمتد نحوها ، والقصص الاسلامي له وظيفة ورسالة وهدف ، وهذه الوظيفة والرسالة والهدف هي جزء من نشاط الانسان المسلم الذي هو بحكم اسلامه صادق فيما يقوم به من عمل ، والقصة القرآنية تحافظ على هذا الهدف ، فتحسنه وتدعو اليه بطريق الايحاء والجذب الوجداني ، وقد تدعو اليه بصراحة قطعية وتوجيه مباشر .

وبذلك يكون للقصص القرآني هدف ملتزم برسالة لا يخرج عنها قط ، ولذلك جاء القصص مجزءا تبعاً لهدفه لدرجة أن السورة الواحدة قد تعرض أجزاء لقصة واحدة في مكانين بسبب التزامها بهدفها ووظيفتها ، وفي سوق القصة هدفها فنية خاصة معجزة اذ تجذب القارىء والمستمع نحوها وتجعله ينفعل بها ، ومعنى ذلك أن القصص القرآني حينما يأتي لا يكون عبارة عن سرد الأحكام والنصح والارشاد ، بل له في ذلك طرق شتى وأنواع متعددة تستطيع أن تتخلل طبائع النفوس على اختلافها ، وهنا تكون القصة طريقاً من طرق مخاطبة النفوس وبها يستطيع القارىء أو المستمع أن يمعن النظر فيها ويستنبط العبرة والهدف ويكون للهدف في القصة تأثير ووقع في النفس أكثر مما لو كان ذلك النصح والارشاد مباشراً .

وأهداف القصة عديدة فمنها ما يتجه نحو العبادة أداءً
وتحسيناً ، ومنها ما يتجه نحو الأخلاق لا اختيار مكارمها والبعد
عن سوءها ، ومنها ما يتجه نحو التتفير من الكفر والمعصية ،
أيا كانت ، وهكذا .

وفى هذا الباب سأتكلم عن أهداف القصة الرئيسية حيث
أجعل لكل هدف فصلاً خاصاً .

ولهذا سيجىء هذا الباب فى ثلاثة فصول هى :

- الفصل الأول : دعوة الناس الى الاسلام .
- الفصل الثانى : تسليمة الرسول صلى الله عليه وسلم .
- الفصل الثالث : ترابط الدعوات الالهية .

الفصل الأول

دعوة الناس إلى الإسلام

الفصل الأول

دعوة الناس الى الاسلام

تصهيد :

من أهداف القصة القرآنية دعوة الناس الى الاسلام بكل حقائقه وجوانبه . ، ذلكم أن الاسلام مفهوم معنوي لا يتحرك وحده في الناس بل لا بد له من عملية فنية تعرف بعملية الدعوة ، وهي عملية متكاملة تحتاج الى تكوين من يدعو ، مع تحديد منهج دعوته ، والأهداف التي يقصدها .

والقصة القرآنية تستخدم هذه العملية وتجعلها هدفا رئيسيا من أهدافها ، فهي تعطي الدعاة زادا يكونهم كدعاة وتمدهم بقدر كاف من الأساليب المؤثرة والأدلة المقنعة في القضايا التي تتعرض لها ، وهي تربط الحاضر بالماضي قصد الاتعاظ والتأثر ، ولهذا عد هدف الدعوة الى الله من أهداف القصة الرئيسية .

ودراسة هذا الفصل تحتاج الى درس المباحث التالية :

- أ - المعنى المراد من الدعوة .
 - ب - منهج الدعوة .
 - ج - مراعاة طبيعة الانسان حين الدعوة .
 - د - امداد الدعاة بالمنهج المؤثر الملائم لطبيعة الناس .
- وذلك كله من خلال القصص القرآني .

والله الموفق

المبحث الأول

أ - التعريف اللغوي للدعوة :

جاء في لسان العرب المحيط في معنى الدعوة :

أن الدعاء : الرغبة الى الله عز وجل ، دعاه دعاه ودعوى ،
والدعاء : واحد الأدعية ، وأصله دعاو لأنه من دعوت ،
الا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت .

والدعاة : قوم يدعون الى بيعة هدى أو ضلالة ، واحد هم داع ،
ورجل داعية اذا كان يدعو الناس الى بدعة أو دين ، أدخلت
الهاء فيه للمبالغة ، والنبي صلى الله عليه وسلم ، داعى
الله تعالى ، وكذلك المؤذن .

وفى التهذيب : المؤذن داعى الله ، والنبي صلى الله
عليه وسلم داعى الأمة الى توحيد الله وطاعته .

قال الله عز وجل مغبرا عن الجن الذين استمعوا القرآن
وولوا الى قومهم منذرين قالوا : يا قرضا أجيبوا داعى الله ،
ويقال لكل من مات داعى فأجاب ، ويقال دعانى الى الاحسان
اليك احسانك الى ، وداعية اللين : ما يترك في الضرع ليدعوا
ما بعده ، وتداعى البناء والحائط للخراب اذا تكسر وآذن
بانهدام . (١)

(١) لسان العرب المحيط ج ١ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ وما بعدها

وجاء في المفردات في معنى الدعوة : أن الدّع الدفع الشديد
وأصله أن يقال للعائر دع دع . (١)

اذن نستطيع أن نفهم من هذه المعانى اللغوية
السابقة أن للدعوة عدة معان. تأتي في كل مقام بما يناسبها .

(١) المفردات للأصفهاني ص ١٦٩ .

ب - تعريف الدعوة اصطلاحاً :

(الدعوة الى الاسلام تعنى المصاولات القولية
والفعلية من أجل تحقيق هدف أو عميل ، ومن المعلوم أن
الأقوال لها ثقلها وصعوبتها لأن فيها المناداة والطلب والالاحاح ،
وفيها الجهد والعمل) (١)

وكلمة دعوة تأتي في كل مقام بما يناسبها كما ذكرنا في
المعنى اللغوي ، نظراً لتعدد معانيها واشتراكها في لفظ
الدعوة ، وتطلق كلمة دعوة على الدين الاسلامي .

فالدعوة اذن : هي ما كان الخطاب فيها موجها الى جماعة
من الناس قصد التأثير فيهم ، من ذلك رسل الله تعالى الى
خلقه كانوا يدعون الناس ولاقوا ألوانا كثيرة من صنوف العذاب
ولكنهم صبروا وصمدوا أمامها حتى نالوا بها مرادهم ونشر دين
الاسلام .

(١) الدعوة الاسلامية ص ١٠ .

ب - جوانب عملية الدعوة :-

الدعوة عملية متكاملة تحتاج الى :

- ١ - تكوين من يدعو (أى الداعية) .
- ٢ - تحديد منهج الدعوة .

تلك هى جوانب الدعوة : واليك توضيحها ، ولنبدأ

بالجانب الأول وهو :

- ١ - تكوين من يدعو :
-

شخصية الداعية لابد لها من عدة ميزات وتكوين شخصية
الداعية لابد وأن تسبق أى عمل آخر فلا بد وأن تكون شخصيته
مؤهلة وتستحق أن يلقى عليها اسم داعية (وهو لا الدعاء
لا يمكن أن يقوموا بالدور الخطير ما لم تكتمل شخصيتهم
الاسلامية اكتمالا طبيعيا سليما) (١)

ومن هنا يجب ألا (يترك الداعية فى فترته الأولى الى
رفاق السوء ويجب أن يلحق الدين ، وطريقة نشره
(٢)
بين العالمين)

(١) الدعوة والداعية ص ١٠٨ فتحى يكن الطبعة الثالثة

٠ ١٣٥٤ هـ - ١٩٧٤ م

(٢) الدعوة الاسلامية ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

ولعل خير مثال لنا في ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلقد تلقته يد العناية الالهية حيث ربي في كنف جده عبد المطلب وعمه أبو طالب حيث أحاطاه بالعناية والرعاية فنشأ نشأة طيبة سالحة ، وهكذا سائر الأنبياء قد تلقته يد العناية الالهية حيث نراهم قبل النبوة والرسالة قد اشتهروا بالأمانة وبالخلق الطيب ومعاملة الناس معاملة حسنة ،

ونرى أنبياء الله تعالى ورسله هم خير مثال وقدوة للدعاة اذ نراهم يتخلقون بأخلاق عالية وهم لا مثيل لها ووضع لهم صفات خاصة منها :

- أن يكون الداعية في قومه حتى يستطيع تبليغ دعوته ببسر وسهولة فيهم ، وذلك مما يوعدى الى فهم الرسالة ، ويكون أمكن فيهم من غيره فنرى ذلك في جميع الدعوات .

قوله تعالى عن نوح :

" ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين " (١)

قوله تعالى عن هود :

" والى عاد اغاهم هود ا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون " (٢)

ولقد سماه أبا لهم باعتبار النسب كما يقال في أخوة الجنس كله يا أبا العرب ، فهو منهم وهم قومه .

(١) سورة هود آية (٢٥) .

(٢) سورة الاعراف آية (٧٢) .

قوله تعالى عن صالح :

" والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من اله
غيره قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها
تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم" (١)

ونرى في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام :

" ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، إذ
قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها مأكفون" (٢)

ونرى في قوله تعالى عن لوط :

" ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من
أعد من العالمين" (٣)
فكان لوط من قومه أيضا .

ونرى في قوله تعالى عن موسى :

" ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات
الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار
شكور" (٤)

وهكذا نرى أن الله تعالى أرسل لكل قوم رسول منهم
ليكون ذلك أقرب لنفوسهم وبث الدعوة فيهم بمن يقاربهم

(١) سورة الأعراف آية (٧٣) .

(٢) سورة الأنبياء آية (٥١ - ٥٢) .

(٣) سورة إبراهيم آية (٥) .

٢ - اتصاف الداعية بالخلق الحسن :

وماد منا قد ذكرنا كلمة (خلق) فلا بد وأن نعريفها :

فالخلق : هو التقدير المستقيم . (١)

والخلق والخلق : السجية والجمع أخلاق . (٢)

وفى التنزيل : " وانك لعلى خلق عظيم " (٣)

وهو الدين والطبع والسجية ، وفى حديث عائشة رضى الله

عنها : (كان خلقه القرآن) (٤)

أى كان متمسكا به ويأدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من

المكارم والمحاسن والألطف . (٥)

والأخلاق الحسنة هى صفات الدعاة والمرسلين لذا

نراها فى شتى قصص القرآن منها :

أ - الأمانة :

وهى أن يكون النبى أمينا على الوحي ، يبلغ أوامر

الله ونواهيه الى عباده دون زيادة أو نقص ، ودون تحريف

أو تبديل ، امثالاً لقول الله تبارك وتعالى :

(١) المفردات ص ١٥٧ .

(٢) لسان العرب المجلد الأول ص ٨٨٩ مادة (خلق) .

(٣) سورة القلم آية (٤) .

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ج ٦ ص ١٨٨ .

(٥) لسان العرب المجلد الأول ص ٨٨٩ مادة (خلق) .

" الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا " (١)

(أى سنة الله فى الذين خلوا من قبل محمد من الرسل ، أى الذين يبلغون رسالات الله الى من أرسلوا اليه ، ويخافون الله فى تركهم تبليغ ذلك اياهم ، ولا يخافون أحدا الا الله ، فانهم اياه يخافون ان هم قصرُوا عن تبليغهم رسالة الله الى من أرسلوا اليه) (٢)

فالأنبياء جميعا موتمنون على الوحي ، يبلغون أوامر الله كما نزلت عليهم ، ولا يمكن لهم أن يخونوا لأن الخيانة تتنافى مع الأمانة ولا يمكن أن يكون ذلك من خلق الأنبياء ونرى كل نبي جاء الى قومه قد أدى الأمانة وكان أمينا ، فنرى فى قوله تعالى :

١ - " كذبت قوم نوح المرسلين ، اذ قال لهم أخوهم نوح : ألا تتقون انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون " (٣)

٢ - " كذبت عاد المرسلين ، اذ قال لهم أخوهم هود : ألا تتقون ؟ انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون " (٤)

(١) سورة الأحزاب آية (٣٤) .

(٢) تفسير الطبرى ج ٢٢ ص ١٥ .

(٣) سورة الشعراء آية (١٠٥ - ١٠٨) .

(٤) سورة الشعراء آية (١٢٣ - ١٢٦) .

- ٣ - كذبت ثمود المرسلين ، اذ قال لهم أخوهم صالح :
ألا تتقون ؟ انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله
وأطيعون " (١)
- ٤ - " كذبت قوم لوط المرسلين ، اذ قال لهم أخوهم لوط :
ألا تتقون ؟ انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون " (٢)
- ٥ - " كذبت أصحاب الأيكة المرسلين ، اذ قال لهم شعيب :
ألا تتقون ؟ انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون " (٣)
- فنرى جميع الآيات تذكر أن أنبياء الله كانوا أمناء على
الوحى وتليغ الرسالة . (٤)

اذن الأمانة هى صفة من صفات الداعية الأساسية
التي يجب أن يتحلى بها ، ولهذا نرى جميع رسل الله
وأنبيائه يتصفون بها حيث يعلم الله أين تكون رسالته ، مع
أناس صالحون أمناء يخلصون يستطيعون أن يؤثروا على الناس
من خلال ما اشتهروا به من صفات حميدة ملاكها الأمانة
فى أداء الرسالة الى الخلق .

-
- (١) سورة الشعراء آية (١٤١ - ١٤٤) .
(٢) سورة الشعراء آية (١٦٠ - ١٦٣) .
(٣) سورة الشعراء آية (١٧٦ - ١٧٩) .
(٤) تفسير الطبرى ج ١٥ ص ١٠٥ بتصرف .

٢ - الصدق :

(الصدق والكذب أصلهما فى القول ماضيا كان أو مستقبلا وعدا كان أو غيره ، والصدّيق من كثرة الصدق ، وقيل بل يقال لمن لا يكذب قط ، وقيل بل لمن لا يأتى منه الكذب لتعوده الصدق ، وقيل بل لمن صدق بقوله واعتقاده وحقّق صدقه بفعله) (١)

وفى قوله تعالى " والذى جاء بالصدق وصدق به " (٢)

(أى حقق ما أورده قولاً بما تحراه فعلاً ويعبر عن كل فعل فاضل ظاهراً أو باطناً بالصدق فيضاف إليه ذلك الفعل الذى يوصف به) (٣)

قال تعالى " هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم " (٤)

فهذا شأن الصدق انه صفة من الصفات اللازمة للمؤمن وبها يدخل الجنة فما بالك بالرسول المرسل الى الناس ! فنرى الصدق أيضا صفة لازمة من صفات الداعية اذ نرى أن كل كلمة يقولها فهى رسالة الى القوم المرسل اليهم لذا يجب أن يكون صادقا فى أقواله وأفعاله مع الناس لأنه رسول الله اليهم ولا بد للرسول أن يتصف بالصدق ، ولعل غير مثال لنا فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى اشتهر بالصدق

(١) المفردات للاصفهاني ص ٢٧٧ .

(٢) سورة الزمر آية (٣٣) .

(٣) المفردات ص ٢٧٧ .

(٤) سورة المائدة آية (١١٩) .

الأمين وعرف بذلك بين قومه (وهذه الصفة ملازمة للنبوة ،
وهي وان كانت ضرورية للبشر ، الا أنها بالنسبة لدعوة الأنبياء ،
صفة لازمة ، بل هي من الصفات الفطرية فيهم) (١)

ونرى أنبياء الله تعالى ورسله قد اتصفوا بالصدق ممن

ذلك قوله تعالى :

" واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا " (٢)

(أي ملازم الصدق لم يكذب قط ، وقيل الصديق من صدق
بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله) (٣)

وفى الكشاف : الصديق من أبنية المبالغة والمراد شرط صدقه
وكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسوله
وكان الرجحان والفضلية في هذا التصديق للكتب والرسول أي :
كان مصدقا بجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقول
تعالى " بل جاء بالحق وصدق المرسلين " أو كان بليغا في
الصدق لأن ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق الله تعالى
بآياته ومعجزاته جري أن يكون كذلك (٤)

(ولقد وصفه الله تعالى بالصدق قبل أن يصفه بالنبوة ،
ليرينا قيمة الصدق ، ولعل في ذلك مذكرا لقوم يطمعون في امامة

(١) النبوة والأنبياء للصابوني ص ٤٢ ، ٤٣ الطبعة الأولى .

(٢) سورة مريم آية (٤١) .

(٣) روح المعاني المجلد ٦ ج ١٦ ص (٩٥ - ٩٦) .

(٤) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٥١٠ .

الناس ، ثم هم مع ذلك لا يتخرجون من الكذب ، وكل كذب من العقلاء لا يمكن أن يكون لغير مصلحة ، اما جلب نفع ، أو دفع ضرر ، ولذلك عظم أمر الصدق (١)

بل نرى الأنبياء والرسل قد اتصفوا بصفة الصدق ، وهكذا يجب أن يكون الداعية حتى يصدق الناس كل كلمة يقولها لأنه مبلغ عن ربه ، اقرأ قوله تعالى عن رسوله يحيى :
" ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله " (٢)
فوصفه بالصدق .

ويوسف عليه السلام " يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان " (٣)

فراه أيضا اشتهر بين الناس بالصدق .

وفي قوله سبحانه وتعالى قد وصف الأنبياء والرسل بالصدق قبل النبوة في قوله " صديقا نبيا " - لبيان مكانة الصدق وأنه أهم من النبوة نفسها .

-
- (١) دعوة الرسل ص ٥٠ .
 - (٢) سورة آل عمران آية (٣٩) .
 - (٣) سورة يوسف آية (٤٦) .
 - (٤) سورة مريم آية (٥٦) .

٣ - الصبر :

الصبر : الامساك في ضيق .

والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسهما عنه ، فالصبر لفظ عام وربما عولف بين أسائه بحسب اختلاف مواقفه . (١)

وهذه الصفة صفة ملازمة للداعية لأنه في دعوته يواجهه أصناف متعددة من الناس يدعوهم الى الله فلا بد وأنه سيواجه مشاكل وصعوبات وجدال وانكار فعليه حينئذ أن يتحلى بالصبر لأنه صفة أساسية من صفات الداعية ولعل خير مثال على صبر الدعاة نبينا منحه صلى الله عليه وسلم فلقد لاقى من قومه قريش الأذى الكثير والمعاناة الطويلة ولكنه صبر عليهم حتى حقق أمر الله ونشر دعوته ، وأنظر قوله تعالى :

" واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين ، وأدخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين " (٢)

(كان هؤلاء من الصابرين على الشدائد والمحن والعبادة ، أما اسماعيل عليه السلام فلأنه صبر على الانقياد للذبح ، وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء ، وصبر في بناء البيت ،

(١) المفردات ص ٢٧٣ .

(٢) سورة الأنبياء آية (٨٥ - ٨٦) .

فلا جرم أكرمه الله تعالى وأخرج من صلبه خاتم النبيين ،
وأما ادريس عليه السلام قال ابن عمر رضى الله عنهما : بعثت
إلى قومه داعيا لهم إلى الله تعالى فأبوا فأهلكهم الله تعالى
ورفع ادريس إلى السماء (١)

وأما ذا الكفل (٢)

(قال الحسن والأكثرين : انه من الأنبياء عليهم السلام وأنه
تعالى قرن ذكره بذكر اسماعيل وادريس والغرض ذكر الفضلاء من
عباده ليتأسى بهم وذلك يدل على نبوته ، والسورة ملقبة بسورة
الأنبياء فكل من ذكره الله تعالى فيها فهو نبي .
" كل من الصابرين " أى على القيام بأمر الله تعالى واحتمال
الأذى فى نصرته دينه) (٣)

فعلى الداعية أن يتحلى بصفة الصبر نارا لما يلاقيه
من مشاق ومواجهات للقوم فى دعوته .

(١) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ٢١٠ .

(٢) سمى ذا الكفل : لأنه قد وفى بما تكفل به .

(٣) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ٢١٢ .

ما وسمنا ذكره ونقول الباقي منها على سبيل التعداد نظراً
لتوسعها وكثرتها ، نقول منها :
الحلم ، والعفو ، التواضع ، العزة والشجاعة ، الكرم والسخاء ،
صفات المودة والألفة .

علاوة على الصفات الاجتماعية (فالقائمون بالدعوة يجب أن تتوفر
فيهم شروط وصفات شخصية تؤهلهم لأن يتصدوا والمحافل ويستحوذوا
على انتباه الجماهير - بعض هذه الصفات خلقية تكوينية مثل :
سلامة الجسم من المنقرات ، وقوة الصوت ، والقدرة على الحركة ،
لكن البعض الآخر ممكن تنميته بالعلم والتمرين : كحسن الخلق
ولين الجانب ، وملكة الفراسة ، والاستتباط (١)
كل ذلك نراه في خلق الأنبياء والمرسلين القدوة والأمة ،
والمطالبون به هم الدعاة من البشر العاديين في الوقت الحاضر
عليهم بالالتزام بهذه الصفات حتى تنجح دعوتهم .

ذلك هو التكوين : تكوين الداعية ، فالله سبحانه
وتعالى قد ربي هؤلاء الدعاة من الرسل والأنبياء بصنائيتهم
الإلهية حيث وضع فيهم صفات البشر السوية التي بها يستطيع
الداعية أن يشق طريقه مهما كانت العقبات ومهما كانت الظروف
ورأينا ذلك من خلال بعض الأمثلة التي أوردناها على سبيل المثال

(١) كيف ندعو الناس عبد البديع صقر ص ٣٨ .

من قصى الأنبياء كى نبين أن هو ءلا ء الرسل والأنبياء تربوا التربية
الصحيحة وتوجهوا التوجيه الصحيح وأمد هم تعالى بعونه ورعايته
حتى نشروا دعوته وقاوموا الشرك والكفر واتحموا العقبات حتى
وصلوا الى نشر دعوة الله تعالى فى خلقه .

٤
٣ - التبليغ والنصح :

والتبليغ صفة خاصة برسول الله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم ، ومعناها أن يبلغ الرسل أحكام الله الى الناس ولا يكتموا شيئا حتى ولو كان فى ذلك التبليغ ايذاء عظيم لهم .

ومن التبليغ جاء فى قصص الأنبياء والرسل الكثير حيث بين كل رسول أنه جاء مبلغا لقومه رسالات ربه ، ففى قوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام :

" قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين ،
أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم ، وأعلم من الله ما لا تعلمون " (١)

ومن صالح عليه السلام قوله تعالى :

" فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم
ولكن لا تحبون الناصحين " (٢)

ومن شعيب عليه السلام فى قوله تعالى :

" فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم فكيف آسى على قوم كافرين " (٣)

(فالمقصود من الرسالة أمران هما :

أ - تبليغ الرسالة .

ب - النصيحة .

(١) سورة الأعراف آية (٦١ - ٦٢) .

(٢) سورة الأعراف آية (٧٤) .

(٣) سورة الأعراف آية (٦٣) .

والفرق بين تبليغ الرسالة والنصيحة :

(هو أن تبليغ الرسالة معناه : أن يصرقهم أنواع تكاليف الله وأقسام أوامره ونواهييه .

وأما النصيحة : فهو أنه يرغبهم في الطاعة ، ويحذرهم من المعصية ، ويسعى في تقرير ذلك الترغيب والترهيب لأبلغ وجوه ، .

وحقيقة النصح : الارسال الى مصلحة مع غلوص النية من شوائب المكروه . والمضنى : أي أبلغ اليكم تكاليف الله ، ثم أرشدكم الى الأصوب والأصلح ، وأدعوكم الى ما دعاني ، وأحب اليكم ما أحبه لنفسي (١)

اذن من صفات الداعية : (التبليغ) وهذا خاص برسول الله الكرام الى خلقه .

أما صفة النصح : فهي أيضا خاصة بهم وتشمل غيرهم من الدعاة فالداعي دائما يكون في مقام النصح لمن يدعوهم .

والغرض من التبليغ : هو أن يقطع الله الحجة على الناس لئلا يبقى لأحد عذرا يوم القيامة على الله تعالى .

" وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " (٢)

(١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٥١ .

(٢) سورة الاسراء آية (١٥) .

❖ - الفلانة :

وهي الذكاء والنباهة ، فلم يبعث أحد من أنبياء الله
ورسله الا وكان على جانب كبير من النباهة والذكاء الخارق ،
مع كمال العقل والرشد ولنر قوله تعالى في وصف سيدنا
ابراهيم عليه السلام :

" ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين " (١)

" أي لقد آتينا رشده ، وكنا عالمين بما له وباستعداده تحمّل
الأمانة التي يحملها المرسلون (٢)

وانظر اليه وهو يحاجج قومه ترى علامات النبوغ والذكاء :

" فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا :

من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين ؟ قالوا : سمعنا فتى

يذكرهم يقال له ابراهيم ، قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم

يشهدون ، قالوا : أنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم ؟ قال :

بل فعله كبيرهم هذا فأسألوهم ان كانوا ينطقون ، فرجعوا الي

أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤوسهم لقد

علمت ما هؤلاء لا ينطقون ، قال : أفتعبدون من دون الله

ملا ينفخكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله

أفلا تعقلون ؟ " (٣)

(١) سورة الأنبياء آية (٥١) .

(٢) في ظلال القرآن المجلد ٤ ج ١٧ ص ٢٣٨٥ .

(٣) سورة الأنبياء آية (٥٨ - ٦٧) .

(يسألونه كيف وقعت الواقعة وهو حاضر فلم يدفع عن صفار
الالهة ولعلمهم حينئذ يراجعون القضية كلها ، فيرجعون الى الله
ويدركون منه ما في عبادة هذه الأصنام من سخف وشهافت ، وعناد
القوم ليروا المهتهم جدا اذا الا ذلك الكبير ! ولكنهم لم يرجعوا
اليه يسألونه ولا الى أنفسهم يسألونها ، ان كانت هذه الهة فكيف
وقع لهما ما وقع دون أن تدفع عن أنفسها شيئا ، وهذا كبيرها
كيف لم يدفع عنها ؟ لم يسألوا أنفسهم هذا السؤال ، لأن الخرافة
قد سطلت عقولهم عن التفكير ، ولأن التقليد قد غل أفكارهم عن
التأمل والتدبر ، فإذا هم يدعون هذا السؤال الطبيعي لينقموا
ظن من حطم المهتهم ، وصنع بها هذا الصنيع .

(قالوا : من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين) وعندئذ
يذكر الذين سمحوا ابراهيم ينكر ظن أبيه ومن معه عبادة هذه
التماثيل ، ويتوعدهم أن يكيد لالمهتهم بعد انصرافهم عنها (١)
حقا منتهى الذكاء والنبوغ من ابراهيم طيه السلام ! حطم
جميع الأصنام بيده ثم أتى الى كبيرهم وطق القدوم فو عنقه كي يقيم
الحجة على قومه .

وهكذا جميع الأنبياء والرسل الكرام قد جرت الحكمة الأثرية
الالهية أن يكون لديهم الذكاء الخارق وهم أكمل الناس حجة

(١) في ظلال القرآن المجلد ٤ ج ١٧ ص ٢٣٨٦ .

وأرجحهم عقلا .

(وإذا كان البشر يعترفونهم بالنقص ، وتضعف قواهم العقلية
وربما وصل البعض منهم الى حالة (الخرف) عند بلوغ سن الشيخوخة
فان الأنبياء الكرام يظلون في القمة العليا من راحة العقل ،
وقوة التفكير ، مهما امتدت أعمارهم لأن الله تعالى قد أحاط بهم
بعنايته ، وعظمتهم برعايته ، ولا يمكن أن تضعف حواسهم الفكرية
وتتمطل مواهبهم العقلية ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) (١)

(١) النبوة والأنبياء للصابوني ص ٤٩ .

السلامة من الميوب المنفرة ؛

وهذه الصفة من خصائص أنبياء الله ورسله وهي صفة هامة للداعية وهي بأنبياء الله ورسله أولى ، فانه لا يمكن أن تكون هذه الصفة من خصائص الأنبياء الكرام ولا يمكن أن تكون فيهم عيوب خلقية أو خلقية ، كما أن الأمراض المنفرة كالبرص والجذام والتشوهات الجسدية لا يكون في أحد من الأنبياء .

والله عز وجل قد صانهم من العيوب المنفرة ، فالداعية دائما مع الناس يجالسهم ويحادثهم ولا يمكن أن يكون فيه مرضا معديا أو منفرا ينفر الناس منه .

أما ما روى عن أيوب عليه السلام في أنه اشتد به المرض عتسى تمنع جسده فذلك من الاسرائيليات التي يضمنها أعداء الاسلام كون يطعنوا في الدين الاسلامي ويشككوا المسلمين في دينهم فهذا أسلوبهم دائما الكذب والتدليس .

ولكن ما أصاب أيوب عليه السلام هو الضر في بدنه ؛
والضر ؛ هو سوء الحال ! اما في نفسه ، واما في بدنه (١)
قال تعالى ؛

” وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من الضر ، وآتيناه أهله ومظهم معهم رحمة

(١) المفردات ص ٢٩٣ .

من عندنا وذكرى للعالمين» (١)

(أطمأن في أمر أيوب عليه السلام وما ذكره الله تعالى من شأنه ههنا وفي غيره من القرآن من العبر والدلائل ما ليس في غيره ، لأنه تعالى مع عظيم فضله أنزل به من المرض العظيم ما أنزله مما كان صرة له ولغيره ولسائر من سمع بذلك وتعريفًا لهم أن الدنيا مزرعة الآخرة ، وأن الواجب على المرء أن يجتهد في القيام بحق الله تعالى) (٢)

ويقول الطبري في تفسير هذه الآية :

(فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ نادانا ، فكشفنا ما كان به من ضر وبلاء جهده ، وكان الضر الذي أصابه ، والبلاء الذي نزل به امتحانًا من الله له واختبارًا) (٣)

وظاهر الآية أن الضر الذي أصابه كان في جسمه وأهله وهذا الشر يصيب البشر والأنبياء بشر يعترتهم ما يعترى البشر من المرض كما يعترتهم الموت .

(١) سورة الأنبياء آية (٨٣-٨٤) .

(٢) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ٢٠٣ .

(٣) تفسير الطبري ج ١٧ ص ٥٧ .

١ - مراعاة طبيعة الانسان :

جاء القرآن لينشئ عقيدة التوحيد ، وموطن وكان ههنا
العقيدة هي الضمير والوجدان (لقد عهد القرآن دائما الى لمس
البداية ، وابقاظ الاحساس ، لينفذ منها مباشرة الى البصيرة ،
ويتخطاهما الى الوجدان ، وكانت مادته هي المشاهد المحسوسة ،
والحوادث المنظورة ، أو المشاهد المشخصة ، والمصادر المصورة ،
وكان هذا هو المنطق الوجداني الذي جادل به القرآن وناضل ،
وكسب المعركة في النهاية .
وكان كل ما عرض من مشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب ، يعقد
في جملة هذا المنطق الذي يلمس الحسن ، ويوقظ الخيال فيلمس من
البصيرة ويوقظ الوجدان ، وهي " النفس للاقناع والاندفاع " (١)
والقرآن الكريم وهو أبلغ الأساليب وأيسرها نفوذا الى قلب
الانسان ونفسه ، (حين عرض علينا الحقائق والمعاني ، عرضها
عرضا طبيعيا محسوسا ، ولم يعرضها عرضا نظريا ! فقدره الله مثلا
لم يحدثنا عن كنهها ، وكيفيتها ، ولا عن أسرارها الخفية ومخاطباتها ،
التجريدية ، بل عرضها عرضا سافرا في مخلوقاته ، فأنت تراها في
البحر ، والجبل ، والزهر ، والشجر ، والشمس ، والقمر ، ونحو
ذلك مما تقع عليه العين في الأرض والسماء .

(١) التصوير الفني ص ١٨٤ وما بعدها .

وفي هذا العرض العطن مقتح لا دراكها والشهور بها (١)

ولكل قضية يعرضها القرآن ترى الله سبحانه وتعالى في كتابه
الكريم قد تفنن في أساليب دعوة الانبياء لأقوامهم (فمرة يخوفون
أقوامهم ، ومرة أخرى يبشرونهم ، وأحيانا يذكرهم بنعم الله
عليهم ، وآونة ينذرونهم عذاب الله وطشه ، وحينما آخر يعرضون عليهم
الخوارق الحسية ، ومن هنا يتضح لنا السر في تنوع عوامل التأثير
في قصص القرآن تبعا لتنوع الاستجابات في الانسان) (٢)

والنفس البشرية هي حصن متين وقوي ، وهو لفتز عجز العلماء
والفلاسفة والمفكرين ، منذ أقدم العصور ، وما زالت أفعال ذلك الحصن
متينة وقوية لا تلين (٣)

ومنهج القرآن في دعوة هذه النفس هو منهج العليم الخبير
بأسرارها ، العليم بما يصلحها وما يفسدها المطلع على كل ما فيها
من أسرار . قال تعالى :
" وأسروا قلوبكم أو اجبروا به ان طيم بذات الصدور ، ألا يعلم من
خلق وهو اللطيف الخبير " (٤)

(١) تذكرة الدعاة ص ٤٣ ، للمهين الخولي الطبعة السادسة

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

(٢) سيكولوجية القصة ص ٤٢١ وما بعدها .

(٣) منهج القرآن في التربية لمحمد شهيد ص ٦٦ - ٦٧ .

(٤) سورة الطك آية (١٣ - ١٤) .

لذا جاء الخطاب القرآني للناس على اختلاف أفهامهم وادراكهم
بمخاطب جميع هذه الدرجات المتفاوتة من الناس بكل ما يتفق مع
الانسان من طابع .

ومن رحمة الله تعالى أنه أنزل ذلك القرآن منجما مفرقا لأن
(النفس البشرية لا تتحول تحولا كاملا شاملا بين يوم وليلة وقراءة
كتاب كامل شامل للمنهج الجديد ، إنما تتأثر يوما بعد يوم بطرف
من هذا المنهج ، وتتدرج في مراقي رويدا رويدا ، وتعتاد على حمل
تكاليفه شيئا فشيئا ، ولقد جاء القرآن بمنهج كامل شامل للحياة
كلها ، وجاء في الوقت ذاته بمنهاج للتربية يوافق الفطرة البشرية
من طم بها من خالقها ، فجاء منجما وفق الحاجات الحية للجماعة
المسلمة ، وهي في طريق نشأتها ونموها ، ووفق استعدادها الذي
ينمو يوما بعد يوم في ظل المنهج التربوي الالهي الدقيق ،
ولقد حقق القرآن بمنهجه ذلك خوارق في تكيف تلك النفوس التي
طلقت وتأثرت به) (١)

وبالتالي جاء موافق للفطرة البشرية وطبيعة الانسان حيث يعلم أنه
جاء للقوى والضعيف للفتى والفقير ، فكان لابد من أن يتخذ منهاجا
يستطيع أن يصل به الى هذه القلوب المتنوعة ، لذلك نراه قد
سلك كثيرا من الطرق ليصل الى غاياته وأهدافه النبيلة بما يتناسب
ويتوافق مع طبيعة الانسان وفطرته .

(١) طريق الدعوة في ظلال القرآن ل احمد فايز ج ١ ص ١٣١ .

وطى ذلك فان دعوة الرسل جاءت منها جا كاملا للناس تخاطبهم
حسب القدرة الالهية بنعرة قلوب البشر وكيفية الوصول اليها بما
تقتضيه القدرة الالهية من تفنن في العبارات ، واتيان بالعبس
والعظات والقصص ، وطرق الاقناع المختلفة التي تتناسب مع كسل
طبقات الفهم عند الناس .

٢ - اعداد الدعاة بالمنهج الموهب الملائم لطبيعة الناس ؛

لقد خاطب القصص القرآني النفس الانسانية بما يناسبها

وبلائمها ويتماشى مع طبيعتها ومنهاجها .

انظر قوله تعالى لمجده موسى " وما تك بهميتك يا موسى " (١)

(سؤال والسؤال انما يكون لطلب العلم وهو طي الله تعالى

بحال فما الفائدة فيه ؟

والجواب : ان من اراد ان يظهر من الشئ الحقيق شئاً شريفاً

فانه يأخذه ويعرضه على الحاضرين ويقول لهم هذا ما هو ؟

فيقولون : هذا هو الشئ الفلاني ثم انه بعد اظهار صفته الفاتحة

فيه يقول لهم خذا منه كذا وكذا ، قاله تعالى لما اراد ان يظهر

من العصا تلك الايات الشريفة كانقلابها حية ، وكضربه البحر حتى

انطلق ، وفق الحجر حتى انفجر منه الماء ، عرضه أولاً على موسى

فكان قال له يا موسى هل تعرف حقيقة هذا بيدك ، انه خشبة

لا تضر ولا تنفع ، ثم ان قلبه شعباناً عظيماً ، فيكون بهذا الطريق

قد نبه العقول على كمال قدرته ونهايته عظيمة من حيث انه أظهر

هذه الايات العظيمة من أهون الاشياء عنده ، وأنه لما تكلم معه

تحمير موسى دهشة وحيرة ، والنكتة فيه انه لما ظبت الدهشة على

موسى في الحضرة اراد رب العزة ازالها فسأله عن العصا (١)

وتفسير قوله تعالى " غداها " ولا تحف استصعبها منورها الأول " فيه سوالات ؟

والجواب من هدة وجوه : الأول : لما نودي موسى وخص بطلب الكرامات العظيمة وهم أنه صحت من تلك الامتثال الى الخلق فلم خاف ؟
والجواب من وجوه :

أحدها : أن ذلك الخوف كان من نفرة الطبع لأنه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط ، وأيضا فهذه الأشياء معلومة بدلائل العقول وعند الفزع الشديد قد يذهل الانسان منه .

قال الشيخ أبو القاسم الانصارى رحمه الله تعالى :
وذلك الخوف من أقوى الدلائل طى صدقه في النبوة لأن الساحر يعلم أن الذي أتى به تمويه فلا يخافه البتة (١)

فخطب القرآن نفس الانسان هنا يشي " يناسبها من التوضيح أو التفصيل وما يتلا " مع طبيعتها ومنهاجها في الفهم .

ومثل هذه المخاطبات النفسية تراها كثيرا في القصص القرآني ،
(وأنا استقصينا عوامل التأثير النفس في القصص القرآني ،
أدركنا فيها تنوع اقتضا " تفاوت الناس - كما ذكرنا سابقا - في أخلاقهم
واراداتهم وأعمالهم ، وما بين بعض العوامل من تقابل اقتضته طبيعة
الازدواجية في النفس من حب وبقض ، وأمن وخوف ، ورجاء ويبأس ،
وسهل وثقور ، وقوة وضعف) (٢)

(١) التفسير الكبير للالموسى ج ٢٢ ص ٢٥ ، ص ٢٨ وما بعدها .

(٢) سيكولوجية القصة ص ٤٣٥ .

وكما ذكرنا أن القرآن وقصصه سلك عدة طرق لمخاطبة النفس
فيها الترغيب والترهيب : فنفس الانسداد بطبيعتها تخاف وترجس
هكذا كانت نظرتها وما تزال يولد الطفل ومخاف السقوط ومخاف
الظلمة ومخاف المناظر التي يراها ولم يألفها من ذي قبل والأشخاص
الذي لم يألفهم ، ويرجو الأمان والراحة والاطمئنان (والخسوف
والرجاء بقوتها تلك وتشابكهما واختلاطهما بالكمان البشرى كله
في أعماقه ، يوجهان في الواقع اتجاه الحياة ويحددان للإنسان
أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره ، فعلى قدر ما يخاف . . وطى
قدر ما يرجو ، ونوع ما يرجو . . يتخذ لنفسه منهج حياته ، ويوفق
بين سلوكه وبين ما يرجو وما يخاف) (١)

وفي كل من الترهيب (الخوف) والترغيب (الرجاء) ناحية
الضرر وناحية النفع ولكل منهما ميزات ، وما يترتب على كل جانب من
جوانب كل منهما ففوق الخوف ترى أن أشد الناس حيرة وضياحا هم
غير المؤمنون ، فهم في خوف مستمر .

(وإذا استعرضنا ما قصه القرآن من أخبار الأولين ، لاحظنا
أنه يحمل في جملته بواصت الخوف أكثر من بواصت الأمن ، بحيث أن
الترهيب أكثر من الترغيب) (٢)

(١) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ج ١ ص ١٢٧ وما بعدها

(٢) سيكولوجية القصة ص ٤٤٩ وما بعدها .

اذ المصهود أن يكون الناس في الشدائد الذين نفوسا ، وأشهد
لله عضوا (١)

ولاشك أن هذه الفئة من الناس هي التي لم تجدى معها
لين المعاملة والمجادلة بالحسنى فترى في قوله تعالى :
" ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يتذكرون " (٢)

- فترى التهيب أيضا في قوله تعالى " أفأمن أهل القرى أن
يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، وأمن أهل القرى أن يأتيهم
بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله ؟ فلا يأمن مكر الله
الا القوم الخاسرون ، أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها
أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون " (٣)
(والمعنى : أكان سبب أمنهم اتيان بأسنا بياتا أضحى ، وهم
ظالمون أنهم أمنوا مكر الله بهم باتيانهم من حيث لم يعتسبوا ولم
يقدروا ؟ ان كان الا مكر ذلك فقد خسروا أنفسهم فانه لا يأمن مكر الله
(٤) الا القوم الخاسرون)

(أفأمنوا أهل القرى) وهو استفهام بمعنى الانكار طيبهم ، والقصود
أن تعالى خوفهم ينزل ذلك المذاب طيبهم في الوقت الذي يكونون

(١) تفسير المنار ج ٩ ص ٨٧ بتصرف .

(٢) سورة الأعراف آية (١٣٠) .

(٣) سورة الأعراف آية (٩٦ - ٩٩) .

(٤) تفسير المنار ج ٩ ص ٢٨ .

فَسَرْنَا أَنْ عَكَمَةُ اللّٰهُ سَبْحَانَهُ وَتَمَالُوْا اقْتَضَتْ أَنْ يَسْطَرَّ
البشر بهذه الخطوط المتقابلة الحب والكراهة ، الخير والشر ،
وغيرها كثير في النفس البشرية (وهو باختلافها ذلك ، وتقابلها -
تؤدي مهمتها في ربط الكائن البشري بالحياة ، كأنما هي أوتار
متفرقة متقابلة تشد الكيان كله ، وتربطه من كل جانب يطلح للارتباط
وفي الوقت ذاته توسع أفقه وتمدد جوانبه وتفسح مجال حياته ،
فلا ينحصر في نطاق واحد ، ولا مستوى واحد ، وبذلك يتحقق
للإنسان كيان ق فريد في كل ما يعرف من مخلوقات الله) (١)

وكما حدث مع نوح عليه السلام وقومه حيث هداهم بالخيرات الوفيرة
الكثيرة والتي تشعب بها أرضهم ، وتثبت عداثتهم ، وتجري أنهارهم
إذا هم آمنوا به واستغفروه كما في قوله تعالى :

" فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء طيما مطارا ،
ويمدكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا " (٢)

وجاء أيضا الوعد بالخيرات الوفيرة في الدنيا قبل الآخرة جزاء
لاستغفارهم وتهتهم كما في قول هود عليه السلام في قوله تعالى :

" وما قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء طيما مطارا ،
ويزدكم قوة الى قوتكم " (٣)

-
- (١) منهج التربية ج ١ ص ١٢٦
 - (٢) سورة نوح آية (٩-١٢)
 - (٣) سورة هود آية (٥٢)

(واستغفروا ، أى سلوه أن يفر لكم ما تقدم من شرككم ثم توبوا
من بعده بالندم على ما مضى ، والمزم على أن لا تمودوا الى مثله ،
يرسل السماء طيكم مدارا ، اشارة الى تكثير النعم لأن مادة حول
النعم هو الأمطار الموافقة ، (ويزدكم قوة الى قوتكم) (اشارة الى
كمال حال القوى التى بها يمكن الانتفاع بلك النعمة ، ولا شك أن
هذه الكلمة جامعة فى البشارة بتحصيل السمادات) (١)

وفى قصة صالح عليه السلام ان وعد قومه بالخيرات (والى ثمود
أخاهم صالحا قال يا قوم اهدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم
من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروا ثم توبوا اليه ان ربي قريب
مجيب) (٢)

وهنا وعدهم بالخيرات اذا ما تابوا الى الله واستغفروه فانه سسوف
يستجيب دعائهم ويغفر لهم .

أما الترهيب فى القصص القرآنى فنراه فى مواطن كثيرة ، فلا يعقل
أن يدعى الناس الى الاسلام دون اثاره أى دافع فيهم وفى نفوسهم
- وذلك ما اقتضته حكمة الله سبحانه وتعالى - فكيف يستجيبون
لدعوة الأنبياء ويستجيبون لنداءات السماء (دون أن تتأثر فيهم

(١) التفسير الكبير ج ١٨ ص ١١

(٢) التفسير الكبير ج ١٨ ص ١٦

غريزة الخوف والرغبة ، أكثر من غريزة الرجاء والرغبة ، لأن غريزة الخوف تكاد تكون (لاشعورية) لاتصلها بغرائز الدفاع عن الذات وحب البقاء ، وتجنب المكروه ، فهي أبلغ أثرا في النفس ، وخاصة عند توقع بلاء عاجل ، بخلاف غريزة الرجاء ، فانما تثار غالبا لدفع اليأس وتجديد الأمل ، واثارة التطلع لغد مشرق وستقبس (١)
سميد)

- وكما ذكرنا سابقا ، أن ادراك وفهم الناس هو على درجات فمنهم من تكفيه الإشارة والنصح أو الترهيب ومنهم من هو بخلاف ذلك لا يدرك ولا يفهم ذلك الا بالقوة والترهيب وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية في التفاوت في معاملة هؤلاء القوم من حيث الشدة واللين والترهيب والترهيب .

فقرئ في سورة الأعراف كيف أخذ الله سبحانه وتمالي آل فرعون بالجذب والقحط بسوء العيش الا ليتذكروا ضعفهم أمام الله ولعلمهم اذا تذكروا ذلك اتعظوا واعتبروا فرجعوا عن ظلمهم لبني اسرائيل ، وأجابوا دعوة موسى عليه السلام فيما جاءهم به من نور وهداية (فان الخوف شدة والشدائد من شأنها أن ترقق القلوب وتهذب الطباع ، وتوجه الأنفس الى رضى الله والتضرع له دون غيره ،

(١) سيكولوجية القصة ص ٤٥٢ .

اذ المعهود أن يكون الناس في الشدائد ألين نفوسا ، وأشد
لله خضوعا . (١)

ولاشك أن هذه الفئة من الناس هي التي لم تجدى معها
لين المعاملة والمجادلة بالحسنى فنرى في قوله تعالى :
" ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يتذكرون " (٢)

- فنرى التهيب أيضا في قوله تعالى " أفأمن أهل القرى أن
يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم
بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله ؟ فلا يأمن مكر الله

الا القوم الخاسرون ، أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد
أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون " (٣)

(والمعنى : أكان سبب أمنهم اتيان بأسنا بياتا أو ضحى ، وهم
خافلون أنهم أمنوا مكر الله بهم باتيانهم من حيث لم يحتسبوا ولم
يقدروا ؟ ان كان الأمر كذلك فقد عسروا أنفسهم فانه لا يأمن مكر
الله الا القوم الخاسرون) (٤)

(أفأمنوا أهل القرى) وهو استفهام بمعنى الانكار عليهم ، وا
والمقصود أنه تعالى يخوفهم بنزول ذلك المذاب عليهم في الوقت الذي يكونون

(١) تفسير المنار : ج ٩ ص ٨٧ بتصرف .

(٢) سورة الاعراف آية (١٣٠) .

(٣) سورة الأعراف آية (٩٦ - ٩٩) .

(٤) تفسير المنار ج ٩ ص ٢٨ .

في غاية الغفلة ، وهو حال القوم بالليل ، وحال الضحى بالنهار ،
لأنه الوقت الذي يغلب على المرء التشاغل باللذات فيه ، وقوله
" وهم يلعبون " يحتمل التشاغل بأمر الدنيا ، فهي لهم **لعيب** .
ويحتمل خوضهم في كفرهم ، لأن ذلك كاللعيب في أنه لا يضر ولا ينفع
وبين الله تعالى أنه لا يأمن من نزول عذاب الله على هذا الوجه
" الا القوم الخاسرون " وهم الذين لغفلتهم وجهلهم لا يعرفون ربهم ،
فلا يخافونه ، ومن هذه سبيله ، فهو أخطر الخاسرين في الدنيا
والآخرة ، لأنه أوقع نفسه في الدنيا في الضر ، وفي الآخرة في أشد
العذاب (١)

وكثير من الآيات يأتي فيها الترغيب والترهيب بحسب ما تقتضيه

الحكمة الالهية في مخاطبة الناس .

اذن عندما يخاطب رب العزة الناس فهو يخاطب طبائعهم

المختلفة كل بحسب فهمه وما يدركه عقله فتارة بالتخويف وتارة بالترغيب

بحسب ما يلائم كل قوم منهم .

(١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٨٦ .

الفصل الثاني

تسليم الرسول صلى الله عليه وسلم

تمهيد :

الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل يعيشون في وسط ظروف متغيرة ، يتعرضون لمضايقات ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسليه ربه ويواسيه ويأمره بالألأ يحزن ويأسى طى هو هلا القوم وطميه أن يصبر كما صبر من قبله من الرسل الكرام .

وفى هذا الفصل سأتكم عن ثلاث نقاط رئيسية هي :

أ - حاجة النبي صلى الله عليه وسلم الى المساندة والتسلية فى مكة .

ب - لماذا كان تكرر التسلية !

ج - دور القصة فى مساندة الرسول وتسليته .

أ - حاجة النهي صلى الله عليه وسلم الى المساندة والتسليية في مكة :

خلال ذلك الجو المظلم في مكة ، نرى الله سبحانه
وتعالى يساند نبيه ويسليه بحكمته ورحمته خاصة والرسول طيبه
الصلاة والسلام أحوج ما يكون في ذلك الوقت الى المواسة والتفريج
عن نفسه ، فيقول الله تعالى مسلما :

" ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا " (١)

أكد الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بصيغة القسم أن
الرسول الذين أرسلوا قبله قد كذبتهم أقوامهم فصبروا على تكذيبهم
وايذا بهم لهم الى أن نصرهم الله تعالى طيبهم (٢) ، أي فان
كذبت فلك أسوة لمن قبلك طست بدعا من الرسل ، وقد صح بالشرطية
في آيات أخرى كقوله تعالى :

" وان يكذبوك فقد كذبت قبلكم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم

وقوم لوط " (٣)

" وأصحاب مدين وكذب موسى فأطيت للكافرين ثم كان عقاب " (٤)

وقوله تعالى : " وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك " (٥)

" فان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم " (٦)

(١) سورة الأنعام آية (٣٤) .

(٢) تشبيير الضار ج ٧ ص ٣٧٧ .

(٣) سورة الحج آية (٤٢ - ٤٣) .

(٤) سورة الحج آية (٤٤) .

(٥) سورة فاطر آية (٤) .

(٦) سورة فاطر آية (٢٥) .

(والآية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم بعد تسلية ،
وارشاد له الى سنته تعالى في الرسل والأمم أوهو تذكير بهذه
السنة ، وما تتضمنه من حسن الأسوة ، ان لم تكن هذه الآية أول ما
نزل في هذا المعنى) (١) ، وقد صرح بهذا الصبر عليه تأسيساً
في قوله " فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل " (٢)
وكما في قوله " واصبر طي ما يقطون واهجرهم هجرا جميلا " (٣)
) ولقد ثبت بالتجربة أن التأسي بهمون المصاب ويفيد شيئاً
من السلوة ، قالت الخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولي

على اخوانهم لقتلت نفسي

وما يكون مثل أخى ولكن

أعزى النفس عنه بالتأسي

بـ - لماذا كان تكرر التسلية :

ولولا أن مقتضى الطبع البشري التأثر بالتأسي لما ظهرت حكمة
تكرار التسلية ، فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلو القرآن في
الصلاة ولا سيما صلاة الليل فربما يقرأ السورة ولا يعود اليها الا

(١) تفسير المنار ج ٧ ص ٣٧٧ .

(٢) سورة الأحقاف آية (٣٥) .

(٣) سورة المزمل آية (١٠) .

بعد أيام يفرغ فيها من قراءة ما أنزل من سائر السور ، فاحتيج الى تكرار تسليته وأمره بالصبر المرة بعد المرة لأن العزن والأسف اللذين كانا يمرضان له صلى الله عليه وسلم من شأنهما أن يتكررا بتكسر سببهما وتذكره حتى عند تلاوة الآيات الواردة في بيان حال الكفار ومحاجتهم واندازهم (١)

ج - دور القصة في تسليّة الرسول صلى الله عليه وسلم :

وجاءت التسليّة والتشريّة عن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة تلو الأخرى من خلال قص القصص طيبه ومواساتيه وتصبيره طوى ما قام به المشركون نحوه من إيذاء وتهم فاتهم منوه تارة بالكذب وتارة بالسحر وتارة بالجنون وتارة أخرى أنه شاعر

ومرة أخرى أنه فقير . أنظر مجمل هذه الآيات الكريمة :

قوله : " وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر أنك لمجنون " (٢)

قوله : " ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون " . . .

وقوله : " أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ، ثم ثولوا منه

وقالوا معلم مجنون " (٤)

وقوله : " فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون " (٥)

(١) تفسير المنار ج ٧ ص ٣٧٧ وانظر التفسير الكبير ج ١٢ ص ١٦٣

(٢) سورة الحجر آية (٦) .

(٣) سورة الصفات آية (٣٦) .

(٤) سورة الدخان آية (١٣ - ١٤) .

(٥) سورة الطور آية (٢٤) .

وقوله : " وقالوا مال ههنا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق
لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى اليه كسز
أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعمون الا رجلا
مسحورا " (١)

فلما وصف المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنون أنزل
الله تعالى ما ينفي ذلك الكلام وذلك الوصف عنه صلى الله
عليه وسلم وقال تعالى :

" ما أنت بنعمة ربك لجنون ، وان لك لأجر غير ممنون ، وانك
لعلى خلق عظيم " (٢)

فقوله تعالى " بنعمة ربك " يدل على أن نعم الله تعالى
كانت ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة
المرضية ، والبرائة من كل عيب ، والاتصاف بكل مكرمة ، واذاته كانت
هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينافي حصول الجنون ،
فالله تعالى نبه على هذه الدقيقة لتكون جارية مجرى الدلالة
اليقينية على كونهم كاذبين في قولهم له : انه مجنون (٣)

- كذلك ما تراه في اتهامهم له بالسحر والكذب مما فهذا دائما
موقف الكافر اختلاق الأباطيل والتمهم للرسول عليهم السلام .

-
- (١) سورة النور آية (٧ - ٨)
 - (٢) سورة القلم آية (٢ - ٤)
 - (٣) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٨٠

أنظر قوله تعالى " وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب " (١)

فقوله : " وعجبوا أن جاءهم منذر منهم " حكاية لأباطيلهم المتفرقة طو ما عكس من استكبارهم وشقاقهم أي : عجبوا من أن جاءهم رسول من جنسهم أي : بشرا ومن نوعهم وهم معروفون بالأمية فيكون المعنى رسول أمي والمراد أنهم عدوا ذلك أمرا عجيبا خارجا عن احتمال الوثوق وأنكروه أشد الانكار لا أنهم اعتقدوا وقوعه . وتمجيبوا منه (٢)

وقوله : " قال الكافرون هذا ساحر كذاب " - قال الكافرون - هو اظهار للتمجب ودلالة طو أن هذا القول لا يصدر الا عن الكفر التام ، فان الساحر هو الذي يمنع من طاعة الله ويدعو الى طاعة الشرك وهو عندكم بالعكس من ذلك ، والكذاب : هو الذي يخبر عن الشيء لا طو ما هو عليه وهو يخبر عن وجود الصانع القوييم الحكيم العليم وعن الحشر والنشر وسائر الأشياء التي تثبت بدلائل المقول صحتها فكيف يكون كذابا (٣)

وهو تعالى طو نبيه هذا الحزن العظيم . الذي أصابه من تكذيبهم له حيث قال تعالى " ولقد كذبت زسل من قبلك فصبروا

(١) سورة (ص) آية (٤) .

(٢) روى المعاني المجلد الثامن ج ٢٣ ص ١٦٦ .

(٣) التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١٧٧ .

على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ،
ولقد جاءك من نبي المرسلين " (١)

(فذكر الله تعالى لازالة الحزن عن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بأن بين أن سائر الأمم عطلوا أنبياءهم يمثل هذه المعاملة ، وأن أولئك الأنبياء صبروا على تكذيبهم وإيذائهم حتى أتاهم النصر والفتح والظفر فأنت أولى بالتزام هذه الطريقة لأنك ميموث الى جميع العالمين ، فأصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا) (٢)
ثم أكد وقوى تعالى هذا الوعد بقوله : " ولا مبدل لكلمات الله " يعنى أن وعد الله اياك بالنصر حق وصدق ، ولا يمكن تطويق الخلف والتبديل اليه ، ونظيره قوله تعالى : " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين " (٣)

وقوله تعالى : " كتب الله لأظنين أنا ورسلى " (٤)

والجملته فالخلف فى كلام الله محال . (٥)

وقوله : " ولقد جاءك من نبي المرسلين " أى أن خبرهم فى القرآن كيف أنجيناهم ودمرنا قومهم وجعلنا عاقبتهم وخيمة ونهايتهم مظلمة .

(١) سورة الأنعام آية (٣٤) .

(٢) التفسير الكبير ج ١٢ ص ٢٠٦ الطبعة الثانية .

(٣) سورة الصافات آية ر (١٧١) .

(٤) سورة المجادلة آية (٢١) .

(٥) التفسير الكبير ج ١٢ ص ٢٠٦ ، ج ٩ ص ١٠٣ .

وكذلك ما نراه في قوله تعالى : " فان كذبت رسلك
من قبلك " (١)

(المقصود من هذا الكلام تسليية الرسول صلى الله عليه وسلم
حيث ان هذا التكذيب ليس أمراً مختصاً به من بين سائر الأنبياء ،
بل شأن جميع الكفار تكذيب جميع الأنبياء والطعن فيهم ، مع أن
عالمهم في ظهور المعجزات عليهم وفي نزول الكتاب اليهم كحالكم ،
ومع هذا فانهم صبروا على ما نالهم من أولئك الأمم واحتلموا ايذاهم
في جنب تأدية الرسالة ، فكان متأسياً بهم سالكا مثل طريقهم
في هذا المعنى ، وانما صار ذلك تسليية لأن المصيبة اذا عصبت
طابت وعفت) (٢)

ومعنى قوله : " ولقد جاءكم من نبي المرسلين "

(هذا تقرير وتأكيدي لما قبله : أي جاءكم ما ذكره أو ذلك
الذي أشير اليه - من خبر التكذيب والصبر والنصر ، من نبي
المرسلين الذي قصصنا عليه من قبل ، والنبي الخبر أو ذو الشأن
من الأخبار لا كل الأخبار ، وقد روي أن الأنعام نزلت بعد الضمراء -
والنمل - والقصص - وهود - والحجر - المشتمة على نبي المرسلين
بالتفصيل) (٣)

-
- (١) سورة آل عمران آية (٨٤)
 - (٢) التفسير الكبير ج ٩ ص ١٢٤
 - (٣) تفسير المنار ج ٧ ص ٣٧٩

وتراهم يتهمونه بالفقر وعدم الفنى وأنه يأكل الطعام ويمشى

فى الأسواق كما مر بنا فى قوله تعالى :

" وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ،

لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى اليه كنز أو تكفون

له الجنة يأكل منها وقال الظالمون ان تثبتون الا رجلا مسعورا " (١)

ونرد على هذه الشبه المجطة هنا فى هذه الآية بقوله سبحانه

وتعالى " قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بى ولا بكم

ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير صريح " (٢)

ففى هذه الآية عدة وجوه :

الوجه الأول : " ما كنت بدعا من الرسل " أى ما كنت أولهم فلا ينبغى

أن تنكروا اخبارى بأنى رسول الله اليكم ، ولا

تنكروا دعائى لكم الى التوحيد ، ونهى عن عبادة

الأصنام ، فان كل الرسل انما بعثوا بهـذا

الطريق .

الوجه الثانى : أنهم طلبوا منه معجزات عظيمة ، وأخبار عن هذه

الغيوب ليس فى وسع البشر ، وأنا من جنس الرسل ،

واحد منهم لم يقدر على ما تريدون منه فكيف

أقدر عليه ؟ (٣)

(١) سورة الفرقان آية (٧ - ٨) .

(٢) سورة الأحقاف آية (٩) .

(٣) التفسير الكبير ج ٢٨ ص ٧ .

الوجه الثالث : أنهم كانوا يعيونه أنه يأكل الطعام ويمشي فسي
الأسواق وأن أتباعه فقراء فقال : " قل ما كنت بدعا
من الرسل " وكلهم كانوا على هذه الصفة وهذه
المثابة فهذه الأشياء لا تقدر في نبوتكم كما لا تقدر
(١)
في نبوتهم)

ونراهم يتهمونه في قوله تعالى : " بل قالوا أضفان أحلام
بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون " (٢)
ففي قوله : " بل قالوا أضفان أحلام " أي لم يقتضوا على القول في
حقه صلى الله عليه وسلم نهل هذا إلا بشر مثلكم وفي حق ما ظهر
على يده من القرآن الكريم أنه سحر بل قالوا هو - أي القرآن - تخاليف
الأحلام ثم أضربوا عنه فقالوا : " بل افتراه " من تلقاء نفسه ممن
غير أن يكون له أصل أو شبهة أصل ثم أضربوا فقالوا : " بل هو
شاعر " وما أوتي به شعر يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها ،
وهذا الاضطراب شأن المبطل المحجوج فإنه لا يزال يتردد بين باطل
وأبطل ويتذبذب بين فاسد وأفسد . (٣)

" فليأتنا بآية كما أرسل الأولون " فالمراد أنهم طلبوا آية جلية لا يتطرق
اليها شيء من هذه الاحتمالات كآيات المنقولة عن موسى وهيسى

(١) التفسير الكبير ج ٢٨ ص ٧ .

(٢) سورة الأنبياء آية (٥) .

(٣) روح المعاني المجلد السادس ج ١٧ .

(١) طيها السلام

وهكذا نراهم قد اتهموا الرسول طيه الصلاة والسلام بتهم
لا عد لها ولا حصر ولكن الله دائما ناصره يواسيه ويؤازره ويطلب
اليه الصبر على آذاهم فانه سوف يلصرح طيهم لذا كان معصيه
دائما .

(١) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ١٤٣ .

الفصل الثالث

بيان ترابط الدعوات الإلهية

الفصل الثالث

بيان ترابط الدعوات الالهية

وهو يشمل ما يلي :-

- أ - المراد بالدعوات الالهية .
- ب - اشتراك الدعوات الالهية في الأصول :
- التوحيد - الرسالة - العباداة -
- اليوم الآخر - الملائكة - الكتب .

بيان ترابط الدعوات الالهية :

نعلم أن رسالة الله تعالى الى البشر عن طريق أنبيائه ،
قديمة ، قدم البشر أنفسهم وأن دعوتهم الى الله عز وجل قديمة
أيضا فحينما نتبع قصص القرآن وما ورد فيه عن الأنبياء والمرسلين
وأخبارهم وما حدث بينهم وبين أقوامهم ، يتضح لنا أنهم جميعا
قد اتفقوا على أصول واحدة سأوضحها فيما يلي :-

اشتركة الدعوات الالهية في الأصول :

الدعوات الالهية جميعها تتفق في الأصول وان اختلفت

في بعض الفروع .

والأصول هي :-

الدعوة الى التوحيد :

وقبل أن نعرف دعوة الرسل والانبياء جميعهم الى التوحيد

لا بد أن نلق نظرة على معنى التوحيد .

فالوحدة : معناها الانفراد والواحد في الحقيقة هو الشيء

الذي لا جزء له البتة وإذا وصف الله تعالى بالواحد ، فمعناه هو

الذي لا يصح عليه التجزؤ ولا التكدر . (١)

(١) المفردات للأصفهاني في ص ١٤٥ وما بعدها .

والأحد المفرد مطلقا لا يوصف به غير الله تعالى . (١)

فالله سبحانه وتعالى قد أرسل رسله بدين الحق لهداية
الناس وكان ذلك أمرا مسلما به لدى كل عاقل واع عصيف .

فلقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل الى أقوامهم لكي يبلغسوا
رسالات ربهم فنرى قوله تعالى :

" ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره أفلا تتقون ، فقال المأذون كفروا من قومه ما هذا الا
بشر مثلكم يريد أن يتفضل بكم ولو شاء الله لآتزل ملائكة ، مسا
سمعتنا بهذا في آبائنا الأولين " (٢)

- نجد أن كل شريعة قامت فقد قامت على التوحيد كما فسق
قوله : " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا
أنا فأعبدون " (٣)

وكل نبي أرسل الى قومه انما دعا الى التوحيد ، ودعوة الانبياء
عليهم السلام حق وهي في مجموعها واحدة ، وفي اتجاهاتها من
حيث هي الدعوة الى الله والى دين الله تعالى فتراها تشترك في
هذه الدعوة الواحدة .

وهكذا تشترك كل الرسالات في التوحيد الخالص لأنها دعت الى
العبادة .

(١) نفس المصدر السابق ص ٥١٥ .

(٢) سورة المؤمنون آية (٢٣ - ٢٤) .

(٣) سورة الانبياء آية (٢٥) .

اشتراكهم في اثبات الرسالة :

تشترك الدعوات الالهية في الأصول ومنها - اثبات الرسالة -

بمعنى دعوة الناس الى تصديق الرسل السابقين والتمهيد للرسول
اللاحق ، فالله يسبحانه وتعالى قد أرسل لكل أمة رسولا بلسان
قومه حتى يستطيع تبليغ رسالة ربه اليهم ، يقول تعالى :

" ولكل أمة رسول " (١)

ويقول تعالى " وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليعين لهم " (٢)

ومهمة الرسل هي أنهم مبشرون ومنذرون لقومهم يقول تعالى

" رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد

الرسل " (٣)

ويقول تعالى " ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم

فجاءهم بالبينات " (٤)

فكل رسول أرسل الى قومه مبشرا ونذيرا فنرى نوح عليه السلام

" ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين " (٥) ، (٦)

(١) سورة يونس آية (٤٧) .

(٢) سورة ابراهيم آية (٤) .

(٣) سورة النساء آية (١٦٥) .

(٤) سورة الروم آية (٤٧) .

(٥) سورة هود آية (٩٦) .

(٦) (سيأتي توضيح الفرق بين النبي والرسول في مكانه ان شاء

- وموسى أيضا " ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين " (١)
- وقوله تعالى " واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا " (٢)
- وصالح عليه السلام " ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا " (٣)
- وابراهيم عليه السلام أرسل الى قومه لدعوتهم لعبادة الله وحده " ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم " (٤)
- ورسلنا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى " وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا " (٥)
- وطاعة الرسول من طاعة الله عز وجل فيقول تعالى :
- " ومن يطع الرسول فقد أطاع الله " (٦)
- ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم هى غاتمة الرسالات ومصدقة لها جميعا .

-
- (١) سورة هود آية (١٦)
 - (٢) سورة مريم آية (٥١)
 - (٣) سورة النمل آية (٤٥)
 - (٤) سورة الحديد آية (٢٦)
 - (٥) سورة النساء آية (٧٩)
 - (٦) سورة النساء آية (٨٠)

اشتراكهم في الدعوة للعبادة :

فلنا ان جميع الدعوات الالهية تشترك في الأصول ولو كان
منالاً، بعض الاختلاف في بعض الفروع .
فترى أن من ضمن اشتراك الدعوات الالهية في الأصول اشتراكها
في أصل العبادة .

فترى العبادة في أشكالها المختلفة كانت في الأديان التسع
سبقت الاسلام من ذلك ، كما في قوله تعالى :

" وأوحينا الى موسى وأخيه ، أن تبوءا لقومكما بيوتا ، واجملوا
بيوتكم قبله وأقيموا الصلاة ، وشر المؤمنین " (١)

وابراهيم نراه يدعو ربه أينما " رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن
ذريتى " (٢)

وعيسى عليه السلام ان يقول : " انى عبد الله آتانى الكتاب
وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة
مادمت حيا " (٣)

وصالح عليه السلام ان يقول : " والى ثمود أخاضم صالحا
قال سياتوم احدوا الله مالكم من اله غيره " (٤)

-
- (١) سورة يونس آية (٨٧)
 - (٢) سورة ابراهيم آية (٤٠)
 - (٣) سورة مريم آية (٣٠ - ٣٢)
 - (٤) سورة هود آية (٦١)

ونوح عليه السلام " لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره " (١)

ف نجد أن كل شريعة قامت سابقا فقد قامت على عبادة الله
تعالى وعنده لا شريك له فيقول تعالى " وما أرسلنا من قبلك من
رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون " (٢)
ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين .

يقول تعالى " قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ،
ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون
ما أعبد " (٣)

فعبادة الله تعالى وعنده هو أصل مشترك بين جميع الدنويات
الالهية كما تبين لنا الآيات .

وفي قوله تعالى " ألا تعبدوا الا الله انى لكم منه نذير وبشير " (٤)
(أنه تعالى أمر بأن لا يعبدوا الا الله ، واذا قلنا : الاستثناء
من النفي اثبات ، كان معنى هذا الكلام النهى عن عبادة غير
الله تعالى ، والأمر بعبادة الله تعالى ، وذلك هو الحق ، لأننا
بيننا أن ما سوى الله فهو محدث مخلوق مريب ، وانما حصل بتكوين

-
- (١) سورة الأعراف آية (٥٦)
 - (٢) سورة الكافرون آية (١-٥)
 - (٣) سورة الكافرون آية (٢-٥)
 - (٤) سورة هود آية (٢)

الله وإيجاده ، والعبادة عبارة عن اظهار الخضوع والخشوع ونهاية التواضع والتذلل وهذا لا يليق الا بالخالق المدبر الرحيم المحسن ، فثبت أن عبادة غير الله تعالى منكراً ، والاعراض عن عبادة الله منكر .

وأطم أن عبادة الله مشروطة بتعصيل معرفة الله تعالى قبل العبادة ، لأن من لا يعرف معبوده لا ينتفع بعبادته فكان الأمر بعبادة الله أمراً بتعصيل المعرفة أولاً ، ونظيره قوله تعالى في أول سورة البقرة : " يا أيها الناس أهدوا ربكم " ثم أتبعه بالدلائل الدالة على وجود الصانع وهو قوله : " الذي خلقكم والذين من قبلكم " وإنما حسن ذلك لأن الأمر بالعبادة يتضمن الأمر بتعصيل المعرفة فلا جرم ذكر ما يدل على تعصيل المعرفة " (١)

فعبادة الله تعالى هي أصل مشترك بين جميع الدعوات الالهية لأنها في حقيقتها اقرار بوحدانية الله تعالى .

(١) التفسير الكبير للرازي ج ١٧ ص ١٨٠ وما بعدها .

اشتراكهم في الايمان باليوم الآخر :

(١) الآخر يقابل به الأول ، وآخر يقابل به الواحد

فاليوم الأول يعبر به عن النشأة الأولى للإنسان .

واليوم الآخر هو أصل من الأصول التي تشترك فيها جميع الدعوات
الالهية فنرى نوح عليه السلام يندرج قومه من عذاب اليوم الآخر
فيقول لهم : " يا قوم اهدوا الله مالكم من اله غيره انى أخاف
طيكم عذاب يوم عظيم " (٢)

ويقول في سورة هود : " انى لكم نذير مبين أن لاتعبدوا الا الله
انى أخاف طيكم عذاب يوم أليم " (٣)

ونبى الله شعيب عليه السلام ان يحذر قومه عذاب ذلك اليوم
فيقول : " والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اهدوا الله مالكم
من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف
طيكم عذاب يوم محيط " (٤)

ونبى الله صالح ان يهبط قومه وينصحهم من عذاب ذلك اليوم
فيقول لهم : " ولا تمسوها بسوء فإناخذكم عذاب يوم عظيم " (٥)

-
- (١) المفردات للأصفهاني ص ١٣
 - (٢) سورة الأعراف آية (٥٩)
 - (٣) سورة هود آية (٢٦)
 - (٤) سورة هود آية (٨٤)
 - (٥) سورة الشعراء آية (١٥٦)

فيوم القيامة وهو اليوم الآخر هو يوم يجمع الله جميع الخلائق
للعساب ، قال تعالى : " الله لا اله الا هو ليجمعكم الي يوم
القيامة لا ريب فيه " (١)

فكما نلاحظ أن الآيات كثيرة وردت في التحدث عن اليوم
الآخر وهو يوم يجمع الله سبحانه وتعالى الخلائق ليكون حسابهم
ان غيرا فخير وان شرا فشر ، فنرى أن جميع الدعوات أيضا
تتشارك في ذلك الأصل من أصول الشرائع الالهية .

(١) سورة الأنعام آية (١٢) .

اشترائهم في الايمان بالملائكة :

(١) (الطك هو التصرف بالأمر والنهي)

الملائكة أيضا أصل من الأصول التي تشترك فيها الشرائع ففهم رسل الله تعالى التي عباده المصطفين من خلقه ، فترى مثال ذلك في سورة هود قالوا يا هود انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأك انه مصيبها ما أصابكم ان موعدهم الصبح ألين الصبح يقرب . (٢)

فالله سبحانه وتعالى يخبر عن لوط طيه السلام أنه قال :
" لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد " (٣)

(يدل على أنه كان في غاية القلق والحزن بسبب اقدام أولئك الأوثان على ما يوجب الفضيحة في حق أضيافه ، فلما رأت الملائكة تلك الحالة بشروه بأنواع من البشارات ، أحدها : أنهم رسل الله .

وثانيها : أن الكفار لا يصلون إلى ما هموا به .

وثالثها : أنه تعالى يعذبكم .

ورابعها : أنه تعالى ينجي مع أهله من ذلك العذاب .

(٢) المفردات للأصفهاني ص ٤٧٢

(١) سورة هود آية (٨١) .

(٣) سورة هود آية (٨٠) .

وخاصتها : ان ركنك شديد وأن ناصرك هو الله تعالى فحصل
له هذه البشارات (١)

(وروى أن جبريل طيه السلام قال له : ان قومك لن يصلوا
اليك فافتح الباب فدخلوا فضرب جبريل طيه السلام بجناحيه فطمس
أعينهم فأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم ،
وذلك قوله تعالى " ولقد راوده عن ضيفه فطمسنا أعينهم " ومعنى
قوله " لن يصلوا اليك " أى بسوء ومكروه فانا نحول بينهم وبين ذلك (٢)
وترى فى قوله تعالى : " وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث
لكم طالوت ملكا " (٣)

وأرسل ملك الى مريم فقى قوله تعالى : " وان قالت الملائكة
يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك " (٤)
وقوله تعالى " ان قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه " (٥)
فالله سبحانه وتعالى يرسل الملائكة على من يشاء من عباده ،
وينزلهم بالحق اليهم .

(لها أنزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين) (٦)
والله سبحانه وتعالى يجعل الملك رسولا الى الناس .
" الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس " (٧)

فهذا الاصل من الاصول التى تتحد فيها كل الشرائع ألا وهو
الايان بالملائكة .

-
- (١) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ١٨ ص ٣٥ .
 - (٢) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ١٨ ص ٣٥ .
 - (٣) سورة البقرة آية (٢٤٧) . (٤) سورة آل عمران آية (٤٤) .
 - (٥) سورة آل عمران آية (٤٥) . (٦) سورة الحجر آية (١٥) .
 - (٧) سورة الحج آية (٧٥) .

اشتراكهم في اثبات الكتب :

تتفق الدعوات السماوية بأن كل دعوة أتت متممة ومكملة لما قبلها ومصدقة لها ، ونرى الدعوة الاسلامية هي تمام هذا البناء والتماسك لذا نرى الترابط والتضافر بين الدعوات السماوية ، ولقد أشارت كتب أهل الكتاب الى هذا التضافر والتماسك فقد جاء طي لسان عيسى قوله تعالى :

" وان قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين " (١)

فترى عيسى عليه السلام يصدق ما قبله ويتممه ولقد بشر برسول مسن بعده اسمه أحمد " (٢)

وكما ذكرنا أن الكتاب هو لسان كل دعوة فلا نرى بينها تعارض ولا تناقض بل نرى اتحادي وتماسك وأن كل دعوة جاءت مكملة لما قبلها فعن التوراة يقول تعالى :

" انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور " (٣)

أى نحن أنزلنا التوراة على موسى مشتطة على هدى في العقائد والاحكام خرج به بنو اسرائيل من وثنية المصريين وضلالهم ، وظن نور أبصروا

(١) سورة الصف آية (٣) .

(٢) أحمد افعل تفضل من الحميد أى أن له عمدا كثيرا كما يفيد

سماء وهو مفهوم لفظ " فارطيط " المبشر به في الانجيل - أنظر

قصص الأنبياء ص ٣٩٨ .

(٣) سورة المائدة آية (٤٧) .

به طريق الاستقلال في أمر دينهم ودنياهم (١)

وهن الانجيل يقول تعالى :

” وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ” (٢)

فرى الانجيل هو تصديق للتوراة مشتملا على الهدى والنور .

كذلك القرآن يقول تعالى عنه :

” وأنزلنا اليه الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه ” (٣)

(وكان القرآن مهيئا على الكتب لأنه الكتاب الذى لا يصير منسوخا البتة ، ولا يتطرق اليه التبديل والتعريف على ما قاله تعالى ” انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ”

وانا كان كذلك ، كانت شهادة القرآن على أن التوراة والانجيل والزبور حق صدق باقية أبدا ، فكانت حقيقة هذه الكتب معلومة أبدا ” (٤)

فالقرآن لا يكذب كتابا سبقه وانما يصدق جميع الكتب ويهيئها عليها لأنه يرقبها ويشهد لها بالصحة والثبات ، ويبطل الزيـف والتعريف الذى يدخل عليها ، فهو بذلك حافظ عليها جميعا ومهيمن عليها جميعا وهذه هي ميزة القرآن الكريم وحده دون سائر الكتب .

(١) تفسير المنار ج ٦ ص ٣٩٧ ، التوراة مؤنثة اللفظ ومعناها

الشريعة ، أنظر تفسير المنار ص ٣٩٨ .

(٢) سورة المائدة آية (٥٠) .

(٣) سورة المائدة آية (٤٨) .

(٤) التفسير الكبير ج ١٢ ص ١١ .




الباب السادس
بدر

موضوعات

القصص

القرآنية



مقدمة الباب :

لقد تضمن القصص القرآني الكبير من الموضوعات التي
لها علاقة وثيقة بالانسان في الدنيا والاخرة لذا كان لزاما علينا
أن نفرّد بابا خاصا لنتكلم فيه عن هذه الموضوعات الهامة التي نرى
أنها مهمة بالنسبة للبحث ويجب أن نقولها ونتكلم فيها بحيث لا تكون
طويلة مطلة ولا قصيرة مخلة .

يشتمل الباب على عدة فصول وذلك فيما يلي :

الفصل الأول

القصة والعقيدة

الفصل الأول

القصة والعقيدة

تمهيد :

الدارس للقصص القرآني يدرك الدور العظيم الذي قامت به القصة في تربية العقيدة وتنميتها ، فالعقيدة كما نعلم هي مصدر الأمن والطمأنينة للبشر . بأن أكثر القصص القرآني يهدف الى تأصيل عقيدة التوحيد ويهدف الى التصديق بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالات الرسل قبله .

ومكانة العقيدة في القصص القرآني كبيرة وعظيمة ، يدلل أن أغلب القصص القرآني كان يحاول دائما تثبيت العقيدة في قلوب الناس والعمل على إقلامهم عن عبادة الأصنام . وتوحيد الله وافراده بالعبادة .

لذا سوف نتكلم في هذا الفصل عن النقاط التالية :-

- مفهوم العقيدة - أركان العقيدة .

أولا : الايمان بالله :

- بيان أن أساس العقيدة التوحيد .

- مفهوم التوحيد - أنواع التوحيد عند علماء السلف .

- توحيد الربوبية وتعريفه ، - توحيد الأسماء والصفات -

وتعريفه .

- توحيد الطلب والتصد وتعريفه .
- ثم بيان أن القصة القرآنية دلت على التوحيد وأثبتته .
- ثانيا : الايمان بالرسول .
- ثالثا : الايمان بالكتب .
- رابعا : الايمان بالملائكة ثم الايمان بوجود الجن .
- خامسا : الايمان باليوم الآخر ومواقفه : البعث - الحشر - الحساب -
الصراط - المحوض .
- سادسا : الايمان بالقدر .
- ثم دور القصة القرآنية في اثبات اليوم الآخر .

مفهوم العقيدة :

(١) العقيدة فى اللغة : الجمع الموءكد

جاء فى المفردات (العقد الجمع بين أطراف الشئ ،
ويستعمل ذلك فى الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء ثم
يستمر ذلك للمعانى نحو عقد البيع والعهد وغيرها فيقال
عاقده وعقدته وتعاقدا وعقدت يمينه . (٢)

قال تعالى : " لا يؤءخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤءخذكم
بما عقدتم الأيمان " (٣)

وهى فى الاصطلاح : كما يقول الشيخ محمود شلتوت :

(العقيدة هى الجانب النظرى الذى يطلب الايمان به أولا وقيل
كل شئ ء ايمانا لا يرتقى اليه شك ، ولا تؤءثر فيه شبهة ومن
طبيعتها : تضافر النصوص الواضحة على تقريرها ، واجماع المسلمين
عليها من يوم أن ابتدأت الدعوة مع ما حدث بينهم من اختلاف بعد
ذلك فيما وراءها ، وهى أول ما دعا اليه الرسول وطلب من الناس

-
- (١) المعجم الوسيط ج ٢ قام باءخراجه : ابراهيم مصطفى ،
وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد على النجار ،
وأشرف على طبعه : عبد السلام هارون - مجمع اللغة
العربية - مطبعة مصر ١٩٦١ م ص ٦٢٠ .
(٢) الأصفهانى ص ٣٤١ مادة (عقد) .
(٣) سورة المائدة آية (٨٩) .

الايمان به في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة ، وهي دعوة كل رسول جاء من قبل الله (١) كما دل على ذلك القصص القرآنى في حديثه عن الأنبياء والمرسلين .

يقول بعض كتاب العقيدة : (علم أصول الدين أشرف العلوم ، وهو الفقه الأكبر بالنسبة الى فقه الفروع) (٢)

وإذا كان ذلك هو معنى العقيدة ، وهذه هي أسماؤها عند مؤرخى الفكر العقدى ، فهل عرفت العقيدة في القسرآن بهذا الاسم أيضا ؟

في الحقيقة أن علماء المسلمين في القديم وفي الحديث سمووا هذا العلم بالعقائد ، ولكن كلمة عقيدة لم ترد في كتاب الله وهي في التصبير القرآنى بمعنى الايمان ، وأساس هذه العقيدة هو الايمان المطلق بوجود الله تعالى وهو أساس الدين كله ، والايمان الحق بالله يجعل الانسان مؤمنا بكل ما جاء عن الله وبكل ما أخبر به وكل ما وجه اليه من أمر ونهى ، ونرى القصص القرآنى فيه الكثير من الأدلة التى تعرف الناس بحالهم وتقودهم اليه ، ففي قصة نوح نراه يلفت أنظارهم الى حالهم قائلاً لهم :

(١) الاسلام عقيدة وشريعة ص ٢٢ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٦٥ .

" ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ، والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم لإخراجا ، والله جعل لكم الأرض بساطا ، لتسلكوا منها سبيلا فجاجا " (١)

وهي أدلة رقيقة توظف الفكر الانساني ليبصر ما حوله من مخلوقات الله ويتدبر معالمه ، وهو بهذه الدلائل كلها ودلائله التدبر والتفكر سوف يؤمن بوجود الله تعالى .

والأدلة الكونية كثيرة نحسها ونلمسها في حياتنا كلها وهي دالة على وجود الله سبحانه وتعالى .

(١) سورة نوح آية (١٥ - ٢٠) .

أركان العقيدة :

أولا : الايمان بالله :

الايمان في اللفظة : التصديق .
وفي الشرع : هو اعتقاد ، وقول ، وعمل :
اعتقاد القلب ، وقول اللسان ، وأعمال
الجوارح . (١)

ومعنى الايمان بالله : هو أن تؤمن بوجوده تعالى ، وأنه
متصف بكل كمال ، ومنزه عن كل نقص ، وأنه مستحق
للعبادة ، وأنه واحد لا شريك له ، لا في ذاته ولا في
صفاته ولا في أفعاله . ولا في عبادته . (٢)

(١) المنحة الالهية في شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ٧

(٢) نفس المصدر السابق ص ٧ .

التوحيد : _____ جزء من الايمان بالله تعالى ، ويجب أن تكون

متصلين به :

(والتوحيد : علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفات ، وما يجوز أن يوصف به ، وما يجب أن يكون عليه ، وما يجب أن ينسب اليه ، وما يمتنع أن يلحق به) (١)

والتوحيد الذي جاء به المرسلون وبينه رسولهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ونطق به القرآن الكريم هو أنه تعالى (واحد في ذاته واحد في صفاته ، ولا خالق سواه ولا يستحق العبادة الا هو ، والكلمة الطيبة " لا اله الا الله " تتضمن أقسام التوحيد كلها) (٢)

اذن أصل معنى التوحيد : هو أن تعتقد بأن الله واحد لا شريك له ولقد سمي بذلك الاسم اثباتا لوحدية الله تعالى في الذات والفعل وفي خلق الأكوان كلها ، وأنه

أنواع التوحيد عند علماء السلف :

النوع الأول :

_____ توحيد الربوبية : (وهو ما يسمى توحيد _____

المعرفة والاثبات) .

(وهو الاقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكة وخالقه ورازقه ، وأنه المحي المميت النافع الضار المضرر باجابة الدعاء عند الاضطرار ، الذي له الأمر كله ، وببده الخير كله ، القادر على كل ما يشاء ، ليس له في ذلك شريك ، ويدخل في ذلك الايمان بالقدر ، وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الاسلام بل لابد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الالهية (١)

(فهما متلازمان عرفا وشرعا ، والقول بأحد هما قول بالآخر ، والاشراك في أحد هما اشراك في الآخر ، فمن اعتقد أنه لا رب ولا خالق الا الله ، لم ير مستحقا للعبادة الا هو ، ومن أشرك مع الله غيره في العبادة كان لا محالة قائلا بربوبية هذا الغير ، هذا مالا يعرف في الناس سواه ، فأن مالا تعتقد له ربوبية استحالة أن يتخذ معبودا ، ولهذا تجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن أرسلهم جل جلاله يكتفون في الدعوة الى التوحيد بأحد هما

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ١٧ .

ويضعون كلا منهما موضع الآخر ، اكتفاءً بشدة التلازم بينهما ففى العقول ، وأن القول بتوحيد الربوبية هو اقرار بتوحيد الألوهية وبالعكس (١)

ولندلل على ذلك نقول : (ماذا قال نبي الله نوح لقومه الوثنيين ؟ فقلت استغفروا ربكم ، وأقام لهم البرهان على توحيد الربوبية ، لماذا تقررفى عقول الكافرين أنها لا تعبد غير الله إلا اذا أشركت هذا الغير فى الربوبية فاذا انمحي عنها هذا الاشرارك تبعه التوحيد فى العبودية .

ماذا قال ابراهيم لذلك الذى حاجه فى ربه ؟

قال : ربي الذى يحيى ويميت ، وقال عليه السلام لقومه تنزلنا معهم ليهديهم الى الحق ، هذا ربي ، ولم يقل الهى وكان نهاية الحجة أن قال : " انى وجهت وجهى للذى فطر لسموات والأرض " وما هذا الا توحيد الربوبية المستلزم فى كل مكان اذا سلمه توحيد الألوهية .

وقال الخليل عليه السلام أيضا لعباد الأصنام : " بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن " أليس هذا اضرابا ابطاليا لما اعتقدوه من ربوبية الأصنام ؟ وأقام الدليل الحسى عليه السلام على مجز الأصنام بتكسيه اياها تبياناً لعباديتها أنها لو كانت

(١) فرقان الفرقان وويليه الأسماء والصفات للبيهقى ص ٨٧ .

أربابا كما اعتقدوا لاستطاعت الدفع عن نفسها فإذا تطلبت ربوبيتها
زالت عن المخاطبين عبادتها ، وذلك جلى لا يخفى والمناقشة
فيه مكابرة (١)

النوع الثانى : توحيد الأسماء والصفات :

(وهو الاقرار بأن الله بكل شىء عليم ، وعلى كل شىء قدير ، وأنه الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، له المشيئة النافذة ، والحكمة البالغة ، وأنه سميع بصير ، رؤوف رحيم ، على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر السميع العليم)
غير ذلك من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى (٢)

وهذا وحده لا يكفى فى حصول الاسلام بل لابد معه

من الايمان بلازمه من توحيد الربوبية والالهية .

النوع الثالث : (توحيد فى الطلب والقصد) :

وهو توحيد الالهية : (وهو مبنى على اخلاص التأله لله تعالى ، من المحبة والخوف ، والرجاء والتوكل ، والرغبة والرغبة ، والدعاء لله وحده ، وبين على ذلك اخلاص العبادات كلها

(١) فرقان الفرقان ص ٨٨ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ١٩ .

ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له ، لا يجمل فيها شيئا
لغيره ، لا لملك مقرب ، ولا لنبي مرسل ، فضلا عن غيرهما .
وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره ، وباطنه وظاهره ،
وهو أول دعوة الرسل وآخرها ، وهو معنى قول : " لا اله الا الله "
فان الاله هو المألوه المعبود بالمحبة ، والغشية ، والاجلال ،
والتعظيم ، وجميع أنواع العبادة ، ولأجل هذا التوحيد خلقت
الخليقة ، وأرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، وبه افترق الناس الى
مؤمنين وكفار ، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار (١) .
قال تعالى :

" يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من
قبلكم لعلكم تتقون " (٢)

ولنر معا كيف أن القصة القرآنية دلت على التوحيد
وأثبتته :

-
- (١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٠ .
 - (٢) سورة البقرة آية (٢١) .

دلالة القصة القرآنية على التوحيد وأثبتها له :

كل رسول أرسل أو نبي بعث دعى الى توحيد الله
وعبادته ، ولقد دلّ القصص القرآني على التوحيد وأثبتته من
خلال دعوة الرسل لأقوامهم بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك
له وبين كل رسول بأن الله هو المستحق للعبادة وحده دون
ما سواه وحاولوا أن يلفتوا أنظارهم الى ما حولهم من نعم في
الأرض والسما والشمس والقمر وما في الكون جميعا ، ولفتوا
أنظارهم أيضا الى خلق أنفسهم هم ووضحوا لهم أن الذي خلقهم
على هذه الصورة وهذا النحو هو الله تعالى وأنه هو الذي خلقهم
على مراحل وأطوار متعددة حتى أصبحوا على الحال الذي هم
عليه وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ، فجعل رسل الله
لهم الدليل على التوحيد العبرة بما حولهم من نعم وفي أنفسهم
والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة في ذلك المجال واليك الأمثلة
على ذلك بأن القصص القرآني دل على التوحيد وأثبتته :

قوله تعالى في سورة نوح :

" ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل
القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ، والله أنبتكم من الأرض
نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ، والله جعل لكم الأرض
بساطا ، لتسلكوا فيها سبلا فجاجا " (١)

(١) سورة نوح آية (١٥ - ٢٠) .

يقول الامام الرازى فى تفسيره لهذه الآيه : وأعلم أنه لما أمر فى هذه الآيه بتعظيم الله استدل على التوحيد بوجوه من الدلائل :

الدليل الأول : قوله " وقد خلقكم أطوارا " وفيه وجهان : قال الليث : الطورة التارة يعنى حالا بعد حال أى من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة .

الثانى : قال ابن الأنبارى : الطور الحال ، والمعنى خلقكم أصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا ، ولما ذكر هذا الدليل من الأنفس على التوحيد ، أتبعه بذكر التوحيد من الآفاق على العادة المصهودة فى كل القرآن .

الدليل الثانى : على التوحيد قوله تعالى " ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا " وأعلم أنه تعالى تارة يبدأ بدلائل الأنفس ، وبعدها بدلائل الآفاق كما فى هذه الآيه ، وذلك لأن نفس الانسان أقرب الأشياء اليه ، فلا جرم بدأ بالأقرب ، وتارة يبدأ بدلائل الآفاق ، ثم بدلائل الأنفس اما لأن دلائل الآفاق أبهر وأعظم ، فوقعتم البداية بها لهذا السبب ، أو لأجل أن دلائل الأنفس حاضرة ، لا حاجة للعاقل الى التأمل فيها ، انما الذى يحتاج الى التأمل فيه دلائل الآفاق ، لأن الشبه فيها أكثر ، ولا جرم تقع
(١)
البداية بها)

وقوله تعالى " وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا " أي فاوت بينهما في الاستتارة فجعل كلا منهما أنموذجا على حدة ليصرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها ، وقدر القمر منازل ونروجها وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستسر ليدل مضي الشهور والأعوام كما في قوله تعالى " هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون " (١)

الدليل الثالث : على التوحيد قوله تعالى " والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا "

وأعلم أنه تعالى رجع ههنا الى دلائل الأذنين وهو كالتفسير لقوله " خلقكم أطوارا " فانه بين أنه تعالى خلقهم من الأرض ثم يردهم اليها ثم يخرجهم منها مرة أخرى ، أما قوله " أنبتكم من الأرض نباتا " ففيه معنيان :

الأول : أي أنبت أباكم من الأرض كما قال " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب "

الثاني : أنه تعالى أنبت الكل من الأرض لأنه تعالى انمسا يخلقنا من النطف وهي متولدة من الأغذية المتولدة من النبات المتولد من الأرض .

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٢٥ .

وكان ينبغي أن يقال ، أنبتكم انباتا الا أنه لم يقل ذلك بل قال أنبتكم نباتا ، والتقدير أنبتكم فنبتم نباتا ، وفيه الطيفة وهي أنه لو قال أنبتكم انباتا كأن المعنى أنبتكم انباتا عجيبا فغريبا ، ولما قال أنبتكم نباتا كان المعنى أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا ، وهذا الثاني أولى لأن الانبات صفة لله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا ، فلا نعرف أن ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة اخبار الله تعالى (١) وهكذا دلت القصصة القرآنية على التوحيد في قصة نوح .

وأنظر أيضا دلالة القصة القرآنية على التوحيد واثباتها له في قصة رسول الله هود مع قومه اذ يقول لهم في قوله تعالى : " ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين " (٢)

فهنا نبي الله هود يلفت أنظارهم الى استغفار الله حيث يدر عليهم الخير والأمن ، ومعنى قوله " يرسل السماء عليكم مدرارا " والسماء هنا المطر أو السحاب الممطر ، وارساله امطاره ، والمدار الكثير الدرور وأصله كثرة در اللبن يقال درت الشاة تدر درا ودرورا فهي دار (بغيرها) أي كثرة فيض لبنها ولعل نكتة التعبير هنا به الاشارة الى الكثرة النافعة فان بعضه قد يكون

(١) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ١٣٩ - ١٤١ .

(٢) سورة هود آية (٥١ - ٥٣) .

ضارا وقد يكون عذابا ، وكانت بلادهم الأحقاف ^(١) شديدة الحاجة الى المطر لزرعها وشجرها لأن الرمل يسرع اليه الجفاف اذا قل المطر ، " ويزدكم قوة الي قوتكم " وهو مما كانوا يطلبونه ويعنون به ويفخرون على الناس ، اذ كانوا قد بسط لهم في الأجسام وأعطوا القوة فيها " ولا تتولوا مجرمين " أى ولا تتصرفوا معرضين عما أدعوكم اليه مما يكون سببا لنعمة المعيشة وسعة الرزق وزيادة القوة وهى جزاء الاستقامة على الحق (٢)

أيضا نلاحظ هنا أن رسولهم ينبههم الى ما حولهم من نعم فى السماء من أمطار وخير أى فى الكون ، وما فى أنفسهم من قوة وأن الله تعالى بيده أن يزد هم قوة فوق قوتهم .

ونرى اثبات القصة للتوحيد فى قصة صالح أيضا مع قومه فى قوله تعالى " والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب " (٣)

دعاهم رسولهم صالح الى توحيد الله تعالى عن طريق أنفسهم بقوله " هو أنشأكم من الأرض " أى هو بدأ خلقكم من الأرض

(١) جمع حقف وهو الرمل المائل .

(٢) تفسير المنار المجلد ١٢ ص ١١٥ - ١١٦ .

(٣) سورة هود آية (٦١) .

بخلق أبيكم آدم منها مباشرة ثم بخلق كل منكم من سلالة من طين الأرض ، فان النطفة التي تتحول الى الرحم الى علقة فمضغة فهيكل عظامي يحيط به لحم شي من الدم ، والدم من الغذاء ، والغذاء الغالب اما من نبات الأرض ، واما لحم يرجع الى النبات في طور واحد أو أكثر " واستعمركم فيها " أي وجعلكم عمارة فيها من العمران فقد كانوا زراعا وصناعا وبنائين - وقيل من العمر أي أطال أعماركم فيها ، واستعمل الاستعمار في عصرنا بمعنى استيلاء الدول القوية على بلاد المستضعفين واستثمارها واستعباد أهلها لمصالحهم ، والمراد هو المنشىء لخلقكم والممد لكم بأسباب العمران والنعم فيها فلا يصح أن تعبدوا فيها غيره لأنه هو صاحب الفضل كله ، والمستحق للعبادة وحده (١)

ويقول في ذلك الامام الرازي : (واعلم أن في كون الأرض قابلة للعمارات النافعة للانسان ، وكون الانسان قادرا عليها دلالة عظيمة على وجود الصانع ، ويرجع حاصله الى ما ذكره الله تعالى في آية أخرى وهي قوله " والذي قدر فهدى " وذلك لأن حدوث الانسان مع أنه حصل في ذاته العقل الهادي والقدرة على التصرفات الموافقة يدل على وجود الصانع الحكيم وكون الأرض موصوفة بصفات مطابقة للمصالح موافقة للمنافع يدل أيضا على وجود الصانع الحكيم) (٢)

(١) تفسير المنار المجلد ١٢ ج ١٢ ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) التفسير الكبير ج ١٨ ص ١٧ .

فمن هذه الأمثلة والكثير مثلها موجود في القصص القرآني
الكريم ، نرى أنبياء الله تعالى ورسله قد دللوا في الدعوة
الى التوحيد بكل ما أوتوا من قوة في ذلك المجال عن طريق
تبصر القوم الى النعمة في أنفسهم فهي أقرب الى الانسان
لكي يتبصر ويتمعن ويصل الى الحقيقة ، ومن طريق النذر
في الكون وما حولهم من نعم وبذلك يشبتون لهم أن الله سبحانه
وتعالى واحد لا شريك له يستحق أن يعبد وحده دون ما سواه .

ثانيا : الايمان بالرسول :

ويبدأ بهبوط آدم عليه السلام الى الأرض ليقوم بمهمة الخلافة فيها بعد أن أخذ من ربه العهد والmithاق أن يتبع ما يأتيه من هدى الله ، ولا يتبع الشيطان فإنه عدو اللئيم وعدوه ، قال تعالى :

" قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن يتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " (١)

ولقد علم آدم بنيه الاسلام جيلا بعد جيل وكان الاسلام بذلك هو أول عقيدة على وجه الأرض ثم انحرفت بعد ذلك باغواء الشيطان لها عن الطريق المستقيم .

ثم جاءت الدعوات بعد نوح عليه السلام تتسلسل جيلا بعد جيل يبعث الله فى كل أمة رسولا منهم الى أن بعث رسوله خاتم الأنبياء محمدا صلى الله عليه وسلم .

ومن هنا يجب علينا الايمان بجميع الرسل ابتداء من آدم ونوح عليهما السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة البقرة آية (٣٨) .

فيقول تعالى في إرسال نوحا الى قومه :
" ولقد أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومه من قبل أن يأتيهم
عذاب أنيم ، قال يا قوم اني لكم نذير مبين ، أن أعبدوا الله
واتقوه وأطيعون " (١)

ويقول تعالى عن رسوله هود :
" والى ناد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله
غيره ان أنتم الا مفثرون " (٢)

ويقول تعالى عن صالح :
" والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من
اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم
توبوا اليه ان ربي قريب مجيب " (٣)

ويقول تعالى عن لوط :
" ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من
أحد من العالمين " (٤)

-
- (١) سورة نوح آية (٣)
 - (٢) سورة هود آية (٥٠)
 - (٣) سورة هود آية (٦١)
 - (٤) سورة العنكبوت آية (٢٨)

ويقول تعالى عن شعيب :

" والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره " (١)

وهكذا دعوة كل رسول في قومه وبالاجمال طينا أن نؤمن بهم جميعا .
ولو تتبعنا نصوص القصص القرآني لرأينا أن الجدل حول الرسالة
بدأ من عهد نبي الله نوح عليه السلام ، ثم كان من بعده في قوم
هود وشمود ، واستمر حتى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،
ولقد كان جدلهم فيها منقولة وموروثة ورثها بعضهم عن بعض ، إلا
وهو قولهم بأن الرسول لا يجب ولا يصح أن يكون بشرا يأكل الطعام
كما يأكل الناس ، ويمشي في الأسواق كما ~~يمشون~~ ، ويجب أن يكون ملكا
وان لم يكن ملكا فليكن معه ملك كي يدلنا على صدق ذلك الرسول البشر .

ولقد تعرضنا لهذه الشبه الواهية من قبل وردنا عليهم
بالتفصيل ، وبيننا أن سنة الله في جميع الحصور والأزمنة أن يرسل
الى كل قوم رسولا منهم ، يختاره الله ويصطفيه لهذا العمل ،
(أما الملائكة فليس من سنته أن تكون رسالة الله للناس طينس
أيديهم من طريق طنو واضح ، لأن الله تعالى لو جعل الرسول
من الملائكة لجعله على شكل الرجل ليتناسب مع القوم الذين أرسل
اليهم ، وطين ناك يرجعون الى جدلهم فيه ~~والله اعلم~~ الأمر طينهم) (٢)

(١) سورة الأعراف آية (٨٥)

(٢) دعوة الرسل الى الله ص ٣٧٩

والمسألة في حقيقة الأمر هي مجرد جدل وحناد لا مسألة شبيهة
استولت على نفوسهم ولم يستطيعوا أن يتخلصوا منها ، والله تعالى
لم يتركهم بل عرض لهذه الشبهة وردّها عليهم ، وبين لهم عنادهم
وتعننتهم وبين لهم أن هذا التعنت والجدل في رد رسالة الرسل
لم تكن على حق ولم يكن المراد منها وصولهم إلى الحقيقة ، ورغم
ذلك الجدل والتعننت رد الله عليهم هذه الشبهة وأثبت بتلك الردود
في كثير من السور رسالة رسله .

فانظر في قوله تعالى :

” ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه أنى لكم نذير مبين ، أن لا تعبدوا إلا
الله أنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ، فقال المأذنين كفروا من قومه
ما نراه إلا بشرا مثلنا وما نراه أتبعناه إلا الذين هم أراذلنا بادي
الرأى وما نرى لكم طينا من فضل بل نظنكم كاذبين ” (١)

وانظر قوله تعالى :

” ألم يأتكم نبيّ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فسى
أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا إليه
مريب ، قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم
ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا ان أنتم إلا بشر

(١) سورة هود آية (٢٥ - ٢٦) .

مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ،
قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده وما كان لنا أن نأتىكم بسلطان الا باذن الله وطى الله
قلوبكم المؤمنون (١)

وأنظر قوله تعالى :

" وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في
الأسواق وجعلنا لبعض قبلكم آفة من آفاتهم وكان ربهم بصيرا (٢)

وأنظر قوله تعالى :

" ولو أنزلنا طية كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا
ان هذا الا شعر مهين ، وقالوا لولا أنزل طية ملك ولو أنزلنا ملكا
لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا
طية ما يلبسون (٣)

وغير هذه الآيات في كثير من القصص القرآني نرى الكثير للرد على
أمثال هذه الشبه والضلالات ، أتينا بها ههنا لاثبات رسالة
الرسول ورد شبهة من ينكرون رسالتهم ويفترون طية ظلما وهمتانا (٤)

-
- (١) سورة ابراهيم آية (٩ - ١١) .
 - (٢) سورة الفرقان آية (٢٠) .
 - (٣) سورة الأنعام آية (٧ - ٩) .
 - (٤) استعرضت الشبه والرد طية سابقا .

ثالثا : الايمان بالكتب :

وهي الكتب المنزلة من الله تعالى على رسله فيها جميع
أوامره ونواهيه ، قال تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على
رسوله والكتاب الذي أنزل من قبله ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه
ورسوله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا " (١)

وطينا أن نؤمن بالكتب السليمة غير المحرفة على أساس عقلي
سليم وأن ننظر نظرة فاعصة لمعرفة المحرف وغير المحرف فنؤمن
بما لم يحرف ونترك ما سواه .

" وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب " (٢)

والمراد الكتب المنزلة على رسله ومنها :

- صحف ابراهيم وموسى : " ان هذا لفي الصحف الأولى صحف
ابراهيم وموسى " (٣)

- الزبور الذي أنزل على داود : " وآتينا داود زبورا " (٤)

- التوراة التي نزلت على موسى : " انا أنزلنا التوراة فيها هدى
ونور " (٥)

(١) سورة النساء آية (١٣٦)

(٢) سورة الشورى آية (١٥)

(٣) سورة الأعراف آية (١٨-١٩)

(٤) سورة النساء آية (١٦٣)

(٥) سورة المائدة آية (٤٤)

- الانجيل الذي أنزل على عيسى : " وأتينا الانجيل فيه هدى ونور " (١)

والقرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم : وهو آخرهما المصدق لهما والمهيمن عليهما :

" وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه " (٢)

كل هذه الكتب حق موافقة لبعضها البعض ، لا اختلاف ولا تناقض فيها في الأسس والأصول ، ونحن مطالبون بالايان بهما جميعا .

ولقد جعل الله تعالى الهداية والفلاح لمن آمن بها جميعا قال تعالى : " والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون " (٣)

ولقد أنزل الله تعالى هذه الكتب لقيادة البشرية الى الصواب والهداية ، وتنظيمها ، وتوجيهها ، وإبعادها عن مهاوى الضلال والخذلة .

ومن خلال قصص القرآن الكريم نعرف أسماء بعض الكتب ، ونجد أنفسنا ملزمين بالايمان بأن لكل رسول كتابا يعلم حقيقة الله تعالى .

-
- (١) سورة المائدة آية (٤٦)
 - (٢) سورة المائدة آية (٤٨)
 - (٣) سورة البقرة آية (٤ - ٥)

رابعاً : الايمان بالملائكة :

(١) الملك واحد الملائكة (١)

(٢) وأصله مالك من الألوية وهو الرسالة (٢)

قال تعالى : " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله " (٣)

فترى الآيات تقرر أن الايمان بالملائكة أحد أركان العقيدة

وأن من كفر بها فقد كفر بالله .

التعريف بهم :

هم نورانيون ، وهم عباد مكرمون ، يسبحون الليل والنهار ،
(وهم نوع من خلق الله تعالى منفذون لأوامره ، ليس لهم من الأذى
من شيء ، لا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا ينامون ، ولا يتناسلون ،
ولا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ، يمجز البشر عن رؤيتهم في صورتهم
الملائكية) (٤)

الا من آيدده الله تعالى كتبنا محمد صلى الله عليه وسلم رأى جبريل

-
- (١) القاموس المحيط مادة (ملكة) ج ٣ ص ٣٣١ .
 - (٢) العقيدة الاسلامية د . كمال محمد عيسى ص ٢٠٨ .
 - (٣) سورة البقرة آية (٢٨٥) .
 - (٤) العقيدة الاسلامية ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

في صورته التي جبل عليها مرة في الأرض ومرة في السماء .
” ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ” (١)

ولهم القدرة على الاتيان والتشكل بالصور الجميلة ، فلقد جاءوا

ابراهيم بالبشرى في صورة أضياف قال تعالى :

” هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ، ان دخلوا عليه فقالوا

سلاما قال سلام قوم منكرون ، فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين ، فقربه

اليهم قال ألا تأكلون ، فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وشره

بفلام طيم ” (٢)

وجاءوا الى رسول الله لوط في صورة أضياف حسان الوجوه

قال تعالى :

” ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق ذرقا وقال هذا يوم عصيب ” (٣)

ومن الملائكة سفراء بين الله وخلقه من الرسل ، ومنهم الحفظة

ومنهم الذين يبشرون المؤمنين بالجنة عند قبض أرواحهم ، ومنهم

حطة العرش ، ومنهم خزنة الجنة ، ومنهم خزنة النار .

ومنهم المقسمات التي تتولى تقسيم أمر العباد والأمطار والأرزاق .

(وطريق الايمان بالملائكة هو السمع وحده ولا دخل للعقل في

(٤)

الوصول الى ذلك)

(١) سورة النجم آية (١٣ - ١٤) .

(٢) سورة الذاريات آية (٢٤ - ٢٨) .

(٣) سورة هود آية (٧٧) .

(٤) دعوة الرسل ص ٢٤ .

وطى المسلم أن يصدق بالملائكة وما جاء عنهم ويصدق بجميع الأوصاف الخاصة بهم .

والإيمان بالملائكة أحد أركان العقيدة كما علمنا وطى ذلك يتضح لنا أن من كفر بهم فقد كفر بالله ، ومن كان عدوا لهم فهو عدو لله فعلياً أن نؤمن بهم اجمالاً وتفصيلاً .

الجن :

أصل الجنّ ستر الشئ عن الحاسة ، يقال جنة الليل وأجنة وجنّ عليه فجنه ستره ، والجن يقال طوى وجهين : أحدهما للروحانيين المستترين عن الحواس كلها بازا* الأجنح، فعلى هذا تدخل به الملائكة والشياطين فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة، وطى هذا قال أبو صالح : الملائكة كلها جن ، وقيل : بل الجن بعض الروحانيين ، وذلك أن الروحانيين ثلاثة :

- أخيار : وهم الملائكة .

- أشرار : وهم الشياطين .

- وأوساطة فيهم أخيار وأشرار ، وهم الجن ويدل على ذلك قوله تعالى " قل أوصى الله " إلى قوله عز وجل " وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون " (١)

ورغم ذلك نستطيع أن نقول بأن الجن : هم عالم من السوالم

(١) المفردات للأصفهاني ص ٩٨ ، ٩٩ .

الغيبية ، لا يعلم حقيقتهم الا الله تعالى .

ودليل ثبوتهم :

قال تعالى :

" واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون للقرآن فلما حضروه

قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين " (١)

وهم لا يرون طوى حقيقتهم :

قال تعالى :

" انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم " (٢)

منهم المؤمنون ومنهم الكافرون والفاسقون .

وقال تعالى في شأن الجن قوله عن أنفسهم :

" وأنا منا الصالحون ، ومنا دون ذلك ، كنا طرائق (٣)

قدرا " (٤)

وهم مكلفون كالانس ومجازون عطى أعمالهم مثلهم يتضح ذلك

في قوله تعالى :

" وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون " (٥) ، فمن أسلم فأولئك

تحروا رشدا ، وأما القاسطون فكانوا لجنهم خطبا (٦)

(١) سورة الأحقاف آية (٢٩) .

(٢) سورة الأعراف آية (٢٧) .

(٣) طرائق : أى كنا أديانا مختلفة .

(٤) سورة الجن آية (١١) .

(٥) القاسطون : الظالمون الكافرون .

(٦) سورة الجن آية (١٤ - ١٥) .

ولقد خلق الجن من النار التي لهيبها خالص من الدخان بدليل

قوله تعالى :

" وخلق الجن من نار من نار " (١)

وقوله تعالى :

" والجان خلقناه من قبل من نار السموم " (٢)

والجن معروف عنهم أنهم مسيطرون على الانس بالوسوسة ،
والشواية والضلال) وهم مضررون ظاهرا وباطنا ، غير أنه لا يضر منهم
الا الكافرون أو الفاسقون ، أما الصالحون منهم فشأنهم شأن صالحى
الانسان ، لا يفعلون الا الخير ، ولا يسعون الا فيه (٣)

والايمان الصادق عصمة لصاحبه من تسلط الشيطان .

قال تعالى :

" انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، انما
سلطانه على الذين يتولونه ، والذين هم به مشركون " (٤)

أما عن الايمان بالجن فيقول فى ذلك، الشيخ محمود شلتوت :

" وما ينبغى التنبيه له : أن القرآن مع كثرة ما تحدث به عن الجن ،
يجعل الايمان به عقيدة ، من عقائد الاسلام كما تجعل الملائكة ،

(١) سورة الرحمن آية (١٥) .

(٢) سورة الحجر آية (٢٧) .

(٣) تبسيط العقائد الاسلامية - حسن أيوب ص ١٩٢ - ١٩٣

(٤) سورة النحل آية (٩٩ - ١٠٠) .

وانما تحدث عنهم فقط كما يتحدث عن الانسان ، وعن كل شئ ،
وان ان ؛ فالتصديق بوجودهم من مقتضيات التصديق بالقرآن ، وصدقه
في كل ما حدث عنهم وقد طلب الايمان بالملائكة لا باعتبار
أنها كائنات موجودة فقط ، وانما طلب باعتبار وظائفها التي تتصل
اتصالا وثيقا بمهمة الدين ، وهو التهذيب النفسى والتوجيه السى
الخير ، وتقوية دواعيه فى الانسان ، وهذه الوظيفة ليست من شأن
الجن الذى يستوى مع الانسان ، فى الوقوف بين قوى الخير والشر ،
والأديان انما تطلب الايمان بما يقوى بواعث الخير ، لا بما يقوى
بواعث الشر ، ولا بما يستوى أمامه بواعث الخير والشر (١)

وأوريد ذلك الرأى ؛ فالإيمان بالملائكة يؤدى الى التهذيب
النفسى حيث تكون موجبة دائما الى الخير وما فيه صلاح الناس ،
وهذه الوظائف ليست من شأن الجن ، وطيه فالتصديق بوجودهم
من مقتضيات التصديق بالقرآن فقط .

وطينا أن نؤمن بالجن اجمالا وتفصيلا ؛ فالإيمان بهم
اجمالا ؛ أن نؤمن بأن لله خلقا يعرف بالجن لا يدري بحقيقتهم
الا الله تعالى .

والإيمان بهم تفصيلا ؛ أن نؤمن بمن فصل منهم بالعدد كقوله تعالى
" وان صرفنا اليك نفرا (٢) من الجن يستمعون القرآن " (٣)

فعلينا أن نؤمن بهم ؛ اجمالا وتفصيلا .

(١) الاسلام عقيدة وشريعة الطبعة الثانية ص ٤٦ .

(٢) النفر ؛ هو العدد ما بين الواحد والتسعة .

(٣) سورة الأحقاف آية (٢٩) .

خامسا : الايمان باليوم تالآخر :

واليوم الآخر هو يوم القيامة ، وله أسماء كثيرة ومتعددة منها :
الساعة ، الفاشية ، الطامة ، الصاعقة ، يوم الدين ، يوم الخلود ،
يوم الطلاق .

ويوم وقوعه علمه عند الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى :

" يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي
لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السماوات والأرض ، لا تأتكم الا
بغتة ، يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن
أكثر الناس لا يعلمون " (١)

والله سبحانه وتعالى قد استأثر بعلم وقت وقوعها فلم

يخبر بها ملكا أو نبيا .

قال تعالى :

" وعنده علم الساعة " (٢)

وقال تعالى :

" اليه يرد علم الساعة " (٣)

ومواقف اليوم الآخر كثيرة ومتعددة منها البعث ، والحشر ،

الحساب ، الصراط ، الحوض .

ولنأخذ كل منها بالتفصيل حتى نعرف ماهيتها .

(١) سورة الأعراف آية (١٨٧) .

(٢) سورة الزمخرف آية (٨٥) .

(٣) سورة فصلت آية (٤٧) .

وأصل البعث اثاره الشئ وتوجيهه يقال بعثته فانبعث ،
ويختلف البعث بحسب اختلاف ماعلق به (والموتى يبعثهم الله)
أى يخرجهم ويسيرهم الى القيامة . (١)

اذن هو احياء الموتى ، واخراجهم من قبورهم ، ليحشروا
الى ربهم ويلقى كل منهم جزاءه الذى قدر له من نعيم أو عذاب
وقد ذكر القصص القرآنى تلك القضية ، وأكد حقيقتها فى معان
قصصه .

قال تعالى : حكاية عن نوح حينما ذكر قومه بالرجوع الى الله تعالى :
" ولا ينفعكم نصيحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله
يريد أن يفتوكم هو ربكم واليه ترجعون " (٢)
فهنا يؤكد لهم حقيقة بعثهم الى الله تعالى وأنهم اليه
راجعون .

ومن الكفار من أنكروا جحودا وفنادا ، وقد رد عليهم
القرآن فى ثلاث آيات :
قوله تعالى :

" زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى ورسى لبعثن " (٣)

وقوله تعالى :

وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى ورسى لتأتينكم " (٤)

(١) سورة هود آية (٣٤) .

(٢) سورة الشعراء آية (١٣٥) .

(٣) سورة التغابن آية (٧) .

(٤) سورة سبأ آية (٣) .

والى هو^١ ومن شابههم نذكر قصة من أماته الله مائة عام

ثم بعثه ، قال تعالى :

" أو كالذى مر على قرية وهى غاوية على عروشها قال أنسى
يحى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم
لبثت قال يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فأنظر الى طعامه
وشرابه لم يتسنه وأنظر الى حماره ولنجعله آية للناس وأنظر الى
العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم
أن الله على كل شىء قدير " (١)

وأما هذه القصة كثير فى القصص القرآنى .

فهى يتذكر مثل هو^١ الجاحدون الباغون أن من يقدر على

الخلق يقدر على الإعادة ، يقول تعالى :

" وهو الذى بيدي^٢ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله
المثل الأعلى فى السماوات والأرض " (٢)

فالبعث لا ينكره سوى الجاحدون الكافرون ، وعليه يجب أن
نؤمن بأن هنالك يوماً يبعث فيه جميع الخلائق ليلقى كل منهم
ما يستحقه من نعيم أو عذاب .

والقرآن الكريم نراه يدم عقيدة البعث بمختلف الوسائل وهو

(١) سورة البقرة آية (٢٥٩) .

(٢) سورة الروم آية (٢٧) .

من العدل الالهي حتى لا تكون حياة الانسان بلا غاية ولا هدف .
(ان حاجة الانسان ملحة الى الآخرة ، لضمان الخلود ،
(١)
واقامة العدل ، وتقديم الحياة)
" وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى
ومدا عليه حقا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ليبين لهم الذي
يختلفون فيه ، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كفاراً " (٢)
(ولقد كانت قصة البحث دائما هي مشكلة العقيدة عند
كثير من الأقباط منذ أن أرسل الله رسله للناس ، يأمرونهم بالمعروف ،
وينهونهم عن المنكر ، ويحذرونهم حساب الله يوم البحث والحساب ،
وهو " لا المشركون من قريش أقسموا بالله جهد أيمانهم
لا يبعث الله من يموت إناهم يقولون بوجود الله ولكنهم ينفون عنه
بعث الموتى من القبور ، يرون هذا البحث أمرا عسيرا بعد الموت
والبلى وتفرق الأشلاء ، وغفلوا عن معجزة الحياة الأولى ، وغفلوا
عن طبيعة القدرة الالهية ، وأنها لا تقاس الى تصورات البشر ،
وطاقتهم ، وأن ايجاد شيء لا يكلف تلك القدرة شيئا ، فيكفي
أن تتوجه الارادة الى كون الشيء ليكون ، وغفلوا كذلك عن حكمة

(١) عقيدة البحث في الاسلام د . التهامي نفرة ص ١٤٠

(٢) سورة النحل آية (٣٨ - ٣٩) .

الله في البحث ، وهذه الدنيا لا يبلغ أمر فيها تمامه ، فالتناس
يختلفون حول الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والخير والشر ،
وقد لا يفصل بينهم فيما يختلفون فيه في هذه الأرض لأن إرادة الله
شأن أن يمتد ببعضهم الأجل ، وألا يحل بهم عذابه الفاصل
في هذه الدربار ، حتى يتم الجزاء في الآخرة ويبلغ كل أمر
تمامه هناك (١) .

والحشر : من حقائق الآخرة ومعناه سوق الناس إلى الموقف ،
حيث يأتي المؤمنون ركبانا ويساق الكافرون مشاة ماشا ، وفيه
يحاسبون وتوزن أعمالهم .

يقول تعالى :

" وتروى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا " (٢)

وذلك يسير على الله تعالى فمن بعثهم تارك على أن يجمعهم

إلى اليوم العظيم .

(١) في نلال القرآن سيد قطب : ج ١٤ ص ٢١٧٢ .

(٢) سورة الكهف آية (٤٧) .

والحساب : توقيف الله تعالى لعباده قبل الانصراف من المحشر
على أعمالهم سواء قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً من خير
أو شر .

قال تعالى :

" ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم " (١)

وقال تعالى :

" فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً
يره " (٢)

ويقول تعالى :

" اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً " (٣)

حيث : (يعرض سجل الأعمال في كتاب منشور ، يرف نفسه
عنق صاحبه رفيق الشاعر ، حيث يكلف كل انسان قراءة كتابه ،
فيكون هو على نفسه شهيداً) (٤)

وفي الحساب يتّون الميزان ، والصحف ، والشهود ، والشفاعة ،
والله سبحانه وتعالى هو الذي يقوم بحساب الناس في ذلك اليوم
العظيم .

(١) سورة الغاشية آية (٢٥ - ٢٦) .

(٢) سورة الزلزال آية (٨٧) .

(٣) سورة الاسراء آية (٤٤) .

(٤) مشاهد القيامة في القرآن / سيد قطب ص ١٢٢ .

والصراط : جسر ممدود على ظهر جهنم يمر به الأهلون والآخرون ،
كل حسب عمله بعد أن ينصرفوا من الموقف .

يرد الناس جميعا الصراط ، وورودهم قيامهم حول النار ،
ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم ، : فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم
من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر مثل الخيل
ومنهم من يمر كأجود الأبل ومنهم من يمر كعقد والرجل .

قال تعالى :

" وان منكم الا وارد ما كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي
الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " (١)

والحوض : من حقائق اليوم الآخر .

ولكل نبي حوض يرده أتباعه من المؤمنين ، يشرب منه هو
وأمتة بعد الموقف وقبل دخول الجنة ، ولنبينا حوض كذلك ماؤه
أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأطيب من المسك ، من
شرب منه شربة لا يظأما بعد ها أبدا .

فيوم القيامة يشتمل على ما ذكرناه سابقا من مواقف البعث
والحشر والحساب والصراط . . . الخ ما هنالك من مواقف لا بد وأن
يتقها جميع الناس .

ويجب أن نذكر أن منكر واحد من هذه المواقف يكون كافرا
لأنه ينكر أمرا قطعيا ثبت بالدليل القاطع الذي لا شبهة فيه .

(١) سورة مريم آية (٧١ - ٧٢) .

سادسا : الايمان بالقدر :

جاء في القرآن الكريم ذكر القدر مرارا .

" وكل شيء عنده بمقدار " (١)

" وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر " (٢)

" اننا كل شيء خلقناه بقدر " (٣)

اذن معنى القدر : (التقدير ، قال تعالى " فقد رنا

فنصم القادرون " أي قدر ما هو مقدر ، وعلى هذا فالمعنى أن الله

تعالى لم يخلق شيئا من غير تقدير " وكل شيء خلقناه بقدر " أي

بقدره مع ارادته (٤)

والذي يؤخذ من مجموع الآيات السابقة أن المقصود بالقدر

(هو النظام الذي وضعه الله لهذا الوجود ، والقوانين العامة ،

والسنن التي رتب الله بها الأسباب بمسبباتها) (٥)

وجوب الايمان به :

الايمان بالقدر هو جزء من العقيدة ، والله تعالى

(١) سورة الرعد آية (٨) .

(٢) سورة الحجر آية (٢١) .

(٣) سورة القمر آية (٤٩) .

(٤) التفسير الكبير ج ٢ ص ٧٣ .

(٥) العقائد الاسلامية للسيد سابق ص ٥٣ الطبعة الثالثة

خلق النواميس والقوانين والنظام ووضعها لهذا الوجود ، وأن مافى
هذا الوجود من أشياء تجرى وتدور حسب هذه النظم والسنن والقوانين ،
قال تعالى :

" وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ، والشمس
تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قد رنا
منازل حتى عاد كالجرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها
أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " (١)

والإيمان بالتقدير يكون هو المعنى الموجود فى قوله تعالى :
" ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب
من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور " (٢)
(ما أصاب من مصيبة : والمعنى لا توجد مصيبة من هذه المصائب
الا وهى مكتوبة عند الله ، والمصيبة فى الأرض هى تحط الصلح ،
وقلة النبات ، ونقص الثمار ، وغلاء الأسعار وتتابع الجوع .

والمصيبة فى الأنفس فيه قولان :

الأول : أنها هى الأمراض والفقر ، وذهاب الأولاد .

الثانى : أنها تتناول الخير والشر أجمع لقوله تعالى :

" لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم " ثم قال " الا فى كتاب "

(١) سورة يسي آية (٣٧ - ٤٠) .

(٢) سورة الحديد آية (٢٢ - ٢٣) .

(١) يعنى مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ .

والايمان بالقدر يوضح للانسان أن كل شىء فى الوجود
انما يسير وفق حكمة عليا ، فاذا سبه الضرفانه لايجزع ، واذا
وفق ونجح فانه لايفرح ولا يبيلر ، واذا برى الانسان من الجزع
عند الاخفاق والفشل ، ومن الفرح والبطر عند التوفيق والنجاح
كان انسانا قويا متزنا فاهما للأمور وهذا هو المعنى الذى تتضمنه
الآيات السابقة ، وهذا ماينبغى لنا أن نفهمه من القدر .

(١) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

دور القصة القرآنية في اثبات العقيدة :

بحث الخلائق وحسابهم يوم القيامة أمر أجمعت كل الدعوات على تأكيده واثباته ، والقصة القرآنية قد أكدت لنا ذلك ، وقد بينت أن البحث في الآخرة أمر لا مفر منه ، وأنه في يوم القيامة سوف يحاسب الجميع على أعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر .

أنظر قوله تعالى في سورة القصص حيث نرى فيها مشاهد متناثرة في سياق السورة .

١ - " وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ، ويوم القيامة لا ينصرون ، وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ، ويوم القيامة هم المقبوحين " (١) (١)
(يقول تعالى ذكره : وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتهم بهم أهل العتو على الله والكفر به ، يدعون الناس الى أعمال أهل النار " ويوم القيامة لا ينصرون " ويوم القيامة لا ينصرهم الله وقد كانوا في الدنيا يتناصرون فاضمحت تلك النصرة يومئذ ، وقوله تعالى " وأتبعناهم في هذه الدنيا خزيا وفضيا منا عليهم ، فحتمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السيء " ، ونحن شجعوهم لعنة أخرى يوم القيامة ، فمخزوهم بها الخزي الدائم ، ومهينوهم الهوان اللازم

وقوله " هم من المقبوحين " أي هم من القوم الذين تبحهم الله فأهلكهم بكفرهم بربهم ، وتكذيبهم رسوله موسى عليه السلام ، فجعلهم عبرة للمعتبرين وعظة للمتعتبين (١)

٢ - واقرأ قوله تعالى " ويوم يناديهم فيقول : أين شركائي الذين كنتم تزعمون ؟ قال الذين حق عليهم القول : ربنا هوؤلاء الذين أغويناهم كما غوينا ، تبرأنا إليك ، ما كانوا إيانا يعبدون ! وقيل : ادعوا شركاءكم ، فدعوهم ، فلم يستجيبوا لهم ، ورأوا العذاب ، لو أنهم كانوا يهتدون ، ويوم يناديهم فيقول : ماذا أحببتم المرسلين ؟ فعميت عليهم الأنبا يومئذ لا يتساءلون " (١)

(ويوم يناديهم فيقول : أين شركائي الذين كنتم تزعمون)
(لما ثبت أن الكفار يوم القيامة قد عرفوا بطلان ما كانوا عليه وعرفوا صحة التوحيد والنبوة بالضرورة فيقول لهم أين ما كنتم تعبدونـه وتجعلونه شريكا في العبادة وتزعمون أنه يشفع ؟ أين هو ينصركم من هذا الذي نزل بكم ؟ ثم بين تعالى ما يقوله من حق عليه القول ، والمراد من القول هو قوله " لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين " ومعنى حق عليه القول أي حق عليه مقتضاه ، واختلفوا في أن الذين حق عليهم هذا القول من هم ؟ فقال بعضهم : الروساء والدعاة إلى الضلال ، وقال بعضهم : الشياطين قوله " ربنا هوؤلاء الذين أغوينا " المراد كما أن غينا باختيارنا فكذا فيهم باختيارهم . يعنى أن اغواؤنا لهم ما ألجأهم إلى الضواية بل كانوا المختارين بالاقدام على تلك العقائد والأعمال ، وقولـه " وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم " والأقرب أن هذا

على سبيل التقرير لأنهم يعلمون أنه لا فائدة في دعائهم لهم ،
فالمراد أنهم لو دعواهم لم يوءخذ منهم اجابة في النصرة وأن العذاب
ثابت فيهم ، وكل ذلك على وجه التوبيخ ، وفي ذكره ردع وزجر
في دار الدنيا ، وقوله " ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين " ،
فصميت عليهم الأنبا " أي فصارت الأنبا كالعمى عليهم جميعا
لا تهتدي اليهم فهم لا يتسألون لا يسأل بعضهم بعضا كما يتسأل
الناس في المشكلات لأنهم يتساوون جميعا في عمى الأنبا عليهم
والعجز عن الجواب ، واذا كانت الأنبا لهول ذلك يتعصمون في
الجواب عن مثل هذا السؤال ، ويفوضون الأمر الى علم الله
تعالى وذلك قوله تعالى " يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ،
قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب " فما ظنك بهؤلاء الضلال " (١)

٣ - المشهد الثالث من سورة القصص قوله تعالى :

(ويوم يناديهم فيقول : أين شركائي الذين كنتم تزعمون ؟

ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا : ها تواتوا برهانكم فاعلموا أن

الحق لله ، وضل عنهم ما كانوا يفترون " (٢)

قوله تعالى : " ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم

تزعمون " أعاد هذا الضمير لاختلاف الحالين ، ينادون مرة فيقال

لهم " أين شركائي الذين كنتم تزعمون " فيدعون الأصنام فلا يستجيبون ،

(١) التفسير الكبير ج ٢٥ ص ٢ - ٨ .

(٢) سورة القصص آية (٢٤ - ٢٥) .

فتأمر حيزتهم ، ثم ينادون مرة أخرى فيسكتون ، وهو توبيخ
وزيادة عزى ، والناداة هنا ليست من الله ، لأن الله تعالى
لا يكلم الكفار .

" ولا يكلمهم الله يوم القيامة " لكنه تعالى يأمر من يوبخهم ويبتغهم ،
ويتيم الحجة عليهم فى مقام الحساب ، وقوله " ونزعنا من كل أمة
شهيذا " أى نبيا وهو الأظهر لقوله تعالى " فكيف اذا جفنا من
كل أمة بشهيد وجفناك على هؤلاء شهيدا ، وشهيد كل أمة
رسولها الذى يشهد عليها ، والشهيد الحاضر ، أى أحضرنا
رسولهم المبعوث اليهم " وفضل عنهم " أى ذهب عنهم وبطل ،
" وكانوا يفترون " أى يفتلقونه من الكذب على الله تعالى من أن
معه آية تعبد (١)

٤ - ويأتى المشهد الرابع فى تلك السورة التى تعرض لنا صور
لليوم الآخر فانظر قوله تعالى " تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة
للمتقين " (٢)

(تلك الدار الآخرة " فتعظيم لها وتضخيم لشأنها يعنى تلك
التي سمعت بذكرها وبلغها وصفها (٣) ومعناه : أن تلك الدار

-
- (١) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٥٠٢٥ .
 - (٢) سورة القصص آية (٨٢) .
 - (٣) التفسير الكبير ج ٢٥ ص ١٤٠ .

الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق في الأرض
وتجبرا عنه ولا فسادا ، ولا ظلم الناس بشير حق وعملا بمعاصي
الله فيها (١)

ونرى هذه المشاهد الأربعة متناثرة في سياق السورة
ونراها في كل موضع متفقة مع الموضوع المثار القضية فيه ألا وهو
اثبات اليوم الآخر ، فنلاحظ أن القصص القرآني أثبت ذلك اليوم
في كثير من الآيات ، ولقد سقنا اليك بعض الأمثلة السابقة
من سورة القصص لتري مدى اهتمام القرآن بذلك اليوم العظيم
وأن للقصص القرآني دور كبير في اثباته ، فتري الكثير من مشاهد
القيامة ماثلة في القصص القرآني .

ولقد تتابع رسل الله تعالى بعد نوح عليه السلام وكلهم
يثبت ذلك اليوم الذي لا مفر منه فنرى " هود " يخوف قومه من عذاب
يوم عظيم وقال لهم : " ألا تتقون " ليشعرهم بالخوف من عذاب
الله تعالى يوم القيامة .

وشعيب عليه السلام خوف قومه من ذلك اليوم ودعاهم
الى العمل الصالح وقال لهم :
" ويا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعشوا في الأرض
مفسدين " (٢)

قال لهم ذلك رجاء أن يعملوا لكسب الثواب في الآخرة .

(١) تفسير الطبري ج ٢٠ ص ١٢٢ .

(٢) سورة المنتهون آية (٣٦) .

وسيدنا ابراهيم عليه السلام " واذ قال ابراهيم : رب اجعل
هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم باللّٰه
واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار
وبئس المصير " (١)

فدعوته بالخير والأمن على من يستحق ذلك من الناس ، ومن
يستحق ذلك هو من آمن باللّٰه واليوم الآخر ، فنراه بين منادى
أهمية ذلك وأجره وجعله وثقا على من آمن باللّٰه وباليوم الآخر .

ونرى المؤمنين من أتباع موسى عليه السلام لشدة يقينهم
باليوم الآخر كانوا يخوفون أهاليهم من أقوالها كالرجل الذي آمن
منهم ونادى قائلا : " يا قوم انى أشاف عليكم يوم التناد " وهو
يوم القيامة (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار - ونادى أصحاب
النار أصحاب الجنة ، أو يكون تصايحهم بالويل والثبور) (٢)

ولقد حفل القصص القرآنى بأحداث يوم القيامة وبينت أنه أحد
أركان العقيدة الإسلامية .

(١) سورة فاطر آية (٣٢) .

(٢) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٤٢٦ .

طرق اثبات العقيدة :

طرق اثبات العقيدة في القصص القرآني كثيرة حيث نرى كل نبي أتى الى قومه خالبا بهم في الدعوة الى الله وخلص العقيدة من الشرك والضلال . فانظر نوح عليه السلام وهو أول الرسل وقد حاول تثبيت العقيدة في نفوس قومه هو وجميع الرسل بعده ، فقد جاولوا أن يشتموا العقيدة في نفوس أتوأمهم عن طريق ما حولهم من شمس وقمر وهجر وأنهم معددة في الكون كثيرة لا تعد ولا تحصى في الكون وفي أنفسهم ونرى نوحا في دعوته يبين لقومه الطريق الصحيح الذي لا بد أن يسلكوه للنجاة من عذاب الله ، لأن من عصى الله فسوف يلتقى يوما عذبا من العذاب نتيجة عصيانه ، فدعاهم الى العقيدة ووجههم الوجهة الصحيحة .

ونرى جدل قومه له حيث قوله تعالى :

" قال الملأمن قومه انا لنراك في ضلال مبين ، قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ، أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم . لا ينبغي لكم ولتتقوا ولعلكم ترحمون " (١)

(١) سورة الأعراف آية (٦١ - ٦٣) .

والطأ : هم الأشراف والسادة من قومه انا نراك فى ضلال وكذب ،
واتهموه بالضلال والجنون ، وقال لهم بأنه ليس به ضلالة ، وهذه
ميزة فى أنبياء الله نستنبطها من جد الهم مع أقوامهم ألا وهى
المحاجة فى لين وهدوء وصبر حتى ينالوا ما يريدونه وهو اقناع
العصم بالحسنى التى هى أقوم وأحسن ، فرد عليهم بأنه ليس به
ضلالة وأنه رسول من عند الله أرسله اليهم لتبليغ رسالته وينصحهم
وأنه أعلم منهم وأنه يحلم مالا يعلمون ، فيقول لهم فى هدوء وتأن
أو عجبتم ؟ أى أتصجبون أن يأتىكم ذكر وهدى وبيان من ربكم
مع رجل أرسل ليهديكم وينصحكم ويجعلكم تتقون الله فيما أنتم
عليه من ضلال وبغى ؟ فنراه بين من ذلك الجدال مع قومهم
طريق العقيدة والضلال من الهدى ويميز لهم الخير من الشر ،
ويهدى بهم الى الطريق الأقوم .

وهود عليه السلام وهو يخاطب قومه فى عقيدتهم قائلاً لهم :
" قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون " (١)

يخاطبهم أيضا ناصحا لهم بتقوى الله وطاعته ، فدعاهم
الى العقيدة الصحيحة فالله واحد لا شريك له فى العبودية
وأمرهم بتقوى الله حيث أنها المنجى الوحيد لهم وبين لهم طريق
الدعوة الى الله ووضح لهم العقيدة الحققة التى من تمسك بها
نجى ومن حاد عنها هلك .

(١) سورة الأعراف آية (٦٥) .

" قال المأذون الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة
وانا لنظنك من الكاذبين ، قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكنى رسول
من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ، أو
عجبتكم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ، واذكروا
اذ جعل خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطة فاذا كروا
آلاء الله لعلمكم تفلحون ، قالوا أجهتتا لنعبد الله وحده
ونذرا ما كان يعبد آباؤنا فأنتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ،
قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوننى فى أسماء
سميتوها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانظروا انى
محكم من المنتظرين " (١)

فترى المأذون قوم نوح وهم الكبراء والسادة الأشراف ،
يقولون له : " انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين "
فهود عليه السلام زين عبادة الأوثان ونسب من اشتغل بعبادتها
الى السفاهة وقلة العقل ، فلما ذكر هود هذا الكلام الى أسلافهم
قابلوه بمثله ونسبوه الى السفاهة ، ثم قالوا " وانا لنظنك من
الكاذبين " فى ادعاء الرسالة (٢) قال يا قوم ليست بي سفاهة
كما تدعون على ولكنى رسول من الله سبحانه وتعالى ، أبلغكم

(١) سورة الأعراف آية (٦٦ - ٧١) .

(٢) التفسير الكبير ج ٤ ص ١٥٦ .

رسالته وإنما لكم ناصح أمين (والأمين هو الثقة ، وهو فعيل من أمن يأمن أمنا فهو آمن وأمين بمعنى واحد ، ونراه حينما خاطبه القوم بقولهم " انا لنراك في سفاهة " فذلك يدل على أن ترك الانتقام أولى (١) ومعناه حمق وخفة عقل . (٢)

لأنه كما ذكرنا أن رسل الله تعالى يتفاضون ويحفون ويسامعون في سبيل تثبيت العقيدة كما ذكرنا سابقا في قصة نوح .

" واذكروا إذ جعلناكم خلفاء من بعد قوم نوح " واعلم أن الكلام في الخلفاء والخلائف والخليفة المقصود منه أن تذكر النعم العظيمة بوجوب الرغبة والمحبة وزوال النفرة والصداءة وقد ذكر هود ما هنا نوعين من الأنعام : الأول : أنه تعالى جعلهم خلفاء من بعد نوح ، وذلك بأن أورثهم أرضهم وأموالهم وما يتصل بها من المنافع والمصالح ، والثاني : " وزادكم في الخلق بسطة " والخلق في اللفظة عبارة عن التقدير ، فهذا اللفظ إنما ينطلق على الشيء الذي له مقدار وجثة وحجمية ، فكان المراد حصول الزيادة في أجسامهم ، ومنهم من حمل هذا اللفظ على الزيادة في القوة ، وذلك لأن القوى والقدرة متفاوتة فبعضها أعظم وبعضها أضعف (٣)

-
- (١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٥٧ .
 - (٢) تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٦٧٢ .
 - (٣) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٥٧ .

ونرى هود عليه السلام دعا قومه الى التوحيد وحاول تشيبت
العقيدة في نفوسهم (وترك عبادة الأصنام بالدليل القاطع)
وذلك لأنه بين أن نعم الله عليهم كثيرة عظيمة ، وصريح العقل
يدل على أنه ليس للأصنام شئ من النعم على الخلق لأنها
جمادات ، والجماد لا قدرة له ، على شئ أصلاً ، وثابت أن
العبادة نهاية التعظيم - ونهاية التعظيم لا تلحق الا بمن يصدره
نهاية الانعام ، وذلك يدل على أنه يجب عليهم أن يعبدوا الله ،
وأن لا يعبدوا شيئاً من الأصنام ، ومقصود الله تعالى من ذكر
أقسام انعامه على الصبيد (١)

" قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب " وقع على معنى وجد
وحصل ، والمعنى ؛ ارادة ايقاع العذاب عليكم حصلت من الأزل
الى الأبد ، لأن قولنا ؛ حصل لا اشعار له بالحدوث بعد
ما لم يكن ، " والرجس " لا يمكن أن يكون المراد منه العذاب لأن
المراد من الغضب العذاب ، فلو حملنا الرجس عليه لزم التكرير ،
وأيضاً الرجس ضد التزكية والتطهر ، قال تعالى " تطهروا
وتزكوا " وقال في صفة أهل البيت " ويأهركم تطهيرا " والمراد
التطهر من العقائد الباطلة والأفعال المذمومة ، وإذا كان كذلك ،
وجب أن يكون الرجس عبارة عن العقائد الباطلة والأفعال المذمومة .

(١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٥٩ .

وحاصل الكلام في الآية : أن القوم لما أصروا على التقليل وعدم الانقياد للدليل زادهم الله كفرا ، وهو المراد من قوله : " قد وقع عليكم من ربكم رجس " ثم خصهم بمزيد من الغضب ، وهو " غضب " (١)

بها يشبه ذلك المعنى جاء معنى الرجس أنه (الرهين) على القلب بزيادة الكفر (٢)

ثم قال تعالى " أتجاد لونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان " الاستفهام هنا على سبيل الإنكار ، وذلك لأنهم يسمون الأصنام بالآلهة ، مع أن معنى الآلهة فيها معدوم ، وسموا واحدا منها بالعزى مشتقا من العز ، والله ما أعطاه عزا أصلا ، وسموا آخر منها باللات ، وليس له من الآلهة شيء ، وقوله " ما نزل الله بها من سلطان " عبارة عن خلوص مذاهبيهم عن الحجة والبينة ، ثم انه عليه السلام ذكر لهم وصيदा مجددا فقال " فانتظروا " ما يحصل لكم من عبادة هذه الأصنام . " اني معكم من المنتظرين " (٣)

فنرى من خلال جدل هود مع قومه كيف أنه غاطبهم بالحسنى وأقرهم على تثبيت العقيدة بتعداد نعم الله عليهم ، وتلك طريقة من طرق اثبات الرسل للعقيدة ألا وهي تعداد النعم .

(١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٦٠ .

(٢) تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٦٢٣ .

ونبى الله صالح بين أيضا طريق العقيدة ويحاول أن يثبتها
فى نفوس قومه فيقول لهم :

" قال يا قوم اعبدا الله ما لكم من اله غيره " (١)

دعاهم الى عبادة الله وتوحيده حيث دعاهم الى خلوص
عقائد هم من الشرك وتنقية نفوسهم من الضلال .
وحاول أن يثبت العقيدة فى نفوسهم بتذكيرهم بنعم الله تعالى
عليهم فقال :

" واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض

تتخذون من سهولها قصورا وتحتون الجبال بيوتا فاذكروا
آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين " (٢)

أى أنه تعالى حينما أهلك عاد خلفهم ثمود فى بلادهم .

" وبوأكم فى الأرض " أنزلكم ، والبوأ : المنزل من الأرض ، أى فى

أرض الحجاز بين الحجاز والشام .

" تتخذون من سهولها قصورا " أى تبوءون القصور من سهول

الأرض ، فان القصور انما تبنى من الطين واللين والأجر ، وهذه

الأشياء انما تتخذ من سهولة الأرض " وتحتون من الجبال بيوتا "

يريد تحتون بيوتا من الجبال تسقفونها (٣)

(١) سورة الأعراف آية (٦٥) .

(٢) سورة الأعراف آية (٧٤) .

(٣) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٦٤ .

ثم قال : " فاذكروا آلاء الله " يعنى قد ذكرت لكم بعض أقسام ما آتاكم الله من النعم ، وذكر الكل طويل ، فاذكروا أنتم بعقولكم ما فيها " ولا تعثوا فى الأرض مفسدين " وهو المنع من كل أنواع الفساد (١) وجاء معناه فى تفسير المنار :

(أن عثوا بمعنى أفسد وكفر وتكبر وفيه معنى الإسراف والتبذير ومعناه : لا تتصرفوا فى هذه النعم تصرف عثيان وكفر بمخالفة ما يرضى الله فيها حال كونكم متصفين بالافساد ثابتين عليه (٢) من ذلك نرى أن رسل الله تعالى حاولوا بثتى الطرق تشيبت العقيدة فى نفوس أقوام كانوا جبلة على عبادة غير الله وإشراك غيره معه فنراهم فى الباطل يعمهون ، فجاء رسل الله اليهم وحاولوا افهامهم واقناعهم بالحق من الباطل وبيان نتيجة وعاقبة كل منهم على حياتهم فنراهم يرسمون لهم طريق الحق ويوضحونه ، ويبعدونهم عن طريق الباطل ويفهمونهم بدعوتهم الى تنقية عقيدتهم وخلصها لله الواحد الأحد كما سبق ومر بنا ، من موقف كل رسول مع قومه .

(١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٦٤ .

(٢) تفسير المنار المجلد الثامن ج ٨ ص ٥٠٤ .

ولوط عليه السلام حيث دعا قومه الى العقيدة بقوله :
” ان قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين ، فاتقوا
الله وأطيعون ” (١)

دعاهم الى التقوى ، وهو كما نعلم مشنطة على كل أنواع
العبادة والطاعة لله حيث تكمن العقيدة ، في طلب منهم أن يتقوا
الله ويطيعوه فيما آتاهم به وهو صدق العقيدة التى بها نجاتهم
من الهلاك ، فكان يخاطبهم ناصحا لهم مشفقا عليهم من عذاب الله
فهدى عوهم الى تقوى الله والى طاعته فيما آتاهم به حتى ينجوا من
الهلاك ولكنهم أبوا وعصوا .

ونرى شعيب عليه السلام أيضا حيث يدعو قومه ويثبت فى نفوسهم

العقيدة فى قوله تعالى :

” والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اصدوا الله مالكم من اله غيره ” (٢)

نراه يثبت العقيدة فى نفوسهم بدعوتهم الى عبادة الله وتوحيده

وعدم اشراك غيره معه ، لأنه هو وحده المستحق للعبادة :

” بل الاله الحق الذى يستحق أن تتوجه القلوب اليه بالدعاء وغيره

هو الله وحده ” (٣)

وهكذا دعوة كل رسول فى قومه : أمرهم بعبادة الله وحده

(١) سورة الشعراء آية (١٦١ - ١٦٢)

(٢) سورة الأعراف آية (٨٥)

(٣) تفسير المنار المجلد الثامن ج ٨ ص ٤٩١

وطاعته وعدم اشراك غيره معه ، وهكذا نرى طرق القصص القرآني
في اثبات العقيدة ، حيث يدعو الرسل أقوامهم الى طاعة الله
وبيان الطريق السليم لهم وجدالهم بالحسنى واللين فمن آمن منهم
نجى .

الفصل الثاني

الفصحة والركالة

القصة والرسالة

تمهيد :

من سنة الله تعالى ارسال الرسل الى الناس مبشرين
ومنذرين ، فهم رسل الله تعالى الى خلقه ، جاءوا بأوامره ونواهيه
(لأن الناس ينظرونهم لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ولا يشعرون بحواقب
أمورهم بفرائضهم ، ولا ينزجرون مع اختلاف أهوائهم ، دون أن يورد
عليهم آداب المرسلين وأخبار القرون الماضية ، فتكون آداب الله
فيهم مستعطة ، وحدوده فيهم متبعة ، وأوامره فيهم مقتضية ،
ووعده ووعيدده فيهم زاجرا ، وقصص من خبر من الأمم واعظا ، فإن
الأخبار العجيبة اذا طرقت الأسماء مع المعاني الغريبة اذا
أهبطت الأذهان ، استمدتها العقول فزاد طمعا ، وحق فهمها ،
فلا يوجد عن بعثة الرسل معدل ولا منهم في انتظام الحق بدل) (١)
فهم يوضحون الأمور طوي ما يجب وخصوصا ما يختص بأحوال
الدنيا والآخرة والحساب والعقاب والجزاء والثواب وما الى ذلك
(لهذا كله كان العقل الانساني محتاجا في قيادة القوى الادراكية
والبدنية الى ما هو خير له في الحياتين الى معين يستعين به في
تحديد أحكام الأعمال وتعيين الوجه في الاحتقاد بصفات الألوهية

(١) أعلام النبوة للماوردي ص ٢٢ .

ومعرفة ما ينبغي أن يحرف من أحوال الآخرة ، والمحجبة في وسائل
السعادة في الدنيا والآخرة ، ولا يكون لهذا المصين سلطان على
نفسه حتى يكون من بنى جنسه ليفهم منه أو عنه ما يقول (١)

لذا نرى الله سبحانه وتعالى قد أرسل إلى كل أمة رسول مشيراً
بالخير ونذيراً من الشر .

وكل قوم جا^ءهم رسول منهم حتى يستطيع التفاهم معهم بلغتهم
قال تعالى " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه " (٢)

وقد قامت القصة القرآنية بإبراز دور المرسلين مع أممهم وتصدت لنرد
شبه الأقوام حول الرسالة والنبوة .

وفي هذا الفصل سأتناول الموضوعات التالية :

١ - الفرق بين الرسالة والنبوة .

٢ - إبراز معارضات الأقوام وشبههم للرسالة .

٣ - رد شبه المعارضات وإثبات الحق في الموضوع وذلك فيما يلي :

(١) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ٨٦ - الطبعة الثانية

١٣٢٧ هـ - ١٩٧٧ م .

(٢) سورة إبراهيم آية (٤) .

إبراز القصة القرآنية لمعارضات القوم لرسالات البشر:

لقد جوه الرسل جميعا بصورة واحدة متماثلة تكررت مع سائر أممهم من العناد والنكران لرسالات الرسل فنجد الأقسام كانوا يعبدون الأصنام وإذا دعاهم رسولهم إلى التوحيد قاوموه وجادلوه وصدوه عجة بأنهم لن يتركوا ما كان يعبد آباءهم .

ولقد تشابهت المعارضات في جدال الأقسام لرسولهم وعرضها لنا القرآن عن طريق قصصه في تسلسل وامضان واتقان يليق بالحكمة الإلهية .

ومجمل المعارضات التي أثارها الأقسام مع الرسل هي :

المعارضة الأولى : أن الرسول لا يضح أن يكون بشرا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويجب أن يكون من صنف الملائكة ، وإذا لم يكن منهم فليكن معه ملك ليدلنا على صدق ذلك الرسول من البشر .

المعارضة الثانية : أن الرسول لا بد وأن يكون ذا جاه وسلطان ولا يمكن أن يكون فقيرا .

ولقد طو تلاء المعارضات نقول أولا بأن من تتبع نصوص القرآن الكريم سوف يرى أن هذه المعارضات ظهرت من عهد سيدنا نوح عليه السلام إلى عهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

الرد على الشبهة الأولى :

لا يجوز أن يكون الرسول واحدا من الملائكة .

لقوله تعالى " وقالوا لولا أنزل عليه ماء ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون " (١)

(أجب تعالى عن هذه الشبهة من وجهين :

الأول : قوله تعالى " ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر " ومعنى القضاء :

الاطمأن والالتزام ، ثم ههنا وجوه :

الأول : ان انزال الماء على البشرية باهرة ، فبتقدير انزال الملك

على هؤلاء الكفار فرما يؤمنون كما قال " ولو أننا أنزلنا

اليهم الملائكة " الى قوله " ما كانوا يؤمنون الا أن يشاء

الله " واذ لم يؤمنوا وجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال ،

فان سنة الله جارئة بأن عند ظهور الآية الباهرة ان لم

يؤمنوا جاءهم عذاب الاستئصال ، فههنا ما أنزل الله

تعالى الملك اليهم لئلا يستحقوا هذا العذاب (٢)

والوجه الثاني :

أنهم اذا شاهدوا الملك زهقت أرواحهم من هول ما يشهدون ،

(١) سورة الأنعام آية (٩) .

(٢) التفسير الكبير ج ١٢ ص ١٦١ .

وتقريره : أن الآدمي إذا رأى الطلح فاما أن يراه
طوى صورته الأصلية أو طوى صورة البشر
فان كان الأول - ملكا - لم يبق الآدمي حيا ، ألا ترى
أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل عليه
السلام طوى صورته الأصلية فحشى عليه ، وان كان الثاني
- بشرا - فعينقد يكون المرثى شخصا طوى صورة البشر
وذلك لا يتفاوت الحال فيه سواء كان هو فو نفسه
ملكا أو بشرا ، ألا ترى أن جميع الرسل عابنوا العلافكة
فوى صورة البشر كأضياف ابراهيم ، وأضياف لوط ،
وكالذين تسوروا المحراب ، ولجبريل حيث تمثل لمريم
بشرا سويا .

والوجه الثالث :

أن انزال الطلح وان كان يدفع الشبهات المذكورة الا
أنه يقوى الشبهات من وجه آخر ، وذلك لأن أى معجزة
ظهرت عليه قالوا هذا فعلا ، فعلته باختيارك وقدرتك
ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة والعلم
لفعلنا مثل ما فعلته أنت ، فعلنا أن انزال الطلح
وان كان يدفع الشبهة من الوجوه المذكورة لمكنه يقوى
الشبهة من هذه الوجوه .

وقوله : " ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا " أى لجعلناه فسى

صورة البشر .

والحكمة في ذلك، أمور :

- ١ - أن الجنس الو الجنس أميل .
- ٢ - أن البشر لا يطعم، رؤية الملك .
- ٣ - ان طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة البشر ، وربما لا يعذرونهم في الاقدام على المعاصي .
- ٤ - أن النبوة فضل من الله فيختص بها من يشاء من عباده ، سواء كان ملكا أو بشرا (١)

ففي قصة نوح نرى قوله تعالى " أو عجبتم أن جاءكم نكركم من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتنتقوا ولعلكم ترحمون " (٢)

- (نسب القوم ادعاء نوح للنبوة الى الضلال من عدة وجوه منها :
- أن بتقدير : أنه لا بد من الرسول ، وأن ارسال الملائكة ألو ، لأن مهابتهم أشد وطهارتهم أكمل ، واستغناءهم عن المأكول والمشروب أظهر ، ويحدهم عن الكذب والباطل أعظم .

ومن هذه الوجوه :

- أن بتقدير : أن يبحث رسولا من البشر ، فلعل القوم اعتقدوا أن من كان فقيرا ولم يكن له تبع ورياسة فانه لا يليق به منصب الرسالة ، ولعلمهم اعتقدوا أن الذي ظن نوح طيه السلام أنه من باب الوحي ، فهو من جنس الجنون والعمه وتخيبات الشيطان

(١) التفسير الكبير ج ١٢ ص ١٦٢ .

(٢) سورة الأعراف آية (٦٣) .

فهذا هو الاشارة الى مجامع الوجوه التي لأجلها أنكر الكفار رسالة رجل معين ، فلهذه الأسباب حكموا على نوح بالضلالة ، ثم أن نوحا طيه السلام أزال تعجبهم وقال : انه تعالى خالق الخلق فله بحكم الالهية أن يأمر عبده ببعض الأشياء وبينها هم عن بعضها ولا يجوز أن يخاطبهم بتلك التكليف من غير واسطة ، لأن ذلك ينتهي الى حد اللجاء وهو يناقض (١) التكليف)

ولقد تكررت هذه المعارضة على كون الرسول رجلا من البشر ففي قصة هود نرى في قوله تعالى " أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم " (٢) فكان عجب القوم أن الله تعالى قد أرسل اليهم رسولا بشرا ذكر ولم يكن ملكا أو جنيا .

ونرى هذه المعارضة على رسول الله صالح حيث يقول له قومه " ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين " (٣) (أي ما أنت يا صالح الا بشر مثلنا من بنى آدم تأكل ما تأكل ، وتشرب ما تشرب ، ولست برب ولا ملك ، فعلام نتبعك) (٤)

-
- (١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٥٢ .
 - (٢) سورة الأعراف آية (٦٩) .
 - (٣) سورة الشعراء آية (١٥٤) .
 - (٤) تفسير الطبري ج ١٩ ص ١٠٢ .

ونرى المعارضة على كون الرسول بشرا مثلهم مع نهي الله
هود عليه السلام حيث يقولون له في قوله " وما أنت الا بشر مثلنا
وان نظنك لمن الكاذبين " (١)

(أى تأكل وتشرب " ان نظنك لمن الكاذبين " وما حسبك فيما
تخبرنا وتدعونا اليه ، الا ممن كذب فيما يقول) (٢)

ومما يدعم ما جاء في هذه الآية ما ذكرناه في الآية التي تسبقها
حيث كذبوا رسولهم صالح وتعجبوا كون الرسول ذكرا .

ولكن الله تعالى بين لهم حكمة ذلك في عديد من القصص
والسور القرآنية اذ هنالك حكم من كون الرسول رجلا ذكرا من البشر
ولقد ذكرنا الحكمة من ذلك وبها نكون قد ردنا شبههم عن
بشرية الرسل .

(١) سورة الشعراء آية (١٨٦) .

(٢) تفسير الداهري ج ١ ص ١٠٩ .

الرد على الشبهة الثانية :

وهي أن الرسول لا بد وأن يكون له جاه وسلطان والا يمكن أن يكون فقيرا ، وكونه اتبعه أراذل القوم ، ذلك مما ينقص من قسده عندهم ، ولا يصدقون .

ففي قصة سيدنا نوح عليه السلام ترى في قوله تعالى :
" وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ، وما نرى لكم طينا من فضل بل نظنكم كاذبين " (١)

رذل : الرذل والرذال المرغوب عنه لردائه والأرذلون جموع الأراذل . (٢)

(فالمراد منه قلة مالهم وقلة جاههم ودناءة حرفهم وصناعتهم ، هذا جهل لأن الرفعة في الدين لا تكون بالحسب والمال والمناصب العالمية ، بل الفقراء هم طي الدين من الغنى ، بل نقول : ابن الأنبياء ما بعثوا إلا لترك الدنيا والاقبال على الآخرة ، فكيف تجعل قلة المال في الدنيا طعنا في النبوة والرسالة) (٣)

(ولكنهم قوم يجهلون سنة الله في ذلك ، كما يجهلون أن نوحا عليه السلام جاء برسالة من ربه ، وبهمه أن تبلغ الناس ، ملوكهم

(١) المفردات للأصفهاني ص ١٩٤ مادة "رذل" .

(٢) سورة هود آية (٢٧) .

(٣) التفسير الكبير ج ١٧ ص ٢١٢ .

وسوقتهم ، أغنياءهم وفقراءهم ، ولا يستطيع أن يحتقر مؤمنا لفقره
أو يقدر علينا لفتنا (١)

"بادى الرأى " أى الا الذين هم أراذلنا فى ظاهر الرأى وفيما
يظهر لنا " وما نرى لكم طينا من فضل " يقول : وما نتبين لكم طينا
من فضل نلتموه بمخالفتكم ايانا فى عبادة الأوثان الى عبادة الله ،
واخلاص العبادة له ، فنتبعكم طلب ذلك الفضل ، وابتغينا
ما أصبتموه بخلافكم ايانا (٢)

(فنراهم على ذلك يقولون : أن أتباعه من أراذل القوم وأدناهم
منزلة ، كأصحاب المهن الحقيرة من الصناع والحمال ، ولو كانت هذه
الدعوة التى يدعوها حقة لكان أتباعه من أصحاب العقول الراجحة ،
والثراء الواسع ، وذوى المكانة الذين يتبعونه عن بحث واقتناع
أما أراذل القوم فيتبعونه " بادي الأمر " بدون روية ولا نظر ويصبح
تقدير الشبهة على وجه آخر تفسره القصة فى سورة الشعراء :
" قالوا أنؤمن لك واتبعك الأراذلون " (٣) يريدون أن لا يثبثوا أن
نتبعك وقد اتبعك سفلة القوم وفقراءهم ، ولا يصلح لنا - مع ما نحن
فيه من قوة وفتى - أن نكون قرناء لأولئك الأراذل فيجمعنا معهم

(١) دعوة الرسل ص ٧ .

(٢) تفسير الطبرى ج ١٢ ص ٢٧ .

(٣) سورة الشعراء آية (١١١) .

دين واحد وملة واحدة ، وسواءً جرينا على ذلك الوجه أو ذاك ،
فاتباع الأراذل لنبي الله نوح ذنب له وسيفه من سيئاته ، فيعتذر
نبي الله نوح لهم بأنه لا يستطيع أن يطرد المؤمنين لبساطة عقولهم ،
أو دناءة مهنتهم ، ويقول لهم : من الذى ينصره من عذاب الله اذا
هو طردهم عن مجلسه ؟ وأبعدهم عن محبته وعطفه ؟ وما دام صاحب
مبدأ وحقيقة فهو يرحب بكل من يمتنق ذلك المبدأ أيا كانت مهنته ،
ولو كانوا أهل العلم ما عابوا على نوح أن تبمه الفقراء والضعفاء
(١) لأنهم أتباع الرسل فى كل زمان ومكان)

(والرزق فى الدنيا لا تدل سعته وضيقه على حال المحق والمبطل
فكم من موسر شقى ومعسر تقى . فقلة الرزق وضيق العيش وكثرة
المال وخصب الميث بالمشيئة من غير اختصاص بالفاسق والصالح) (٢)

وهكذا دائما نرى أغنياء القوم هم الذين يجابهون الرسل
استعلاءً بجاههم وفناهم ، فنرى قوم صالح أيضا فى قوله تعالى :
" قال المأء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم
أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون ،
قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون " (٣)

(المأء : هم الذين تمطى القلوب من هيبتهم ، ومعنى الآية : قال

(١) دعوة الرسل ص ٦ ، ٧ .

(٢) التفسير الكبير ج ٢٥ ص ٢٦٢ .

(٣) سورة الأعراف آية (٧٥ - ٧٦) .

المأ وهو الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا ، يريد المساكين
الذين آمنوا به ، وقوله ؛ " لمن آمن منهم " بدل من قوله " الذين
استضعفوا " لأنهم المؤمنون . وأظلم أنه وصف أولئك الكفار بكونهم
مستكبرين ، ووصف أولئك المؤمنين بكونهم مستضعفين ، وكونهم
مستكبرين فعل استوجبوا به الذم ، وكون المؤمنين مستضعفين معناه ؛
أن غيرهم يستضعفهم ويستعقروهم ، وهذا ليس فهلا صادرا عنهم بل
عن غيرهم ، فهو لا يكون صفة ذم في حقهم ، بل الذم عائد الى الذين
يستعقروهم ويستضعفونهم ، ثم حكى تعالى أن هؤلاء المستكبرين
سألوا المستضعفين عن حال صالح فقال المستضعفون نحن مؤمنون
مصدقون بما جاء به صالح ، وقال المستكبرون ؛ بل نحن كافرون
بما جاء به صالح ، وهذه الآية من أعظم ما يحتج به في بيان أن
الفقر خير من الغنى ، وذلك لأن الاستكبار انما يتولد من كثرة
المال والجاه ، والاستضعاف انما يحصل من قلتها ، فبين تعالى
أن كثرة المال والجاه حطهم على التمرد ، والاباء ، والانكار ، والكفر ،
وقلة المال والجاه حطهم على الايمان ، والتصديق ، والانقياد ،
وذلك يدل على أن الفقر خير من الغنى (١)

وتوضيحا لهذه المعاني تكون قد ردنا على هذه المعارضات
وأن من طار في كون الرسول بشرا يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
ويجب أن يكون ذا جاه وسلطان وأنه لا يمكن أن يكون فقيرا ، وأن

(١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٦٥ .

أتباه هم أراذل القوم وضعافنا الناس .

كل هذه المعارضات مردودة عليهم بما وضعناه من أقوال المفسرين في ذلك ، وأن هذه المعارضات لا أساس لها من الصحة بل هي واهية كبيوت العنكبوت فمن دائما ترى رسل الله الكرام (يذكرون أقوامهم بما ضييعهم معهم ، وأنهم لم يبعثوا فيهم جبارين ، مبشرين ومنذرين ، أمنا ناصحين ، لا يتفنون من دعوتهم سوى إرضائهم لربهم ، وإسعادهم لشعوبهم ، لا ينتظرون منهم أجرا على دعوتهم ، بل ينتظرونه من الذي فطرهم ، ومؤمنين بأحقية ما يقولون ، وجسدير يقوم ذلك حالهم ، وهذا ماضيهم ، أن تسمع الناس لهم) (١)

كما نراهم (لا يدعون البشرية لأمر شان ، إنما يدعونهم إلى الأصل الذي يقوم عليه الوجود كله ، وإلى الحقيقة المركوزة في ضمير هذا الوجود . . . وهي ذاتها الحقيقة المركوزة في فطرة البشر ، والتي تهتف بها فطرتهم عين لا تلوى بها الشبهات ولا يقودها الشيطان بعيدا عن حقيقتها الأصلية) (٢)

(١) دعوة الرسل إلى الله ص ٤ .

(٢) في ظلال القرآن المجلد الثالث ج ٩ ص ١٣٠٧ .

الفصل الثالث

القصّة والعبيادة

الفصل الثالث

القصة والعبادة

تمهيد :

العبادة في كل دين هي الأفق التي يتطلع اليها كل متدين ، ولقد جعلها الله تعالى هي الحكمة من خلق عباده فقال :

" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين " (١)

والأمور التعبدية من صلاة وزكاة وصوم وحج كلها أمور موجهة للخير والصلاح في الانسان فتوجهه توجيهها سليما ظاهرا ، فتدعو الى الطهر في النفس وفي الضمير وفي الوجدان .
وسوف نبحث في هذا الفصل في عدة نقاط هي :

أ - العبادة لغة واصطلاحا .

ب - اثبات العبادات .

ج - بيان الصلة بين العبادات الاسلامية والعبادات في الأديان السابقة .

(١) سورة الذاريات آية (٥٦ - ٥٨) .

العبادة في اللغة :

العبادة في اللغة من **الذلة** العبودية يقال طريق **معبد**
وبغير معبد أي مذلل . (١)

ويقول صاحب تفسير المنار في معنى العبادة شرعا :

(يقولون أن العبادة هي الداعة مع غاية الخضوع ، وما كمل
عبارة تمثل المعنى تمام التمثيل ، وتجليه للأفهام واضحا لا يقبل
التأويل ، فكثيرا ما يفسرون الشيء بـ **بمعنى** لوازمه ويعرفون الحقيقة
بـ **بوسومها** ، بل يكتفون أحيانا بالتعريف اللغوي ويبينون الكلمة بما
يقرب من معناها ، ومن ذلك هذه العبارة ، فإن فيها اجمالا وتساها
وأنا إذا تتبعنا أي القرآن وأساليب اللغة **واستعمال** العرب للمبد
وما يماثلها ويقاربها في المعنى - كخضع وخشع وأطاع وذل - نجد
أنه لا شيء من هذه الألفاظ يماثل "عبد" (٢)
(والعبادة لا تليق إلا بمن صدر عنه غاية الانعام) (٣)

وهذا قد اتفقت عليه جميع الآراء ولا جدال في أن العبادة

لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى .

-
- (١) ابن كثير ج ١ ص ٣٥ .
 - (٢) تفسير المنار ج ١ ص ٥٦ .
 - (٣) التفسير الكبير ج ١ ص ٢٤٢ .

(وتدل الأساليب الصحيحة والاستعمال العربي الصراح على
أن القيادة ضرب من الخضوع بالغ عد النهاية ناشئ^٥ عن استشعار
القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشأها ، واعتقاده بسلطة لا يدرك
كنهها وماهيتها ، وقصارى ما يعرفه منها أنها محيطه به ولكنها
فوق ادراكه) (١)

(١) تفسير المنار المجلد ١ ج ١ ص ٥٧ •

اثبات العبادات :

اتفقت الرسالات في اثبات الواحدانية لله سبحانه
وتعالى وبالتالي كان عتقا أن اتفقت بالضرورة الى التوجه النسب
الله الواحد بالعبادة الخالصة ، وفيها يشعر الانسان بالحاجة
الى خالقه ولقد مر بنا تعريف العبادة ان هي : الذلة والخضوع .
والعبادة تكون مظاهرها وتأصلها في نفس الانسان وكيانه
حيث يشعر أنه يعين بقوى غيبية فوق قوى الكون والاسباب .
وصاحب هذا السلطان هو الله سبحانه وتعالى ، وهو المستحق
للعبادة وحده دون سواه .

والعبادات التي دعا اليها الرسل نوطان :

النوع الأول : (معدود مقدر مكيف مقدس لا يقبل التغيير
والتبديل) (١)

النوع الثاني : (ليس كذلك ويدخل في دائرة الأخلاقيات المشتملة
على كل ما هو حسن وصالح) (٢)

أما عن النوع الأول فيقول العقاد عنه : (أنها شعائر توقيفية
تؤخذ بأوضاعها وأشكالها) (٣)

(١) ، (٢) الدعوة الاسلامية ص ١٥٦ .
(٣) حقائق الاسلام ص ١٠٤ الطبعة الثانية .

والعبادات يقول عنها العقاد : (الغرض من عبادات الأديان
ينظوى على أغراض متشعبة يضيق بها الحصر لأنها تقابل أغراض
الدنيا جميعا وأغراض الدين ولكننا قد نجعلها جهد المستطاع
في تنبيه المتدين على الدوام إلى حقيقتين :
أحدهما : التو يزداد من العبادة المثلوية أن تنبه اليها ضمير
الإنسان على الدوام على وجوده الروحي الذي ينبغي أن
تشغله على الدوام بمطالب غير مطالبه الجسدية وغيـر
شهواته الحيوانية .

والحقيقة الأخرى : التو يزداد من العبادة المثلوية بأن تنبه اليها
ضميره : هو الوجود الخالد الباقي إلى جانب وجوده الزائل
المحدود في حياته الفردية (١)

أذن هاتين حقيقتين يجب أن يتنبه اليه الإنسان ألا وهما :
وجوده الروحي المتصل بالله سبحانه وتعالى ، تنبيه ضميره
إلى هذا الوجود الخالد والصلة الوثيقة بخالقه تعالى .
والعبادات المحددة : كالصوم والصلاة والزكاة والحج اتفقت
الرسالات السابقة في وضع أصولها للناس حتى تتحقق السمسادة
البشرية والاختصاص لله تعالى .

(١) حقائق الإسلام ص ١٠٥ - ١٠٦ .

فسيدنا ابراهيم عليه السلام نراه يدعوه ربه أن يمكنه وذريته

من واقامة الصلاة فيقول :

" رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء " (١)

وتقدير الآية :

" رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى " : أى واجعل بعض ذريتى

كذلك لأن الكلمة " من " للتبعيض ، وانما ذكر هذا التبعض لأنه علم باعلام الله تعالى أنه يكون فى ذريته جمع من الكفار وذلك

قوله " لا ينال عهدى الظالمين " .

وأنه عليه السلام لما دعا الله فى المطالب المذكورة دعا

الله تعالى فى أن يقبل دعاءه فقال : " ربنا وتقبل دعاء "

وقال ابن عباس : يريد عبادتى بدليل قوله تعالى " وأعتزلکم

وما تدعون من دون الله " (٢)

ولقد استحق سيدنا اسماعيل المدح من أجل اقامته للصلاة :

" وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا " (٣)

(اشتغالا بالأهم وهو أن يبدأ الرجل بعد تكميل نفسه

بتكميل من هو أقرب الناس اليه قال تعالى " وأنذر عشيرتلك

الأقربين وأمر أهلك بالصلاة وقوا أنفسكم وأهليكم نارا " (٤)

(١) سورة ابراهيم آية (٤٠) .

(٢) التفسير الكبير ج ١٥ ص ١٣٩ .

(٣) سورة مريم آية (٥٥) .

(٤) تفسير روح المعانى المجلد ٦ ج ١٦ ص ١٠٥ .

وأول ما أمر به موسى عليه السلام حينما كلف بالرسالة هو الصلاة حيث قال تعالى له :

" اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري " (١)

" فأعبدنى " : تخصيص العبادة به عزوجل ، والمراد بها غاية التذلل " وأقم الصلاة " خصت الصلاة بالذكر وأفردت بالأمر مع اندراجها فى الأمر بالعبادة لفضلها واناقتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره (٢)

ونرى من وصايا لقمان لابنه :

" يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور " (٣)

(هذا هو طريق العبادة المرسوم ، توحيد الله ، وشعور برقابته ، وتطلع الى ما عنده ، وثقة فى عدله ، زاد العبادة لله والتوجه اليه بالصلاة - وعزم الأمور - قطع الطريق على التردد فيها بعد العزم) (٤)

والصلاة هى أول ما نطق به عيسى فى المهد اذ قال :

" وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا " (٥)

-
- (١) سورة طه آية (١٤) .
 - (٢) تفسير روح المعاني المجلد ١٦ ص ١٧١ .
 - (٣) سورة لقمان آية (١٧) .
 - (٤) فى ظلال القرآن المجلد ٥ ج ٢١ ص ٢٧٥٠ .
 - (٥) سورة مريم آية (٣١) .

(أي أمرني بهما أمرا موكدًا ، وقيل المراد بالزكاة زكاة الفطر ،
(١) وقيل المراد بالصلاة الدعاء والزكاة تطهير النفس عن الرذائل)
ونلاحظ أن الصلوات الواردة على السنة الرسل هي أعمال
مكررة في مواعيد ثابتة يكون فيها الخشوع والخضوع ، وكيفية
الصلاة من ناحية الاحاطة فيها تحتل رأيين قالهما الرازي
في تفسيره لقوله تعالى " وأقم الصلاة لذكري " (٢) :

الأول : أن يطلع الله كل رسول لا على كيفية صلاة الأمم
السابقة وتفاصيلها وهيأتها لتبقى معلومة لديه .

الثاني : أن لا يطلع الرسل على التفاصيل وإنما يعرفهم
بها في اجمال . (٣)

(١) روح المعاني المجلد ٦ ج ١٦ ص ٨٢ .

(٢) سورة طه آية (١٤) .

(٣) التفسير الكبير للرازي ج ٢٢ ص ١٩ .

والركوع والسجود : أيضا فنرى ابراهيم عليه السلام يقول :

" طهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود " (١)

ويقول الرازي في تفسير لهذه الآية :

(البيت ما كان معمورا قبل ذلك فكيف قال : وطهر بيتي ؟

الجواب :

لعل ذلك المكان كان صحراء وكانوا يرمون اليها الأقدار ،

فأمر ابراهيم ببناء البيت في ذلك المكان وتطهره من الأقدار ،

وكانت مغمورة فكانوا قد وضعوا فيها أصناما وأمره الله تعالى

بتخريب ذلك البناء ووضع بناء جديد . وذلك هو التطهير

عن الأوثان ، وأو يقال المراد أنك بعد أن تبنيه فطهره

عما لا ينبغي من الشرك وقول الزور ، وأما قوله " للطائفين "

والقائمين " : (القائمين) : أي المقيمين بها ، " والركع

السجود " أي من المصلين من الكل ، وقال آخرون القائمون وهم

المصلون ، لأن المصلي لا يد وأن يكون

(٢)

القيام والركوع والسجود)

.. ومريم نوديت أيضا :

" يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين " (٣)

(هو إشارة الى الأمر بالصلاة) وقوله " اسجدي واركعي " يعني

(١) سورة الحج آية (٢٦) .

(٢) التفسير الكبير ج ٢٣ ص ٢٧ .

(٣) سورة آل عمران آية (٤٣) .

استعملى السجود في وقته اللائق به ، واستعملى الركوع في
وقته اللائق به . (١)

والزكاة أيضا : وهي اعطاء المحتاج جزءا من المال معونة
ومساعدة له ، جاءت أصولها في الرسائل السابقة :

فابراهيم عليه السلام وابنه اسحق يقول تعالى عنهما :
" وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ووحينا اليهم فعمل
الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين " (١)

(الآية ظاهرة في أنه كان في الأم السالفة صلاة وزكاة وهو مما
تضافرت عليه النصوص الا أنهما ليسا كالصلاة والزكاة المفروضتين
على هذه الأمة المحمدية) (٢)

واسماعيل عليه السلام كان من صفاته :
" كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة " (٣)

وقال المسيح في مهده أيضا :
" وأوصاني بالصلاة والزكاة " (٤)

(وهذا يدل على أنه تعالى أوصاه بأدائهما في الحال بل
بعد البلوغ فلعل المراد أنه تعالى أوصاه بهما وبأدائهما في

(١) التفسير الكبير ج ٨ ص ٤٤

(٢) سورة الانبياء آية (٧٣) .

(٣) تفسير روح المعاني المجلد ٦ ج ١٧ ص ٧٢ .

(٤) سورة مريم آية (٥٥) .

(٥) سورة مريم آية (٣١) .

(١) الوقت المعين له وهو وقت البلوغ)

والحج : منذ سيدنا ابراهيم عليه السلام معروف لدى الناس

بعد أمر الله تعالى له به ففي قوله تعالى :

" وأذن في الناس بالحج يأتوه رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق " (٢) .

وكما اختلفت كيفية الصلاة فكيفية العبادات على نواحيها

ومنها الصوم : فان جميع الرسالات جعلته امتناعا عن المفطرات

في وقت معلوم وقوله تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " (٣) .

والصيام في اللفظة الامسك ، وفي الشرع الامسك عن

الأكل والشرب وغشيان النساء من الفكج الى المفرب احتسابا

لله ، واعداد النفس وتهيئة لها لتقوى الله بالمراقبة له وتربية

الارادة على ترك كبح جماع الشهوات ، ليقوى صاحبها على

ترك المضار والمحرمات (٤)

(ولقد كتب الصيام على أهل الملل السابقة فكانا ركنا من

كل دين لأنه من أقوى العبادات وأعظم ذرائع التهذيب ، وفي

(١) التفسير الكبير ج ٢١ ص ٢١٥ .

(٢) سورة الحج آية (٢٧) .

(٣) سورة البقرة آية (١٨٣) .

(٤) تفسير المنار المجلد ٢ ج ٢ ص ١٤٣ .

اعلام الله تعالى لنا بأنه فرضه علينا كما فرضه على الذين من قبلنا
اشعاراً بوحدة الدين في أصوله ومقصده ، وتأكيده لأمر
هذه الفرضية وترغيب فيها (١)

ويقول الفخر الرازي في تفسيره : أن التشبيه في قوله :
" كما كتب على الذين من قبلكم " عائد الى أصل ايجاب الصوم ،
يعنى هذه العبادات كانت مكتوبة واجبة على الأنبياء والأمم ،
من لدن آدم الى عهدكم ، ما أغلخى الله أمة من ايجابها عليهم
لا يفرضها عليكم وحدكم ، وفائدة هذا الكلام أن الصوم عبادة شائعة ،
والشئ الشاق اذا عم سهل تحمله (٢)

ولقد رجح في هذه الفرضية الامام محمد عبده في تفسيره :
(أن الصوم تشبيه الفرضية بالفرضية فقط ولا تدخل فيه صفة
ولا عدة أيامه) (٣)
لأن ذلك يكون في كل أمة حسب استعداد المكلفين وأحوالهم
وقدراتهم وذلك يختلف من أمة الى أخرى .

-
- (١) تفسير المنار المجلد ٢ ج ٢ ص ١٤٣ .
 - (٢) ج ٥ ص ٦٩ .
 - (٣) تفسير المنار المجلد ٢ ج ٢ ص ١٤٤ .

بيان الصلة بين العبادات الاسلامية والعبادات فى الأديان السابقة

لا خلاف فى أن أعمال العبادات (انما شرعت لتربية الروح ،
ولذلك شرط فيها النية والاخلاص ومتى تربي سهل على صاحبه
القيام بسائر التكليف الأدبية والمدنية التى يصل بها السلى
المدنية الفاضلة وتحقيق أمنية الحكماء) (١)

فكل عبادة من العبادات قد شرعت لتربية روح الانسان
وتتقى نفسه من الشوائب (وللعبادة صور كثيرة فى كل دين من
الأديان شرعت لتذكير الانسان بذلك الشعور بالسلطان الالهى
الأعلى الذى هو روح العبادة وسرها ، ولكل عبادة من العبادات
الصحيحة أثر فى تقويم أخلاق القائم بها وتهذيب نفسه ،
والأثر انما يكون عن ذلك الروح والشعور الذى قلنا انه منشأ
التعظيم والخضوع) (٢)

وأيضاً كان أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم (يصدق
بعضهم بعضاً فأية كل نبي آية للجميع كما أن آيات أتباعهم
آيات لهم أيضاً ، فما أتى به الأول من الآيات فهو دليل على
ثبوته ومن يبشر به وما أتى به الثانى فهو دليل على نبوته
وهكذا مع كل نبي وما أتى به محمد من الآيات فهو اثبات جنس

(١) تفسير المنار المجلد ٢ ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٧ .

(٣) النبوات لابن تيمية ص ١١٢ ، ١١٣ .

اذن نستطيع أن نشبت أن الصلة وثيقة بين العبادات فى
الأديان السابقة والعبادات الاسلامية حيث أن كل نعى يصدق
من قبله من الأنبياء وما جاؤا به من الهدى والاستقامة للناس
ويكفى أن نعلم أن العبادات سابقا كانت (تضمن الانقياد
لله والامتثال المطلق فى النفس والمال وكافة ما يستطيعه
البشر) (١)

والعبادات الاسلامية تتحد مع أصول العبادات عموما
وتتخطى خطاها ومنهجها ، ولقد جاءتنا واضحة معروفة بدقتها
وكيفيتها ومقدارها ، ولا خلاف فى ذلك أبدا ، اللهم الا بعض
الفروض القليلة فى الفروع وليس فى الأصول ، وبالكلية فهى مترابطة
متأخية لا فرق بينها ، ولقد أشارت كتب أهل الكتاب الى هذا
الترايط وهى تحكى أحوال الرسل عليهم السلام لأقوامهم .
فجاء على لسان عيسى عليه السلام قوله :

" اذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله
اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتى من
بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر
مبين) (٢)

(١) الدعوة الاسلامية ص ١٥٦ .

(٢) سورة الصف آية (٦) .

(يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي
من التوراة) : (التى أنزلت على موسى (ومبشرا) أبشركم
(رسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) (١) ، (٢)

ونلاحظ الكتب المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى لأنها
هى لسان جميع الدعوات - لا تعارض فيها سوا - فى قواعد ها
أو فى أهدافها .

فالتوراة : يقول تعالى عنها :
(٣)
" انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور " (٤)

(أى نحن أنزلنا التوراة على موسى مشتملة على هدى فى العقائد
والأحكام خرج به بنو اسرائيل من وثنية المصريين وضلالهم ،
وعلى نور أبصروا به طريق الاستقلال فى أمر دينهم ودنياهم) (٥)

والانجيل : يقول تعالى عنه :
" وأثباته الانجيل فيه هدى ونور ومصداقا لما بين يديه
من التوراة وهدى وموعظة للمتقين " (٦)

-
- (١) تفسير الطبرى ج ٢٧ ص ٨٧ .
(٢) أحمد : أهمل تفضيل من المسند أى له حمدا كثيرا كما يفيد معناه
وهو مفهوم لفظ " فارقليط " المبشر به فى الانجيل ، انظر
قصص الأنبياء ص ٣٩٨ .
(٣) التوراة : موهنة اللفظ ومعناها الشريعة أنظر تفسير
المنار ج ٦ ص ٣٩٨ .
(٤) سورة المائدة آية (٤٤) .
(٥) روح المعانى المجلد ٦ ج ٦ ص ٣٩٧ .
(٦) سورة المائدة آية (٤٦) .

ر أي أعطيناه الانجيل مشتلا على هدى من الضلال في العقائد والاعمال كالتوحيد النافى للوثنية التي هي مصدر الخرافات والأباطيل ، ونور يبصر به طالب الحق طريقه الموصل اليه من الدلائل والأمثال ، والفضائل والآداب ، ومصداقا للتوراة التي تقدمته ، أي مشتلا على النص بتصديق التوراة ، ثم زاد في وصفه عطفًا على تلك الاحوال فجعله نفسه هدى من وجه آخر وموعظة للمتقين ، لأنهم هم الذين ينتفعون به اذ لا يفوتهم شيء من الكتاب لحرصهم عليه ، وعنايتهم به ، والحكمة في هذا النوع من الهدى والموعظة فقه أسرار الشريعة ومعرفة حكمتها والمقصد منها ، والعلم بأن وراء تلك التوراة وهذا الانجيل هداية أتم وأكمل ودينا أعم وأشمل (١)

فالانجيل مصدق للتوراة وشموله على الهدى والرشاد الذي وافق عصر نزوله في ذلك الوقت .

وكذلك القرآن : نرى فيه قوله تعالى :

" وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه " (٢)

(أي وأنزلنا اليك الكتاب الكامل الذي أكملنا به الدين ، فكان

(١) تفسير المنار المجلد ٦ ج ٦ ص ٤٠١ - ٤٠٢

(٢) سورة المائدة آية (٤٨) .

هو الجدير بأن ينصرف اليه معنى الكتاب الالهي ، وهو القرآن
المجيد - هذه حكمة التعبير بالكتاب بعد التعبير عن كتاب موسى
باسمه الخاص (التوراة) وعن كتاب عيسى باسمه الخاص (الانجيل)
- ومثل هذا اطلاق لفظ النبي حتى في كتبهم - وقوله الحق معناه :
أنزلناه مطهرا بالحق مؤيدا به ، مشتتلا عليه مقرا له ، بحيث
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مصدقا لما تقدمه
من جنس الكتب الالهية كالتوراة والانجيل ، أي ناطقا بتصديق
كونها من عند الله ، وأن الرسل الذين جاؤا بها لم يفتروها
من عند أنفسهم ، وقوله " مهيمنا عليه " أي على جنس الكتاب
الالهي - فمعناه أنه رقيب عليها وشهيد ، بما يبينه من حقيقة
حالتها - في أصل انزالها ، وما كان من شأن من غوطبوا بها ،
من نسيان حظ عظيم منها واضاعته ، وتحريف كثير مما بقي منها
وتأويله ، والاعراض عن الحكم والعمل بها ، فهو يحكم عليها
لأنه جاء بعد ما (١)

" مصدقا لما بين يديه من الكتاب " أي كل كتاب نزل من السماء
سوى القرآن ، وكان القرآن مهيمنا على الكتب لأنه الكتاب
الذي لا يصير منسوخا البتة ، ولا يتطرق اليه التبديل والتحريف
على ما قاله تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ،

(١) تفسير المنار ج ٦ ص ٤١٠ - ٤١١ .

وإذا كان كذلك كانت شهادة القرآن على أن التوراة والانجيل
والزبور حق صدق باقية أيدا ، فكانت حقيقة هذه الكتب معلومة
أبدا (١)

ان احاطتنا بأن العبادات الاسلامية والعبادات السابقة
على صلة وثيقة ببعضها هو (تعريف بالدعوة الاسلامية أولا
وتحقيق جو صالح للايمان بها عند المؤمنين برسالة سابقة
ثانيا ، ثم ان وضعها في اطارها الموضوعي يحقق لها التجانس
مع الفكر البشرى والملازمة مع دين الله الذي نزل من قديم) (٢)

-
- (١) التفسير الكبير ج ١٢ ص ١١
 - (٢) الدعوة الاسلامية ص ١٧٩

الفصل الرابع

القصّة والأخلاق

الفصل الرابع

القصة والأخلاق

تمهيد :

دعى الرسل الى الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة
التي يجب أن يتحلى بها المسلم ، وبدأت هذه الدعوى التي
الأخلاق مع بداية دعوتهم عليهم السلام .

ولقد بدؤوا هكذا لأن الايمان بالله قرين الأخلاق الفاضلة
وكلا منهما يستلزم الخشوع والخضوع والطاعة المطلقة لله سبحانه
وتعالى ، وبما أن الأخلاق تقرن بالايمان لذا نرى القصة
القرآنية قد أتت لنا على يد كل رسول بخلق يتبناه لقومه بحسب
ما يحتاجونه ، وبحسب ما يقتضيه وضعهم الاجتماعي في ذلك
الوقت .

وفي هذا الفصل من الباب سأتكلم عن :

- ١ - مفهوم الخلق .
- ٢ - التعريف بأصناف الأخلاق .
- ٣ - منهج القصة في اثبات الأخلاق .
- ٤ - الدعوة النظرية الى الأخلاق في حياة الرسل .
- ٥ - التطبيق العلمي للأخلاق في حياة الرسل .

مفهوم الخلق :

قال صاحب القاموس المحيط : الخلق السجية والمروءة والطبع
والدين : (١)

أما عن معانيه عند علماء الأخلاق فكثيرة وأقربها السجية
الصحة هو تعريف الامام الغزالي فهو عنده :
(عبارة عن هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال
بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية ، فان كانت الهيئة
بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا ،
سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا) (٢)

ومعنى ذلك أن الأخلاق هي (انفعال الظاهر بحركة
الباطن وارادته) (٣) وهذا مما يجعلنا نربط الأخلاق بالحقيدة
لأنهما متلازمان لا تنفك كل منهما عن الأخرى .

-
- (١) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٣٦ فصل الغاء باب القاف .
(٢) الاحياء ج ٣ ص ٥٣ .
(٣) الدعوة الاسلامية ص ٢٦ .

التعريف بأسماء الأخلاق :

تعريف الأم : (كما نقول ان النواة أم النخلة فان النسوة
مشتقة طوى ، شجرة النخلة كلها حقيقة) (١)

(والأم هي الأصل والمعدن ، وأن يكون غيرها كالجداول المتشعبة
منها) (٢)

إذا قلنا : أسماء الأخلاق أن أصول الأخلاق التي هي أصل
وله فروع .

فالقصص القرآني نراه يشتمل طوى أسماء الأخلاق ويركز عليها
ويدعولها .

لذا كان لزاما علينا أن نذكرها بالاجمال لتكون طوى بينة من
الأمر ، وان كان بحثها طويلا يحتاج الى صفحات كثيرة ولكننا نذكرها
مجلة ، يقول الامام الفزالي :

(أسماء الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة ، والشجاعة ،
والعفة ، والعدل . ونعني بالحكمة حالة للنفس يميل ويهرك الصواب
من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية .

ونعني بالعدل : حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحفظها
طوى مقتضى الحكمة وتسهلها في الاسترسال والانقباض طوى حسب مقتضاها .

(١) تفسير المنار ج ١ ص ٣٨ .

(٢) التفسير الكبير ج ١ ص ١٨٠ .

ونعنى بالشجاعة : كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها
واحجامها ، ونعنى بالعفة : تأديب قوة الشهوة بتأديب العقل
والشرع ، فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة
كلها .

ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع الا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، والناس يحمده متفاوتون في القرب والبعده منه (١)

(١) اعياء طوم الدين للقرظالي ج ٣ ص ٥٤ - ٥٥ .

منهج القصة في اثبات الأخلاق :

نهجت القصة القرآنية نهجا واضحا ثابتا في طريق الدعوة الى الخير والصلاح ، وكانت دائما تدعو الى التمسك بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة لأنها ملاك الأمر كله ، فلقد بدأ الرسل دعوتهم الى الأخلاق مع بداية الدعوة ، حتى يجعلوا بالأخلاق حصنا منيعا بين النفس وشهواتها ويسمووا بالإنسانية الى الفضيلة والصلاح .

فترى كل رسول يأتي من عند الله يدعو الى الأخلاق الفاضلة ، فكثير من القصص القرآني نراه كان يرسم منهجا واضحا للأخلاق والدعوة اليها ، ونجد الصفات السيئة والتخلو بالأخلاق المثلوي ، فكل رسول كان يرسل الى قوم قد انتشرت بينهم صفة ذميمة أو عادة قبيحة فيدعوهم الرسول الى تقوى الله وترك المعاصي والذنوب .

لذا نرى القصص القرآني رسم منهجا معيننا نراه ماثلا في كل قصصه حيث نرى في كل قصة تعرض علينا نراها قد بينت لنا خلق قد تفشو في القوم ويأتي الرسول وينهاهم عن ذلك ويبين لهم العبر والحظات ، والخير والشر ، والصحيح والسقيم ، وهذا ما سنعرضه الآن لنرى كيف انتهجت القصة القرآنية هذا المنهج الواضح الذي يمثل لنا الصورة الصحيحة الواضحة المؤثرة في كل البشر ، فسي كل زمان ومكان ، حيث نوضح ذلك مع بعض الرسل مع أقوامهم وكيف أن كل رسول دعوا الى خلق معين بحسب ما ينتشر بين القوم

وبالاجمال نرى جميع الرسل قد دعوا الى تقوى الله والتمسوا بالخلق
الكريم وقد نهجوا في ذلك نهجين :
أولهما : الدعوة النظرية للأخلاق .
ثانيهما : التطبيق العملي :
وبيان ذلك فيما يلي :-

النهج الأول :

الدعوة النظرية للأخلاق في حياة الرسل :

كان كل نبي يبدأ دعوته بالتوعية ثم يقرنه بالأخلاق ،
لأنه كما ذكرنا سابقا أن كلا منهما يستلزم الآخر . ومما نلاحظه أنه
لم يبعث رسول الا الى قوم فسدت أخلاقهم وضلت عقائدهم ،
فكان لابد من صلاح العقيدة وتقويم الأخلاق .

فهذا سيدنا نوح عليه السلام يبعث الى قوم ضلت عقيدتهم
وفسدت أخلاقهم ولذلك كان يأمرهم بتقوى الله وطاعته والاقلاع عن
الضلال الذي يعصهون فيه فيقول لهم :
" اهدوا الله واتقوه وأطيعون يخفركم من ذنوبكم ويؤخركم الى
أجل مسمى " (١)

(١) سورة نوح آية (٤) .

وهود عليه السلام يدعو قومه الى عبادة الله وتوحيده وفسى
نفس الوقت أمرهم بالتهمة عن المعاصى وأن يستغفروا الله من الذنوب
وأن لا يصروا على الاجرام والفساد فيقول لهم :
” ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء طيماً عليكم مداراً ،
ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ” (١)

وصالح عليه السلام دعا قومه الى عبادة الله وترك الأخلاق
الفاصلة والتهمة عنها فقال لهم :
” يا قوم أهدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستمركم
فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب ” (٢)

وشعيب عليه السلام دعا قومه الى التوحيد والى استقامة
الأخلاق فى قوله تعالى :
” قال يا قوم أهدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال
والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ، ويا قوم
أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبغسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا
فى الأرض مفسدين ” (٣)

فتراه يأمرهم باستقامة الأخلاق وعدم الغش فى الكيل والميزان ،

-
- (١) سورة هود آية (٥٢)
 - (٢) سورة هود آية (٦١)
 - (٣) سورة هود آية (٨٤ - ٨٥)

فقد كان متفشيا في قوم شعيب عدم الوفاء في الكيل والميزان من كثرة
الطمع وحب الدنيا فكانوا يبخسوا الميزان ولا يوفون الكيل حقه
فنهاهم عن ذلك الخلق الفاسد حتى تستقيم أخلاقهم .

ولوط عليه السلام بدأ دعوته بأن استنكر طوطى قومه الفاسد
التي يعمهون فيها فأمرهم باصلاح عالمهم وتنقية أخلاقهم قبل أن
يأمر بالتوحيد فقال لهم :

" قال لقومه انكم لتأتون الفاعشة ما سبقكم بها من أحد من
العالمين " (١)

وموسى عليه السلام يدعو فرعون الى الأخلاق فيقول له :

" هل لك الى أن **تركن** وأهديك الى ربك فتخشى " (٢)

ولقد تتابع الرسل بعضهم اثر بعض يدعوون الى التوحيد
يقرونه بالأخلاق ، كل رسول يدعو الى تفرغ الخلق الذي فسد
في قومه ويدعو الى اصلاحه ، وهكذا نرى كل الرسل يدعو الى الأخلاق
من عهد سيدنا نوح عليه السلام الى خاتم الأنبياء والمرسلين .
سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

فنرى الآيات الكثيرة التي تدعو الى التوحيد والخلق معاً ،
لأن كل منهما مستلزم الآخر ، ولقد جاء ذلك الأمر الى الأمة الاسلامية
جمعاء .

(١) سورة العنكبوت آية (٢٨) .

(٢) سورة النازعات آية (١٨) .

النهج الثاني :

التطبيق العملي للأخلاق في حياة الرسل :

كما أن هناك دعوة نظرية إلى الأخلاق في حياة الرسل فهناك التطبيق العملي الفعلي لهذه الأخلاق ، فكل رسول جاء إلى قومه كان قدوة لهم في الخلق ، فنراهم هم القدوة والنموذج في ذلك . ولنرى معا كيف كان رسل الله الكرام يتحلون بالخلق العظيمة بما أنهم هم القدوة والمثال لأقوامهم فنرى كل واحد منهم على جانب كبير من الخلق ، وكيف هيأهم الله سبحانه وتعالى ليكونوا دعاة ومثالا للأمم في الأخلاق وكيف كانت حياتهم خالية من سوء الخلق وشرا الصفات فكانوا خير قدوة فنرى كل رسول على خلق وصفات عظيمة وما أنهم قد اختارهم الله عز وجل من بين خلقه فلا بد وأن يكونوا نموذجا للكمال ، وهوانا للفضل ، فالله سبحانه وتعالى اختارهم على طمعه ووراهم على عينه فجعلهم أئمة الدنيا والدين ، قال تعالى : " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ، وأوحينا إليهم فعل الخيرات ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين " (١)

(أي جعلناهم أئمة يدعون الناس إلى دين الله تعالى والخيرات بأمرنا وازننا ، " وأوحينا إليهم فعل الخيرات " وهذا

(١) سورة الأنبياء آية (٧٣) .

يدل على أنه سبحانه خصهم بشرف النبوة ، وقال أبو القاسم الأنصاري :
الصلاة أشرف العبادات البدنية وشرعت لذكر الله تعالى ، والزكاة
أشرف أشرف العبادات المالية ومجموعها التمظيم لأمر الله تعالى
والشفقة على خلق الله ، والله سبحانه وصفهم أولاً بالصلاح لأنهم
أول مراتب السائرين إلى الله تعالى ثم ترقى فوصفهم بالأمانة ،
ثم ترقى فوصفهم بالنبوة والوحي ، **وهي** بعد ذلك اشتغالهم
بعبادته فقال :

" وكانوا لنا عابدين " كأنه سبحانه وتعالى لما وفق بهم
الربوبية في الاحسان والانعام فهم أيضا وفقوا بمهد اليهودية
وهو الاشتغال بالطاعة والعبادة (١)

فهؤلاء الصفوة المختارة من عباد الله الأنبياء والمرسلون قد
أعطاهم الله تعالى الحكمة وقوة العقل وسداد الرأي . واصطفاهم
ليكونوا وسطاً بينه وبين خلقه ، ليبلغوهم أوامر الله عز وجل ،
ويحذروهم غضبه وعقابه ويرشدونهم إلى سعادتهم في الدارين
الدنيا والآخرة .

وإذا نظرنا إلى صفات الأنبياء الكرام رأيناها كثيرة وتمتددة
حيث نراهم على جانب كبير من حسن معاملتهم للناس وحسن أخلاقهم
ونرى الكثير الكثير من الصفات الخلقية التي أودعها الله تعالى فيهم .

(١) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ١٩٢ .

فأ نظر في قوله تعالى عن ابراهيم الخليل :

" واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا " (١)

ورسلنا محمد صلى الله عليه وسلم اشتهر بين قومه بالصادق
الأمين ، من قبل الرسالة ، ولا يمكن لنبي أو رسول أن يكون غير أمين
ولا صادقا ، لأن الله تعالى أطم حيث يضع رسالته .
فالأمانة وصف بها كل نبي ولذلك نقرأ في سورة الشعراء أن كل نبي
يبحث في قومه يوكد لهم أمانته واخلاصه .

اقرأ معي الآيات التالية :

سيدنا نوح قال لقومه :

" انى لكم رسول أمين " (٢)

سيدنا هود قال لقومه :

" انى لكم رسول أمين " (٣)

أما وصفه نفسه بذلك (لأنه كان فيهم مشهورا بالأمانة كمحمد
صلى الله عليه وسلم في قريش ، فكانه قال : كنت أمينا من قبيلك ،
فكيف تتهمونى اليوم) (٤)

وأنظر الى سيدنا صالح قال لقومه :

" انى لكم رسول أمين " (٥)

-
- (١) سورة مريم آية (٤١) .
 - (٢) سورة الشعراء آية (١٠٧) .
 - (٣) سورة الشعراء آية (١٢٥) .
 - (٤) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١٥٤ .
 - (٥) سورة الشعراء آية (١٤٣) .

وأنظر الى سيدنا لوط اذ قال لقومه :
" انى لكم رسول أمين " (١)

وسيدنا شعيب حيث يقول لقومه :
" انى لكم رسول أمين " (٢)

(هذه الوعدة التى تربط بين هو " الأنبيا " المبعوثين فى أمم
مختلفة وفى عصور مختلفة ذات معنى عميق ، وهو أن الأمانة وهى
الكلمة الجامعة بين ومعانى الصدق وصحة التلقى من فوق ، ولا أجمع
لهذه المعانى ولا أبلغ من كلمة " الأمانة " فى لغة العرب ، وقد
شاعت الحكمة الالهية أن يوصف بها الرسول العربى صلى الله عليه
وسلم قبل البعث وألهمت أهل مكة الأميين أن يلقبوه بالصادق
الأمين (٣)

ونرى صفة الصدق أيضا : يتحلون بها جميع الأنبيا والمرسلون

أنظر قوله تعالى :

" واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا " (٤)

" يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان " (٥)

-
- (١) سورة الشعراء آية (١٦٢)
 - (٢) سورة الشعراء آية (١٧٨)
 - (٣) النبوة والأنبيا للندوى ص ٩٠
 - (٤) سورة مريم آية (٥٦)
 - (٥) سورة يوسف آية (٤٦)

اشتهر نبي الله يوسف أيضا بالصديق بين جميع من يعرفونه .

وسيدنا عليه السلام أيضا يقول لقومه :

" انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة " (١)

وحياة الأنبياء والرسل طيبة بالخلق الحسن الذى لا يتحلوس

بها الا من اختاره الله ليكون قدوة للناس ليبلغ أو يقارب بها

د رجه الكمال .

أنظر قوله تعالى عن نبيه ابراهيم :

" ان ابراهيم كان أمة قانتا لله خنيقا ولم يك من المشركيين

شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم " (٢)

فى قوله تعالى يتبين لنا خلق سيدنا ابراهيم عليه السلام

فيقول تعالى عنه فى وصف خلقه :

" ان ابراهيم كان أمة " قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما :

أى كان عنده طيبه السلام من الخير ما كان عند أمة وهى الجماعة

الكثيرة ، فاطلاقها طيبه عليه السلام لاستجماعه كمالات التكسان

توجد الا متفرقة فى أمة جمعة .

وليس على الله بمستنكر

أن يجمع العالم فى واحد

(١) سورة الصف آية (٦) .

(٢) سورة النحل آية (١٢٠ - ١٢١) .

" قانتا لله " مطيعا له سبحانه قائما بأمره تعالى " حنيفا " مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه " شاكيرا لأنعمه " صفة ثالثة لأمة - وأوثر صيغة جمع القلة قيل : للايذان بأنه عليه السلام لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة ، " اجتباه " أى اختاره واصطفاه للنبوة ، وأصل الاجتباء الجمع على طريق الاصطفاة " وهداه الى صراط مستقيم " موصل اليه تعالى وهو صلة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهدائه عليه السلام بل مع ارشاد الخلق أيضا الى ذلك والدعوة اليه بمعونة قرينة الاجتباء (١)

وأقرأ قوله تعالى فى موطن آخر ثناؤه على نبيه موسى عليه السلام .

" واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ونادينا من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا " (٢)

وصفه تعالى بعدة صفات (أحدها : أنه كان مخلصا أى أخلص لله فى التوحيد فى العبادة والاخلاص هو القصد فى العبادة الى أن يعبد المعبود بها وحده ، وثانيها : كونه رسولا نبيا .

" وقربناه نجيا " فيه قولان :

أحدهما : قرب المكان .

ثانيهما : قرب المنزلة أى رفعنا قدره وشرفناه بالمناجاة ، وهذا أقرب لأن استعمال القرب فى الله قد صار بالتعارف لا يراد به

(١) روح المعانى المجلد الخامس ج ١٤ ص ٢٤٩ - ٢٥٠

(٢) سورة مريم آية (٥١) .

(١) الا المنزلة " نجيا " هو المناجاة في المخاطبة)

وهكذا نجد القصص القرآني يتحدث عن الأنبياء الكرام ،
يصفهم بالصفات العالية ، بالصدق والأمانة ، الحكمة والنزاهة ،
الطاعة والانابة ، وكل ذلك تطبيق للرسل الكرام في حياتهم
العملية ، فلم يصرف رسولا منهم بمخير الصدق ولا اشتهر واحد
منهم الا بالامانة ، ونرى بين صفحات الكتاب الكريم الصفات التي
وصف الله تعالى بها جميع رسله وأنبيائه كثيرة ومتعددة ،
اتصف بها رسل الله الكرام من بين الناس لأنهم القدوة والمثال
الذي يقتدى به في الأمة ، وهكذا نرى الأخلاق هي تطبيق
عملى أيضا للرسال في حياتهم .

(١) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ٢٣٠ .



الباب السابع

الشيء كثير

بالقصة

القرآنية



لل قصة دور هام فى تربية الانسان وتكوينه ، وسوف أيبين
مفى هذا الباب الموجز كيفية التأثير والتوجيه ولذا سيأتى
مكونا من فصلين هما :

الفصل الأول : عناصر الانسان .

الفصل الثانى : دور القصة فى تكوين عناصر الانسان .

وذلك فيما يلى :

الفصل الأول

عن عامر الإنسان

يتكون الانسان من جسد وعقل وروح ، وقد وردت هذه الألفاظ في القرآن الكريم ، وسوف نعرف كل لفظة من هذه الألفاظ حتى نتعرف على ماهية وحقيقة كل منها .

ويجب أن نعلم قبل البدء في الحديث عن هذه التكوينات البشرية معنى كل منها لغويا أي معناها أولا فيس معاجم اللغة .

الجسم :

هو ماله طول وعرض وعمق ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجساما ، وان قطع ما قطع وجزى ما جزى قال الله تعالى : " وزاده بسطة في العلم والجسم " (١) وقوله تعالى : " واذا رأيتهم تصبّحوا أجسامهم " (٢)

والجسمان قيل هو الشخص والشخص قد يخرج من كونه شخصا بتقطيعه وتجزئته بخلاف الجسم . (٣)

أما الروح فهي :

أورد لها علماء اللغة نفس المعاني التي أوردها القرآن وقالوا أنها مابها حياة الأنفس . (٤)

-
- (١) سورة البقرة آية (٢٤٧) .
 - (٢) سورة المنافقون آية (٤) .
 - (٣) المفردات ص ٥٤ .
 - (٤) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٢٢ ولسان العرب ج ٣ ص ٢٨٩ .

أما القيل :

فهو لفظ يدل على العلم بصفات الأشياء
وفهمها ، وعقل الشيء أمسكه ، وعقل البعير
شدّه الى ذراعه . (١)

(١) لسان العرب ج ٤ ص ١٨ ، ١٩ .

أما عن معاني هذه الألفاظ في الاصطلاح :

فالجسم اصطلاحاً هو : عضلات الانسان وتكويناته
الجسمية ، ولكننا حينما نتكلم عن الجسم لانقول بأنه وحدة
منفصلة بذاتها بل نعتبر أن الجسم بجميع عضلاته ووشائجه
مشمول على مشاعر النفس من دافع وعواطف وانفعالات ، وحينما
يتحدث الاسلام عن الجسم فهو يقصد الطاقة الحيوية
التي ينبثق عنها الجسم . والاسلام يرعى الجسم من حيث
هو جسم وطاقة حيوية معا فهو يراعى الأمرين معا .
ويتولى تربيته بالهداية والتهذيب والتوجيه كما سنرى
معا في تربية الاسلام لهذه التكوينات في الانسان .

أما معنى الروح فى الاصطلاح :

فيعرفها الامام الفزالى بأنها : (جسم لطيف منبعه
تجويف القلب الجسمانى ، فينشر بواسطة العروق الضواري الى
سائر أجزاء البدن وجريانه فى البدن وفيضان الحياة والحس
والسمع والبصر .

وأسم منها على أعضائها ، يضا هي فيضان النور من السراج
الذى يدار فى زوايا البيت ، فانه لا ينتهى الى جزء من البيت
الا ويستتير به) (١)

(والروح طاقة مجهولة ، مبهمه ، غامضة ، محجوبة
عن الادراك ، ومع ذلك فهي حقيقية ! ولو تدبرنا الأمر
لوجدنا الطاقة الروحية كذلك ! انها مجهولة فى كنهها ،
مبهمه ، غامضة ، محجوبة عن الادراك ولكن نتائجها ليست
مجهولة ولا محجوبة عن الادراك ، ولكننا نقول عن الروح أنها
الطاقة التى يتصل بها الانسان بالمجهول .. بالفيض
المحجوب عن الحواس) (٢)

ولكننا نقول أن قوله تعالى : " قل الروح من أمرى " (٣)

(١) احيا . علوم الدين للفزالى ج ٣ ص ٣ .

(٢) منهج التربية الاسلامية ج ١ ص ٣٩ بتصرف .

(٣) سورة الاسراء آية (٨٥) .

(وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن
دراسة حقيقته) (١)

ولقد استعملت كلمة الروح في معاني مختلفة منها :
افاضة الحياة من الله على الانسان .

في قوله تعالى :

" فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " (٢)

واعتملت كلمة الروح في معنى آخر مشابه للمعنى
الأول وهو أكثر تخصصا منه في الدلالة على خلق عيسى عليه
السلام .

في قوله تعالى :

" فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا " (٣)

واستعملت كلمة الروح للدلالة على القرآن .

في قوله تعالى :

" وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا " (٤)

وأُتيت الروح للدلالة على الوحي والملاك الذي ينزل به .

في قوله تعالى :

" يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر به " (٥)

(١) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٣

(٢) سورة الحجر آية (٢٥) .

(٣) سورة مريم آية (١٧) .

(٤) سورة الشورى آية (٥٢) .

(٥) سورة غافر آية (١٥) .

أما معنى العقل فى الاصطلاح :

فلفظ العقل كمصدر لم يرد فى القرآن المطلقا ، وإنما ورد فعل العقل بمختلف اشتقاقاته ، وكلها تأتي بمعنى تدل على التفكير فى الانسان .

منها قوله تعالى :

" ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون " (١)
" وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير " (٢)

ويشير الخزالي الى معنيين للعقل :

(أحدهما : يراد به العلم بحقائق الأمور فهو بهذا المعنى عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب ، ويقصد به العقل على اعتبار أن العلم هو ثمرة العقل .

وثانيهما : (يراد به المدرك للمعلوم ، فيكون العقل بهذا

المعنى هو المقصود بقوله : " أول ما خلق الله العقل " بل لا يد وأن يكون المحل مخلوقا قبله أو معه) (٣)

ونرى أن (كل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل) (٤)
كما فى قوله تعالى : " صم بكم عمى فهم لا يعقلون " (٥)

(١) سورة الأنفال آية (٢٢) . (٢) سورة الطه آية (١٠)

(٣) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٤

() المفردات ص ٣٤٢ . (٥) سورة البقرة آية (١٧١)

الفصل الثاني

منتج القصة في
تربية الإنسان

علمنا في الفصل السابق أن الانسان مكون من جسد وعقل وروح ، ورأينا خصائص كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة والمؤثرات فيها ، وفي هذا الفصل سوف أتحدث عن منهج القرآن والقصص القرآني في تشعته الانسان بعناصره المذكورة على الخير واقتناعه بالايمان ، ولذلك سيأتي الفصل مكونا من ثلاثة عناصر ؛ هي :

- المبحث الأول : تربية الجسد .
- المبحث الثاني : اقتناع العقل .
- المبحث الثالث : توجيه الروح .

والله الموفق

المبحث الأول

تربية الجسد

حينما نتكلم عن الجسد فلا نقصد عضلاته وحواسه فقط بل نقصد الطاقة الحيوية المتمثلة في مشاعر النفس من عواطف ودوافع وانفعالات ، فهناك اتصال وثيق بين هذه الصفات والجسد فلا انفصال بينهما .

والانسان عبارة عن وحدة مترابطة متماسكة .

ونرى الاسلام في تربيته للجسد والطاقة الحيوية فيه يراعى كلا منهما ، فلقد عني القرآن بتربية الجسد فأنت ترى السعي والتهرولة في شعائر الحج وأداء فروض الصلاة وغيرها كل ذلك يهدف الى تقوية عضلات الجسد لتربية القوة والحياة فيه ، ويرى الاسلام الجسد ويعتني به كما ربي الروح والعقل لا بالقوة والشدة ولكن بالاعتدال والتهديب والضبيل .

أشار قوله تعالى لعباده بعد ذكره قصة آدم عليه

السلام :

" يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا وأشربوا

ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين " (١)

(١) سورة الأعراف آية (٣٢) .

(وسبب نزول هذه الآية أن المرأة كانت تطوف عارية

لا تستر سوى عورتها وتقول :

اليوم يبدو كله أو بعضه هه وما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله تعالى على نبيه هذه الآية . (١)

(٢) ولم يكن أحد من العرب يلبس ثيابه في الطواف إلا الحمص

من قريش فأنهم كانوا يميزون أنفسهم على سائر الناس ، والمعنى

أن هذه الآيات كلها نزلت مبجلة لتلك الضلالة الجاهلية الفاحشة

ومقررة لوجوب اتخاذ الملابس للستر والزينة والتجمل وإظهار

(٣)

نعمة الله على عباده)

فبين تعالى أنه يجب على المؤمن أن يتخذ الثياب النظيفة

الجميلة .

الجميلة .

(١) أسباب النزول للواحدى ص ١٥١ .

(٢) الحمص : جمع حمص كجمع أحمر وهو وصف لبني قريش

وصفوا به أنفسهم لحماستهم أو تحمسهم أى تشدد هم فى

الدين من الحماسة التى هى الشدة والشجاعة أو لانتمائهم

الى الحمصاء وهى الكعبة .

(٣) تفسير المنار المجلد الثامن ج ٨ ص ٣٨٠ .

وحيثما نرى العبادات من حيث ارتباطها بالجسم فلا نراها مفككة عن الناحية الروحية فيه :

فالصلاة مثلا : الوضوء عملية جسدية ولكن له معاني روحية قبل الدخول في الصلاة .

والصلاة نفسها نراها حركة جسم مع اليقظة في الروح ويشترك الجسم العقل في الصلاة ويرتبط القلب بذلك الخشوع .

ونرى الله عز وجل حينما وضع هذه المناهج والأسس لتربية الجسد ضبطها وحكمها بقيد ثابت محكم يضبط الأمور ولا يتركها لها العنان ، فلا نرى مجالا للكبت ولا للاندياع المتهور .

فعنصر الجسم مادي محسوس يقوم على مجموعة من الدوافع نراها مجتمعة في جسم الانسان لا تنفصل عنه كما ذكرنا فهو وحدة متماسكة لا ينفصل أحد ما عن الآخر . فنرى العواطف والدوافع :

في جسم الانسان لا تنفصل ولا تنفك عنه ففي جسمه ترى دوافع متعددة من أجل البقاء ، دافع الجوع والصلب ، دافع الجنس ، وكل دافع في جسم الانسان مزود بطرفين في آن واحد ففي جسم الانسان دوافع كثيرة ومتعددة كالحب والكره واللذة والألم هي كلها وما شابهها دوافع فطرية وضعها الله في كيان الانسان وهذه الدوافع والعواطف موجودة في الانسان ومرتبطة بجسمه فنرى القصة القرآنية تقنع فرائز الانسان وتقضي حاجته في توازن وضبط دون غلغل وتعقيد .

وهناك الأمثلة الكثيرة التي تبين لنا كيف أن القصص القرآني أشيع فرائز الانسان ودافعه باعتدال دون افراط ولا تفريط أنظر قوله تعالى في قصة لوط مع قومه :

" قال يا قوم هوءلاء بناتى من أظهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد " (١)

ترى القصص القرآني هنا يشيع دافع الجنس فى الانسان من طريق الحلال فلا يضمنه الانسان فى حرام كقوم لوط. اذ كانوا قوما عملهم اللواط ولا يبذلون هذا العمل فى محله من الحلال وجاء رسولهم لوط وهم على هذه الأعمال السيئة فحاول توجيههم وارشادهم وبين لهم أن ذلك العمل غير صالح لهم " هوءلاء بناتى من أظهر لكم " أى تزوجوهن فهن أظهر وأنظف فعلا وأقل فحشا ، ويراد من الطهارة هى الطهارة الحسية وهى الطهارة عما فى اللواط من الأذى والغيبث ، " فأتقوا الله بترك الفواحش أو بايتارهن عليهم ، " أليس منكم رجل رشيد " يهتدى الى الحق الصريح (٢) فيوضح القصص القرآني فى ذلك أنه على الانسان بدلا من أن يبذل طاقته الجنسية فى الحرام والشذوذ ألا يرتكب محرما ويجعله فى محله

(١) سورة هود آية (٧٨) .

(٢) روح المعانى المجلد ٤ ج ١٠ ص ١٠٦ - ١٠٧ .

بحيث لا يرتكب المعصية . فيكون قد أشبع دافع الجنس ولكن بالطريقة الصحيحة الغير محرمة فالاسلام لا كبت فيه ولا تجاهل للحقائق بل معالجة للأمور باتزان وحكمة واعتراف بدوافع الانسان ورغائبه حتى يكون الانسان المتكامل خليفة الله في أرضه .

وأنظر أيضا دافع التملك واغتصاب حقوق الغير في قصة شعيب عليه السلام اذ يقول لقومه :

" أفوقوا الكيل ولا تكونوا من المفسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، واتقوا الذي خلقكم والجيل الأولين " (١)

فلقد أعماهم الطمع في حقوق الناس فكانوا لا يوفون الميزان حقه ويأكلون حقوق الناس ، فهنا صورة واضحة لدافع التملك بغير الحق وأكل حقوق الغير فنرى القصة القرآنية يوجه الانسان الوجهة الصحيحة بالألا يتعدى حقوق غيره بالفسب والحيلة ، وأن لا يحاول تملك ما ليس له .

(وكذلك هو منهج الاسلام في تربية النفس ، انه لا يكبت رغائبها فيقتل حيويتها ويبدد طاقتها ويشتت كيانهما ، فلا تعمل ، ولا تنتج ، ولا تصلح لعمارة الأرض وترقية الحياة .

(١) سورة الشعراء آية (١٨١ - ١٨٤) .

وفي الوقت ذاته لا يبدل رغائبها بلا ضوابط ، لأن ذلك
يبدد طاقاتها من جانب آخر ، ووسيلته الى ذلك هي الضبط (١)

فكما ذكرنا أن القرآن أوجد في نفس الانسان وحسنة
متكاملة من العواطف والدوافع والانفعالات صورها لنا أيضا
القصص القرآني (وقد بقيت النماذج البشرية التي قدمها القرآن
عائدة لأنه صورها في مختلف أوضاعها ومواقفها) (٢)

فترى القصص القرآني قد صور لنا جميع النماذج من البشر
ومن النفسيات المختلفة الطباع نفسية المؤمن ونفسية الكافر
عاطفة الأبوة وعاطفة الأمومة وما الى ذلك لهذا فقد
(اضطلع القرآن بتصوير النفسيات ، وهو لا يقصد الى فرد معين ،
ولا يقصد الى تعزية نفسية معينة ، ولكنه يقصد الى وصف
أغلاقي وتعزية نفسيات تكسى هذه الأخلاق) (٣) لذلك نرى
القصص القرآني حين تصويره للعواطف الانسانية الوجودية كتحقيق
الانسان نراه يصورها بصدق بحيث يضع منها مقلنا وهدفنا
نبينا من وراء ذلك ، وذلك من أساليب توضيح العقيدة في القصص
القرآني ومن طرق التأثير والاقناع .

(١) منهج التربية الاسلامية ج ١ ص ١١٩ .

(٢) صراع المذهب والعقيدة في القرآن ص ٤٥ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٤٧ - ٤٨ .

(فهو يغاطب العاطفة عن طريق الشعور ، ويقنع العقل
عن طريق الحس ، والقصص القرآني يكشف عن حقائق هامة نفسية
علاقة الشعور الديني بالعاطفة ، وارتباط الجانب الالهي
بالنفس) (١)

فيفهم من ذلك أن النفس مرتبطة بكل مكوناتها - كما
ذكرنا سابقا - مرتبطة بشعور الانسان وعواطفه ، ودوافعه
فلا يمكن فصل عنصر عن الآخر فيها بل الكل وحدة متماسكة لا يمكن
فصلها أبدا ، فلا نستطيع فصل القلب عن الجسم أو فصل
العقل عن الجسم أو فصل العواطف والدوافع في الانسان عن
جسمه . لذلك نرى أن الرسل والأنبياء لم يأتوا الى الناس -
(بالنظريات أو البيانات أو اللوائح ليعرضوا فيها مبادئهم
مؤتلفا بعضها مع بعض ، كالفلاسفة أو رجال السياسة ، ولكنهم
يبلغون رسالة من شأنها أن تكون بسيطة في تناول الجميع
موجهة أولا الى القلب الذي لا بد أن تؤثر فيه) (٢) كما
نرى ذلك في دعوات الأنبياء والرسل الواردة الينا في القرآن
وقصصه .

لذلك ترى الجسم هو كل يجمع أجزاء من الصفات المتعددة

(١) سيكولوجية القصة ص ٤٢٤ - ٤٢٧ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

التي تكوّن لنا الانسان بكل ما فيه من احساس وشعور فهو وحدته متكاملة متماسكة فالعواطف جزء من الروح وتربية الروح هي تربية لما يتبعها من عواطف فكون الاسلام يتجه الى الروح يربّيها ويوجهها فهو يربّي العواطف والوجدان في نفس الانسان ،

(١)
فالعاطفة : (هي اتجاه وجداني نحو موضوع معين)
ويعرفها آخرون : بأنها (استعداد نفسي ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معين نتيجة لتكرار اتصال الفرد بهذا الموضوع) (٢)

وعرف الدافع بأنه : (حالة نفسية أو جسمية ، داخلية تثير السلوك في ظروف معينة ، وتواصله حتى ينتهي الى غاية معينة) (٣)

وهناك تعاريف كثيرة ومتعددة لعلماء النفس

ولقص القرآن أثر بليغ في توجيه السلوك والتأثير على النفس يكون نتيجة تأثير العواطف والوجدان داخل نفس الانسان ، أو تأثر الدوافع فيه .

وقد تكلمنا عن الدوافع وأعطينا عليها بعض الأمثلة ولنتكلم

الآن عن العواطف في القصص القرآني :

-
- (١) الدراسات النفسية ص ٢٤٦ .
 - (٢) أصول علم النفس د . أحمد عزت راجح ، الطبعة التاسعة ص ١٢٣
 - (٣) نفس المصدر السابق ص ٦٨ .

نرى القصص القرآني حينما يخاطب الانسان أنه يثيره عن طريق قضايا ومشكلاته ، فيدعوه الى النظار في الكون وشمس النفس فيدخل اليه عن طريق عقله فيأمره أن ينظر فيما حوله وفي نفسه ، ويمزج القرآن الكريم هذه النظرة العقلية بالأسلوب العاطفي المشير .

نقصص القرآن (مزيج من العقيدة والمعرفة ، ومن العاطفة والفكر ، والحق والجمال ، فهو لم ينس حظ العقل من حكمة وعبرة ، ولا حظ القلب من ترقيق وتحذير) (١)

أنظر الى تصوير عاطفة الأبوة في قصة نوح قوله تعالى :

" وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، قال ساوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) (٢)

(ففي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر نوح ، فاذا أحد أبنائه في معزل عنهم وليس معهم ، وتستيقظ في كيانه عاطفة الأبوة الملهوفة ، ويروح يهتف بالولد الشارد ، ثم هاهي ذي الأبوة المدركة لحقيقة الهول وحقيقة الأمر ترسل النداء الأخير

(١) سيكولوجية القصة ص ٤٧٣ . (٢) سورة هود آية (٤٢ - ٤٣)

(٢) سورة هود آية (٤٢ - ٤٣)

(قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم) ونوح الوالد الملهوف يبحث بالنداء " تلو النداء " ، وابنه الفتى المخرور بأبى ، اجابة الدعاء ، وان الهول هنا ليقاس بمداه فى النفس الحية - بين الوالد والمولود - كما يقاس بمداه فى الطبيعة (٢)
أنظر تصوير القصص القرآنى لهذه العاطفة الأبوية التى تستجيب لها الطبيعة فى كل وقت ، فطبيعة الأبوة الرحيمة هى ما نراه على مر العصور والأيام ، فصورة الأب واضحة وقد تفجرت فى قلبه عاطفة الحنان ، ففى الصورة النفسية لنوح مع ولده تترايط معها الصورة الحسية فى آن واحد كما نقول دائما بأن الجسم والحس وحدة متماسكة فى القصص القرآنى .

وأناش أيضا عاطفة حب نوح لقومه اذ يقول لهم ناصحا وخائفا عليهم من غضب الله :

" نقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات وينجمل لكم أنهارا " (٢)

وعاطفة هود لقومه وخوفه عليهم من غضب الله :

" ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين " (٣)

(١) فى ظلال القرآن المجلد الرابع ج ١٢ ص ١٨٧٨ .

(٢) سورة نوح آية (١١ - ١٣) .

(٣) سورة هود آية (٥٢) .

وهكذا ترى الصفات مجموعة في الانسان وكيانه ولا يمكن فصلها فهو كل متكامل من جسد وروح وعقل وقلب وعواطف وشعور كلها في جسم الانسان متماسكة مترابطة لها عملها ووظائفها في الحياة .

(وهكذا وهكذا في كل نزعة فطرية وكل لون من ألوان السلوك .

وبذلك ينشأ مجتمع متوازن وانسان متوازن ، توازنت طاقاته ، وعملت روحه وعقله وقلبه وجسمه في آن واحد ، والجسم في كل ذلك محترم معترف بكيانه ، غير منبوذ ولا محتقِر
(١)
(ولا مهان)

(١) منهج التربية ج ١ ص ١٢٥ .

" المبحث الثانى "

اقناع العقل

ومن عوامل التأثير بالقصة القرآنية اقناع العقل حيث نرى
القصص القرآنى يتجه الى عقل الانسان ويقتعه بشكل لامثيل له
فنراه يدعو الانسان للنظر لكي يستدل على سنن الله فى الكون
ويبتدى الى الايمان بخالقه عن طريق هذه السنن ، ولكنى
يكون ايمانه عن تأمل وتفكر ، لا عن تقليد لما وجد عليه آباءه
وأجداده من غير نظر ولا بحث .

والقرآن اذيقدم فى قصصه (للعقل شواهد الالوهية
المخالقة ، وأدلة القدرة المطلقة ، فليس لتعجيزه وتطليله ،
بل لاثارة ملاحظته حتى لا ينظر اليها بعين غيره ، فان الملاحظة
التأملية تنشى الفكرة ، والفكرة تهى التجربة ، وتقود من الأثر
الى المؤثر ، ومن التدبير الى المدبر .
(١)

ونرى القصص القرآنى كثيرا ما يتخذ براهين العقل من
سنن الله فى الكون كما فى قصة سيدنا موسى وهو يحاور فرعون
فى آيات الله فى الكون على سبيل الاستدلال العقلى بأن
الذى أمر بالدعوة اليه هو الله خالق تلك الآيات .

(١) سيكولوجية القصة ص ٤٧١ .

" قال من ربكما يا موسى ، قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه
ثم هدى ، قال فما بال القرون الأولى ، قال علمها عند ربى فى
كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ، الذى جعل لكم الأرض مهجداً ،
وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا
من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى
النهى ، منها خلقناكم فيها نعبدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى" (١)

(فاستدل موسى عليه السلام على اثبات الصانع بأحوال
المخلوقات) (٢) فحدثه عن الأرض وما لها من فوائد وعن السماء
وما ينزل منها ، وقوله تعالى " ان فى ذلك لآيات لأولى
النهى أى دلالات لذوى النهى أى العقول والنهى العقل) (٣)

فهنا نرى القصص القرآنى يستدل بالدلالات العقلية
فى سنة الله فى الكون ليحدث الاتقان المطلوب ،
وفى قصة سيدنا ابراهيم نراه يخاطب عقول قومه فى قوله
تعالى :

" وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض ليكون من
الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل

(١) سورة طه آية (٤٨ - ٥٥) .

(٢) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ٦٤ .

(٣) نفس المصدر ج ٢٢ ص ٦٤ وانظر روح المعاني المجلد

لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازفا قال هذا ربي فلما أفل قال ان لم يهدئ ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا أكثر فلما أفلت قال يا قوم اني بري مما تشركون ، انسى وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ، وحاجه قومه قال أتحاجونني في الله وقد هدين ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسبح ربي كل شئ طما أفلا تتذكرون (١)

فسيدنا ابراهيم عليه السلام هنا يقدم للعقل البشري شواهد ملموسة ومحسوسة يدركها كل انسان بحقله وتفكيره فقله تعالى :
" وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض " أي وكما أرينا ابراهيم الحق في أمر أبيه وقومه ، وهو أنهم كانوا على ضلال بين فسي عبادتهم للأصنام كنا أيضا نريه (المرة بعد المرة ملكوت السماوات والأرض ، على هذه الطريقة التي يعرف بها الحق ، فهي رؤية بصرية تتبعها رؤية البصيرة العقلية ، وانما قال نريه دون أريناه لاستحضار صورة الحال الماضية التي كانت تتجدد وتكرر بتجدد رؤية آياته تعالى في ذلك ، والملكوت المطلقة أو الملك العظيم والهز والسلطان) (٢)

" فلما جن الليل " قال الراغب : أصل الجن ستر الشئ عن الحاسة

(١) سورة الأنعام آية (٧٦ - ٨٠) .

(٢) تفسير المنار المجلد ٧ ج ٧ ص ٥٥٤ .

(١) وجن طيه كذا : ستر عليه)

والمعنى : أن الله تعالى لما بدأ يريه ملكوت السماوات والأرض فلما ستر عنه الليل رأى كوكبا فقال هذا ربي فلما أفل أى غاب قال لا أحب الآفلين ، (والعامل السليم الفطرة والذوق لا يختار لنفسه حب شي * يغييب عنه ، ويوحشه فقد جماله وكماله في العبادة) (٢)

فأراد إبراهيم أن يبين لهم عن طريق ادراكهم العقول أنه لا بد من اله واعد عقيق بالعبادة ، ^{من غيره} من سائر المخلوقات ويكون ذلك (بالاستدلال على وعدا نية الربوبية والالهية بالنظر في جملة العالم وكونه لا بد أن يكون له خالق مدبر واعد) (٣)

ومن اقتناع العقل أيضا ما جاء في قصة نوح وهو يدعو قومه الى التأمل في ظلم الأرض والسما ، وما فيها من آيات القدرة الباهرة ، ففي قوله تعالى :

(ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ، والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يحيدكم

(١) الراضح للإصفيهاني ص ٩٨ .

(٢) تفسير المنارج ٧ ص ٥٥٨ .

(٣) نفس المصدر ص ٥٦٤ .

فيها ويخرجكم اخراجا ، والله جعل لكم الارض بساطا ، لتسلكوا
منها سبلا فجاجا " (١)

فينبهم على عظمة الله في كونه كيف أنه جعل السماوات متطابقة
فوق بعضها البعض " وجعل القمر فيهن نورا " أي منورا لوجه
الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع أنه في السماء الدنيا
كما أنها مخاطبة بسائر السماوات فما فيها يكون في الكل أولاً أن كل
واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سما واحدة ،
ومن ضرورة ذلك أن يكون ما في واحدة منها كأنه في الكل (٢)

" وجعل الشمس سراجا " (يزيل ظلمة الليل ويهصر أهل
الدنيا في ضوئها وجه الارض ويشاهدون الآفاق " والله أنبتكم من
الارض نباتا " أي أنشأكم منها فأستعير الانبات للانشاء لكونه أدل
على الحدوث والتكون من الارض " ثم يعيدكم فيها " بالدفن عند
موتكم " ويخرجكم منها عند البعث والحشر " اخراجا " محققا
لا ريب فيه " والله جعل لكم الارض بساطا " تتقلبون عليها تقلبكم
على بساطكم في بيوتكم (٣)

فدل هذا كله على عظمة الله تعالى بخطاب نوح لقومه بأشياء
محسوسة ولموسة لديهم يستطيعون ادراكها بعقولهم ان كان لديهم
عقول .

(١) سورة نوح آية (١٥ - ٢٠) .

(٢) ، (٣) تفسير أبي السعود ج ٩ ص ٣٩ .

ومن أمثلة ذلك نقرأ قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام أيضا :
" فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء طيكم سدرارا ،
ويمددكم بأموال وينين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ،
مالكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا ، ألم تروا كيف خلق الله
سبع سماوات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ،
والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يميدكم فيها ويخزجكم أخراجا ،
والله جعل لكم الأرض يساطا ، لتسلكوا منها سبلا فجاجا " (١)

ترى في هذه الآيات توجيه العقل الى أقرب الحقائق للانسان
ألا وهى الكون والنفوس ، من ارسال الحطر واعداد بالأموال والأولاد ،
وخلق الانسان في أطوار ومراحل مختلفة مربنا شرعها ، ومن جعل
القمر والشمس نورا وضياء ، وكيفية انبات الانسان من الأرض واعادة
الانسان من الأرض واخراجه منها مرة أخرى ، وجعل الأرض يساطا
يمشى عليه الانسان يطلب رزقه ، كل هذه الأشياء يجعلنا سبعا
وتعالى ندركها بعقلنا من حولنا .

أيضا ما نراه من مخاطبة العقل في قصة صالح عليه السلام
في قوله تعالى :

" والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اهدوا الله مالكم من الله
غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم تهبوا اليه

(١) سورة نوح آية (١٠ - ٢٠) .

ان ربي قريب مجيب . (١)

يلفت عقولهم أينما الى انشائهم من الأرض وتمكنهم فيها .

وكثير من هذه الأمثلة في القصص القرآني نراها ماثلة لنا ،

اذن نستطيع بعد هذه الأمثلة بأن نقول : أن العقل وسيلته

الى الله ، معرفة الحقائق ، وتدبر الظاهر لحسن الانسان والمسدرك

لعقله ، وذلك يوضح الاسلام ما يدركه الانسان بعقله ولا يتركه

يتخبط في التيه وراء الغيبات ، فلا يضل الى عقل الانسان الا ما قد

ألفه وأحسه ، وبالإسلام في ذلك طريقان هما :

١ - الطريق الأول وضع منهج صحيح للنظر العقلي .

٢ - الطريق الثاني : تدبر آيات الله تعالى في الكون بأن الله

خالق السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم . . . الخ .

ومن هذه الطرق نرى الاسلام يربى الفكر العقلي فيعوده على

الحق الذي يصل اليه الانسان بعقله وتفكيره .

(لقد كان من مزايا هذه العقيدة الكبرى أنها أطلقت العقل

البشري يحمل في أوسع نطاق متاح على الأرض ، ولم تخلق طيه الابواب

أو تجمده في قوالب مصبوبة لا فكاك منها ،

وكان من آيات الاسلام الكبرى أنه في دعوته الى الايمان بالله

لم يقهر العقل بالغوارق القاهرة التي يمنولها الفكر ، ولا بأسرار

لا حيلة له فيها ولا اختيار ، بل خاطبه ووطأ وأيقظه وناقشه .

وجعله يشترك في عطية الايمان الواعية ، الجديرة بالانسان الذى كرمه الله بالأفئدة والأبصار . ولكنه لم يدعه يحمل العبء الثقيل وحده فلا ينهش به . وانما أعطاه دائما اشعاعا من قبه الروح المضيئة تضىء له الطريق ، وزوده دائما بنور الايمان ، وكان فى ذلك طبيا لطبيعة الفطرة ، طبيا لحقيقة الكيان البشرى الذى لا تنفصل فيه طاقة عن طاقة ولا جزء عن بقية الأجزاء (١)

وهكذا الاسلام دائما نراه يوجه الطاقة العقلية الى السير

على المنهج الصحيح .

ومن طرق القرآن فى الاقتناع :

يوجه الطاقة العقلية الى النظر فى سنة الله فى الارض ،

وأحوال الأمم الغابرة والشعوب السابقة .

أنظر قوله تعالى عن قوم موسى :

" فأنتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا

عنها غافلين " (٢)

وهذا عدم تدبرهم أدى الى اغراقهم واهلاكهم (لأنهم كانوا

لا يعتبرون بالآيات التى تنزل بهم ، والمراد باللفظة هنا الاعراض

عن الآيات وعدم الالتفات اليها ، فهم أعرضوا عنها حتى صاروا

كالغافلين عنها والآية تدل على أن الواجب فى الآيات النظر فيها ،

(١) - منهج التربية الاسلامية ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) - سورة الاعراف آية (١٣٦) .

ولذلك ندمهم بأن عقلوا عنها (١)

وأنظر قوله تعالى :

"قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين" (٢)

فترى هذه الدعوة كثيرة في القرآن الكريم وقصصه حيث نلاحظ

أنه يدعو الانسان الى النظر في طاقة من قبله من الناس .

كما يوجه العقل البشري الى الطاقة المادية وتسخيرها لخدمة

البشر وخدمة الناس جميعا بحيث يمشوا في الأرض وينظروا الى

ما فيها من نعم وطيبات

(٣) "ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معاش" (٣)

فيوجه الاسلام الانسان الى استغلال الطاقة المادية ، وأن الله

سبحانه وتعالى سخر له الطاقة .

وفوق ذلك كله ترى الاسلام يوفق بين العقل والدين ، فلا ينفر بل

يدعو الى الاتفاق والانسجام بينهما فلا يبعد بالانسان عما يعرفه

ويستوعبه عقله بل يقرب بينهما ويربط ذلك كله بحب الله لذلك ترى :

(العلاقة بين العقل والروح قائمة أبدا لا تنفصم في منهج الاسلام ،

ومن ثم لا يضل العقل - وهو يتعلم - ولا ينصرف عن طريق الخير

(٤)

ولا يستخدم معلوماته في سبيل الشر)

وهذه طريقة الاسلام في تربية العقل .

(١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ٢٢٠ - ٢٢١

(٢) سورة النمل آية (٦٩)

(٣) سورة الاعراف آية (١٠)

(٤) منهج التربية الاسلامية ص ١٠٣

المبحث الثاني

ترديد السروح

ذكرنا في تعريف الروح بأنها شيء مجهول غامض ولكنها موجودة ، الروح لا تراها بحواسنا ولكنها معسوسة ونتائجها معسوسة أيضا ، ان الروح هي فعلا طاقة يتصل بها الانسان بالمجهول أي بالغيب المحجوب عن الحواس .

فلاستشفاف عطية من عطيات الروح .

والعلم التنبؤي عطية من عطيات الروح .

والتخاطر عند (التليثي) كحادثة عمر الشميرة مع سارية حينما ناداه عمر طي بعد آلاف الأميال ياسارية الجبل ! الجبل ! فسمعه سارية ونجا من الكمين وانتصر طي أعدائه .

فهذه العطيات من الأمور التي يقف الانسان عاجزا أمامها

أمامها ولكنها حقيقة نحسها ولا تراها وهي نتيجة الاتصال بالله !

والروح نستطيع أن نقول عنها أنها مهتدية الى الله بفارتها !

ونرى الاسلام يعنى بالروح ، ويكفي فيها أنها أشد الطاقات فسي

الانسان اتصالا بالله .

فطاقة الجسم تراها معدودة بما تدركه الحواس وطاقة العقل

معدودة بما يعقل .

أما طاقة الروح فهي لا حدود لها ولا نهاية لها .

- والاسلام في تربيته للروح نراه دائما يعقد الصلة الدائمة
بينها وبين الله تعالى .
- ولاسلام في منهجه لاقتناع الروح طرق شتى منها :
- ١ - أنه يثير حساسية الروح بيد الله المبدعة في صفحة الكون
لتحس دائما بوجود الله ، وقدرته المطلقة .
 - ٢ - ومن ناحية أخرى يثير حساسيتها برقابة الله الدائمة عليه ،
فهو مع الانسان أينما كان ، ظلم كل أسراره .
 - ٣ - ومن ناحية يثير فيها روح التقوى والعشية الدائمة لله ،
ومراقبته في كل عمل وكل فكرة وكل شعور .
 - ٤ - ومن ناحية يثير عاطفة المحبة لله ، والتطلع الدائم الى
رضاه .
 - ٥ - ومن ناحية يبحث الطمأنينة الى الله في السراء والضراء (١)
- والأمثلة لتوضيح هذه المناهج التي وضعت لتربية الروح كثيرة
يحفل بها القرآن كله وهو واقع يمثل أماننا .
- فالمنهج الأول وهو أنه يثير حساسية القلب بيد الله المبدع
في صفحة الكون لتحس دائما بوجود الله وقدرته المطلقة ، نرى
ذلك في الأرض وفي السماء وفي الشمس والقمر والنجوم وفي الانسان
نفسه وفيما عو له من لمسات في الكون المبدع بيد الله الخالق .

(١) منهج التربية الاسلامية ص ٤٣ - ٤٤ .

فلا سلام وهو يهوى الروح يحمد الى هذه الآيات فكل سور القرآن تراها
ملیئة بهذه الآيات العظيمة المبدعة .

أنظر قوله تعالى في سورة النحل :

" والله أنزل من السماء ماء فأعيا به الأرض بعد موتها ،
ان في ذلك لآية لقوم يسمعون ، وان لكم في الأنعام لعبرة ،
نسقيكم ما في بطونها من بين فرث ودم لبنا خالصا سائفا للشاربين ،
ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ، ان في
ذلك لآية لقوم يعقلون ، وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى
من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون ، ثم كلوا من كل الثمرات
فاسلكوا سبل ربك ذللا لا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ،
فيه شفاء للناس ، ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون " (١)

(بين تعالى أنه نزل من السماء الماء الذى يعى به الأرض
بعد موتها وهنا الاعياء والموت استعصارة للأنبات والبيس " ان في
ذلك " أى ذلك الانزال واحياء الأرض الميتة " لآية " لعلامة طس
حكمته وقدرته " لقوم يسمعون " أى يتأملون فيها ويعقلون وحسبه
دلالتها ، وانما خفى كونها آية لهم لأن غيرهم لا ينتفع بها ، وفى
قوله " يسمعون " عدل عن ييصرون للإشارة الى ظهور هذا المحتمر
فيه وأنه لا يحتاج الى نظر ولا تفكر وانما يحتاج المنبه الى أن يسمع

القول فقط ويكفى ربط الآية بما قبلها تشاركا الكتاب والمطر فسو
الاعياء لكن في ذاء اعياء القلوب وفي هذا اعياء الأرض الجدوب
فتأمل " وان لكم في الأنعام لعبرة " أي عبرة عظيمة " نسقيكم مما
في بطونه " كأنه قيل كيف العبرة فيها قليل : نسقيكم " من بين
فرث ودم لبنا " - الفرث : وهو كثيف ما يبقى من المأكول في القرش
أو المعوى و " بين " تقتضى تعددا وهو هنا الفرث والدم فيكون
مقتضى ظاهر النظم توسط اللبن بينهما وهذا من كمال قدرته
وحكمته :

حكم حارت البرية فيها ه ه وعقيق بأنها تحتسار
" سائغا للشاربين " سهل المرور في - لقمهم لدهنيته " ومن الثمرات
النخيل والأعناب " متعلق بمعدوف تقديره ونسقيكم من ثمرات
النخيل والأعناب أي من عصيرهما .
" تتخذون " أي ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه
" سكرًا " أي حينما كانت الخمر بمكة حلالا يشربها البر والفاجر ،
ونقل صاعب الكشاف أن القول بكونها منسوخة أول الأناويل .
" وأوصى ربك إلى النحل " الهما فألقوا في روعها وطمها بوجه
لا يعلمه الا اللطيف الخبير .

" أن اتخذى من الجباب بيوتا ومن الشجر وما يعرشون " أي :
اتخذى أوكارا لبيوت الانسان ، والعرش ما يعرشه الناس من الكروم
" ثم كلوا من كل الثمرات (" أي من جميعها " فأسلكن سبل ربك
وكلوا " أي أرقه راجعة من بيوتك وأقصدى الأكل " ذللا " أي مذلة

ذللها الله لك .

" يخرج من بطونها " استئناف عدل به عن خطاب النحل الى الكلام مع الناس لبيان ما ظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى " مختلف ألوانه " بالبياض والصفرة والحمرة والسواد " فيه شفاء للناس " والذي رأيناه من كتب الطب أنه يحفظ قوى الأودية طويلا ويبلغها
(١) منافعها)

وكلها آيات كما نراها تثير حساسية القلب بيد الله المبدعة في الكون لتحسس بوجود الله وعظمته وقدرته .

- أما المنهج الثاني : أنه من ناعية يثير حساسية الروح برقاية الله الدائمة ، فهو عالم بكل أسرار الانسان وهو معه أينما كان .

ومثاله - في قوله تعالى :

" سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون " (٢)

وأنظر قوله تعالى :

" أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون ، أم من يهديكم في ظلمات البحر والبحر ومن يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته ؟ أله مع

(١) رون المعاني للألوسي المجلد الخامس ج ١٤ ص ١٢٥ - ١٨٥

(٢) سورة مريم آية (٣٥) .

الله ؟ تعالى الله عما يشركون ، أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟
ومن يرزقكم من السماء والأرض ؟ أله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم
ان كنتم صادقين (١)

كلها آيات تفتح قلب الانسان وفكره الى عظمة الله تعالى
ومعرفته لدقائق الأمور وأنه هو المطلع على الغيوب لا يغيب عنه
شيء في الأرض ولا في السماء .

ـ أما المنهج الثالث : أنه من ناحية يثير في الروح وجدان
التقوى والغشية الدائمة لله ، ومراقبته في كل عمل وفي كل
فكرة وفي كل شعور .

وشيء طبيعي بعد أن ينبه القرآن الى بدعة الله في الكون
والنفس وفي كل شيء عوله أن يثير في قلبه التقوى وغشية الله
الدائمة وأنه مراقب من قبل الله عز وجل في كل صغيرة وكبيرة ،
فلا يستطيع الانسان أمام هذه المخلوقات الهائلة الا أن يخشع
لله تعالى ويتقيه حيثما يتوجه وحيثما كان .

أنظر قوله تعالى :

" الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها ، مثاني ، تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر
الله ، بذلك هدى الله يهدى به من يشاء " (٢)

(١) سورة النحل آية (٦٢ - ٦٤) .

(٢) سورة الزمر آية (٢٣) .

(ايقاح اسم الله مبتدأ فيه تفخيم لأحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه ، وتأكيد لاستناده الى الله وأنه من عنده ، وأن مثله لا يجوز أن يصدر الا عنه ، وأنه تنبيه على أنه وحى معجز مهين لسائر الأحاديث ، و " كتابا " بدل من أحسن الحديث و " مشابها " مطلق في مشابهة بعضه بعضا " مثناني " بيانا لكونه متشابها لأن القصص المكررة لا تكون الا متشابهة ، والمثنائي جمع مثنى بمعنى مردد ومتكرر لما تنوع من قصصه وأنبائه ، وأحكامه ، وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه ، فان قلت : كيف وصف الواحد بالجمع ؟ قلت : انما صح ذلك لأن الكتابة جطة ذات تفاصيل ، وتفصيل الشيء هو جطته لاخير ، ألا تراك تقول القرآن أسباع وأغصان وسور وآيات ، وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء " والمعنى : انهم اذا سمعوا بالقرآن وآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ، ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمفطرة لانت جلودهم ، وقلوبهم ازال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة " ذلك هدى الله يهدي به من يشاء " يعنى عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجعوا ذلك الرجاء ، " ومن يضل الله " أى ومن يخذله من الفساق والعجزة " فما له من هاد " (١)

وهذا نرى الانسان المؤمن يهتز قلبه لعب الله وخشيته
وتقواه في كل عمل وفي كل خلية من خلجات نفسه فهو يرى الله
معه في كل أعماله وخطواته ، وأفكاره وشعوره ، وعين يتنبه ويتقبط
بأن الله دائما معه يكون خاشعا له يراقبه في كل صغيرة وكبيرة .

• أما المنهج الرابع : وهو أنه يثير في الروح العبد لله ،
والتطلع الى رضاه ، والخوف منه .

فحين يعيش الانسان كما ذكرنا في جو القرآن وخشيته الله
وثقوى الله فان ذلك كله لا يملك منه الانسان الا أن يكون محبا
لله حتى وهو يخافه ويخشاه .

ويتجلى ذلك في قصة ابنى آدم حيث يتجلى فيه حب الله وخشيته
والخوف منه والتطلع الى رضاه .
حيث يقول تعالى :

"لئن بسطت اليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك
لأقتلك ، انى أخاف الله رب العالمين" (١)

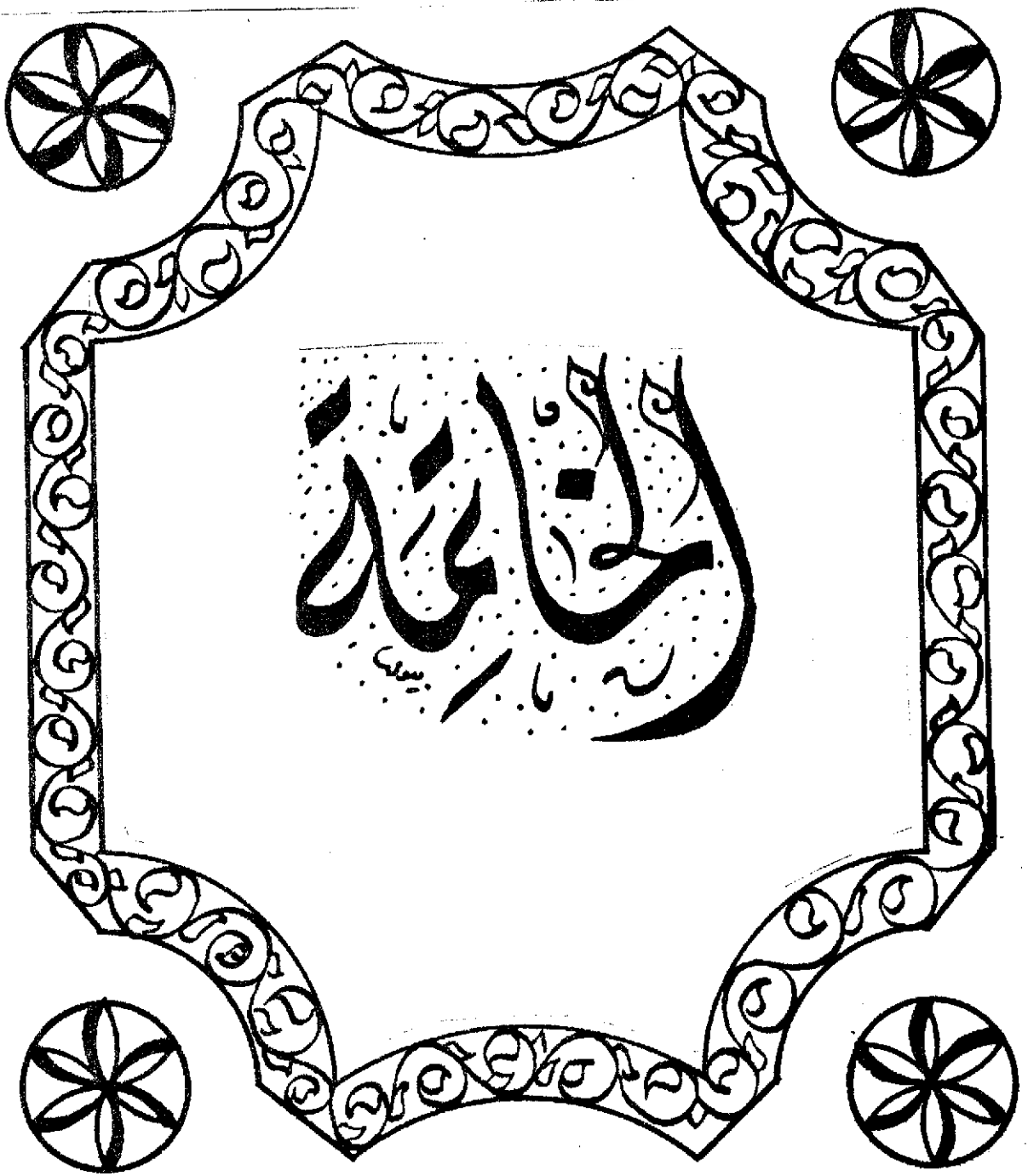
قال الأخ لأخيه : اذا أنت هدنت يدك اليّ لتقتلني فلن أفعل
ذلك " انى أخاف الله رب العالمين " أى مالك الخائف كلها أن
بمقابني طى بسط يدي اليك (٢) .

فهنا يدل طى خشية الله تعالى والخوف منه والتطلع الى رضاه .

(١) سورة المائدة آية (٢٨) .

(٢) تفسير الطبرى ج ٦ ص ١٩٢ .

- أما المنهج الخامس : فهو من ناحيته يبحث فيه الطمأنينة
الى الله في السراء والضراء .
حين يكون الانسان في جو الاسلام وجو القرآن ، يكون مطمئنا
مسلماً أمره لله وحده ، كما فعل محمد عليه الصلاة والسلام كان
دائماً يسلم أمره ويفوضه لله وحده .
وكذلك كان يفعل المسلمون في صدر الاسلام ، وكذلك تفعل كل نفس
مؤمنة بالله وحده .
لذلك كانت العبادة وما توالت هو الوسيلة لتربية الروح من صلاة
وزكاة وصيام وحج كل هذه العبادات قصد بها تربية الروح ، وهي
العبادات المفروضة ، ونستطيع أن نقول أن الاسلام يوسع معنى
العبادة حتى تشمل كل خلجة من خلجات الحياة .
وهذه طريقة الاسلام في تربية الروح تربي كل شيء في الانسان
فلا تترك منه شيء عتق تقومه وتحيط بكل جذوره .



"الخاتمة"

عاشت القصص القرآني قرابة ثلاث سنوات تمتعت فيها
بقصص القرآن الكريم ، حيث رأيت نماذج مختلفة من البشر ، وأحداث
كثيرة ومتعددة مع رسل الله تعالى الى خلقه ، وكيف كانت
عاقبة الأقسام الذين عارضوا الدعوة .

ولقد استنتجت من خلال معايشتي للقصص القرآني الكريم
أن القصة متكاملة فنياً وأنها تتمتع بالعناصر التي يتمتع بها
القصص العادي بل وزيادة ، فنرى في القصة القرآنية أن عناصرها
مكتملة ، ففيها الشخصية : وهي الذات التي تصنع أحداث
القصة وتدور معها ، وقد تكون الشخصية واقعية ، وقد تكون
غير واقعية كالهدد والنمل الخ ،

- وفيها الحوار : وهو الكلام الذي يدور بين الأشخاص
في القصة سواء بين شخصين أو أكثر ، ووضحت أن للحواد
دلالاته العقلية والنفسية والجمالية ووضحنا معانيها
والأمثلة عليها .

- وترى الأسلوب في القصة القرآنية فهو الذي يوضح
أحاسيس ومشاعر الكاتب الى القاري .

- والموضوع : وهو الحدث أو الأحداث التي تشتمل عليها
القصة ، وهو العنصر الأساسي التي تدور حوله القصة .

- والهدف : وهو الذى من أجله تساق القصة وهذا هو الفرق بين القصص العادى والقصص القرآنى فهو دائما ذات هدف مع زيادة وتشويق .

- والزمان : وله دوره الفعّال فى القصة .

- أيضا المكان : وله أهميته ودوره فى القصص القرآنى .

وهذه العناصر جميعها مجهودة فى قصص القرآن بصورة متناسقة واضحة تتناسب مع جلال الموقف وسمو الرسالة الالهية مع زيادة العلو والترقى والاعجاز - فهذا ما لانراه فى القصص العادى - واستنتجت من خلال البحث أن القصص القرآنى من حيث

الشكل ينقسم الى قسمين :

١ - القصة الطويلة .

٢ - القصة القصيرة .

وأن القصة الطويلة نوعين :

أ - قصة طويلة مكتملة كقصة يوسف .

ب - قصة طويلة مجزأة فى عدة سور كقصة نوح تأتى الينا مجزأة فى سور متعددة وفى كل مرة يتخاير الهدف عما سبقه من سور ، ثم تأتى الينا القصة كاملة فى سورة كاملة هى سورة نوح طيبه السلام ولقد وضعنا ذلك فى موضعه .

وهذا هو ما توصلت اليه من خلال البحث ، فالقصص العادى

لا ترى فيه هذا الاعجاز وهذا الاتقان فى طريقتة ، وفى توزيعه

وفى أسلوبه فلا يستطيع مضاهاته بشر ، حيث ترى أن كل جزء من
القصة يأتي في سورة ثم يأتي بجزء غيره في سورة أخرى فيه الجديد
لاكتمال معلومات القصة ، فإذا جمعت هذه الأجزاء المجزأة فسي
السور المتفرقة أصبح لديك قصة كاملة العناصر والمعلومات والاهداف
ثم تأتي اليك مكتملة في سورة واحدة وذلك ما وضعناه بالتفصيل
في موضعه .

ومما استنتجته أيضا في ذلك البحث أن للقصة القرآنية خصائص
متعددة منها :

- أنها مرتبطة بالوحي وأنها نزلت عن طريقه كما نزل سائر
القرآن الكريم .
- وأن القصة القرآنية ملتزمة بالحق وأنه لا مجال للاسطورة في
القرآن ولا في قصصه ورد لنا على بعض من ادعى ذلك بالبرهان
الساطع والحق الدامغ .
- وأن القصة القرآنية هي الواقع ولا شيء غير ذلك وأنها تعبير
صادق تتفق مع جوهر الانسان في حقيقته وواقعه ، وهي
واقع لكل شيء في حياته فلم يترك القصص كبيرة ولا صغيسرة
الا وفصلها وأتى بها جلية واضحة المعالم والأهداف ، فترى
واقعية القصة القرآنية محققة وثابتة للانسان مهما كان زمن
الحديث عنه ، ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا .
- وأن القصة القرآنية تتسامى في الهدف من حيث دعوتها
الى التوحيد ، والتمسك بالأخلاق الحميدة وترك العادات

الذميمة حيث أن القصص القرآني حينما يتم عرض الموقف الجنسي يمر عليه مروراً سريعاً ولا يتوقف كثيراً فلا يعرض الموقف الجنسي لاثارة القارئ ، وإنما يعرض صورة مختصرة وفي شكل يكرهه من يقرأه ، لأن ذلك ليس من أهداف القصة القرآنية وذلك أيضاً وضحناه في موضعه من البحث .

- وتكلمت عن التكرار وركزت على أنه في كل مرة يوضح جزئية معينة تكمل ما نقص من معاني فيما سبقه ، وأنه نوع من أنواع التأكيد لذلك استعمل في وسائل الدطيمات، العديثة ، ووضحت أن البشر في حاجة الى التكرار لأنه داعية الى التذكر ، وأنه من أساليب البلاغة القوية التي تؤكد المعاني في القلوب بأسلوب شيق بليغ ، وأنه ضرب من ضرب القدرة الكلامية لا يعرف الا لكتاب الله العزيز المعجز .

- وحاولت أن أورد على بعض الشبه لبعض أصحاب العقول المريضة وردت طيها بما استطعت بحسب ما يقتضيه الواجب على والدفاع عن الاسلام بكشف حقيقة هؤلاء الذين يلوون الحقيقة على ما يشتهيها هواهم وزيفهم .

- أيضاً تعدت عن الأسلوب كما هو موضح في موضعه من البحث ، والأسلوب الذي يتميز به سائر القرآن ومعه القصص .

- وأفردت باباً كاملاً لأهداف القصص القرآني ، وكشفت في هذا الباب عن عدة معاني منها دعوة الناس الى الاسلام وهو شامل لمعاني كثيرة منها :

معنى الدعوة ، وجوانب عملية الدعوة ، ومراعاة طبيعة الانسان ،
وامداد الدعوة بالمنهج المؤثر لطبيعة وتكوين الناس .

- ثم أفردت فصلاً كاملاً عن تسليية الرسول صلى الله عليه وسلم
ولماذا كان تكرر التسليية .

وتحدثت عن ترابط الدعوات الالهية وأسهبته في ذلك حيث
وضحت النقاط الأساسية لهذه الأصول : من توحيد وعقيدة ،
ورسالة وعبادة ، واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتب ، ووضحت
المراد من الدعوات الالهية :

- ولقد أفردت باباً خاصاً لموضوعات القصص القرآني ومن خلاله
بينت موضوع القصة والرسالة ووضحت معنى النبي والرسول .
وأبرزت من خلال ذلك الفصل بمان القصة القرآنية لمعارضات
القوم لرسالات البشر وردت بالحجة الواضحة على هذه
المعارضات كما هو موضح في مكانه .

- ثم تلى ذلك الفصل لموضوعات القصص القرآني القصة والعقيدة
بينت فيه معنى العقيدة ثم تليتها بمفهوم التوحيد لأنه أساس
العقيدة ، ولقد دلت القصة القرآنية على التوحيد وأثبتته ،
وأثبتته بأركان العقيدة وفصلت بعض الشيء في هذه الأركان
ثم عرضت في ايجاز مواقف اليوم الآخر .

- وتليت ذلك الفصل بالقصة والعبادة كشفت فيه عن :
- مفهوم العبادة .

- اثبات المباديات من صلاة وزكاة وصوم وحج الخ

ووضحت الصلة بين هذه العبادات في الأديان السابقة
والعبادات في الاسلام .

- وذكرت أيضا أن من موضوعات القصص القرآني القصة والاخلاق ،
تكلت فيه عن مفهوم الخلق عند الغزالي وغيره وأن القصة
القرآنية قد نهجت نهجا واضحا في طريق الدعوة الى الخير
والصلاح والدعوة الى التمسك بالاخلاق الفاضلة فكانت لهم
دعوة نظرية للاخلاق في حياتهم أنفسهم ، وتطبيق عيسى
يدعم النظرى ويقويه ويؤكدده .

وقد استنتجت أن دعوة الرسل الكرام النظرية لها التطبيق
الفعلى حيث هم القدوة والمثال للأمة وذلك من الحكمة
الالهية .

- وأخيرا أفردت بابا خاصا بعوامل التأثير بالقصة القرآنية ،
وأنها تشمل الجسم ، والروح ، والعقل .

وتكلت عن معاني هذه التكوينات في الانسان وأن هذه
التكوينات ما حار فيه العلماء الى يومنا هذا فحاولت
الاجتهاد في ذلك ما استطعت .

- ومضى باقى البحث على هذه الوتيرة العلمية للبحث العلمى
حتى وصل الى منتهاه .

- وأخيرا فحمد هذه الملامح والاتجاهات والآراء التى تطلعتنا
طبيها من خلال طيات هذا البحث فان القصص القرآني هو
بحر واسع لا ينتهى فيضه وعطاؤه

هذا ولقد بذلت في البحث ما استطعت ، فان وفي بالفرض
فهذا ما كنت أرجوه ، وان كانت الثانية فمن الكاتبة الخطأ ومن
القارىء الممذرة ، فلكل جوار كبرية ولكل صام نبوة .
والكمال لله سبحانه وتعالى .

وفي نهاية البحث الله أسأل أن يجعل عني خالما لوجهه
الكريم ، وأن ينفع به الاسلام والمسلمين ، وأن يدفع به عن كتابة
زيغ المفسدين ، وشبه الطحدين ، وأئمة الكفر والكافرين ، وأن يكون
الحق رائدى ، والاخلاص هدفى ومقصدى ، والذود عن حمى الاسلام
ورحاب القرآن أطفى وقائتى . . .



المراجع والمصادر

مرتبة حسب الحروف الأبجدية

١ - القرآن الكريم .

(أ)

٢ - الاصابة في تمييز الصحابة

للإمام شهاب الدين أبي الفخار أحمد بن طسوس
المسقلاني المعروف بابن حجر .
الطبعة الأولى - الناشر مكتبة الكليات الأزهرية
حسين محمد امبابي .

٣ - الاتقان في علوم القرآن

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي
الطبعة الرابعة . ١٣٨٠هـ - ١٩٧٨م .

٤ - أنبياء الله

لأحمد بهجت

دار الشروق - القاهرة

الطبعة السابعة .

٥ - أهداف القصة في القرآن الكريم

لمنصور الرفاعي عبيد

دار المعرفة للطباعة - القاهرة

الطبعة الأولى .

٦ - أسباب النزول

لأبي الحسن طي بن أحمد الواحدى النيسابورى
مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع - القاهرة
١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

٧ - اظهار الحق

للشيخ رحمة الله الهندى
تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد عجازى السقا
دار التراث العربى للطباعة والنشر
١٣٠٨ هـ .

٨ - ابراهيم أبو الأنبياء

لمعياش محمود العقاد
منشورات المكتبة المصرية
صيدا - بيروت .

٩ - الأديان فى القرآن

للدكتور محمود بن الشريف
دار المعارف بمصر
الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م .

١٠ - الاسلام عقيدة وشريعة

للشيخ محمود شلتوت
الطبعة الثانية .

- ١١ - أصول علم النفس
للدكتور أحمد عزت راجح
الطبعة التاسعة ١٩٧٣ م
- ١٢ - اعجاز في نظم القرآن
للدكتور محمد السيد شيخون
الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- ١٣ - اعجاز القرآن
للقاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني .
تحقيق السيد أحمد صقر
دار المعارف - القاهرة
الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ .
- ١٤ - اعجاز القرآن
لمصطفى صادق الرافعي
دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان
الطبعة الثالثة .
- ١٥ - الاعجاز اللفوي في القصة القرآنية
لمعمود عمن السيد - تقديم حسن عون
نشر مؤسسة شباب الجامعة
الاسكندرية
الطبعة الأولى ١٩٨١ م .

- ١٦ - اعجاز القرآن
للأستاذ عبد الكريم الخطيب
بيروت - لبنان
الطبعة الثانية ١٩٧٥م - ١٣٩٥هـ .
- ١٧ - اعجاز القرآن
للمحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
تحقيق محمد الجاوي - دار الفكر العربي .
- ١٨ - الايضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبدع
للخطيب القزويني .
- ١٩ - أسرار التكرار في القرآن
لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى .
دراسة وتحقيق أحمد عطا
دار الاعتصام
الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ٢٠ - أعلام النبوة
لأبو الحسن طي بن محمد الطوردي
وزاجعة وقدم له طه عبد الرؤوف سعد .
- ٢١ - اثبات النبوة
للسيد عبد المجيد الشاهد .
مخطوط .

٢٢ - ايمان فرعون

للإمام جلال الدين السيوطي
حقيقته وضبطه ؛ ابن الخطيب
المطبعة المصرية ومكتبتها - القاهرة
الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

٢٣ - احياء طوم الدين

للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي
المتوفى سنة ٥٠٥ هـ
دار المعرفة - بيروت
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٢٤ - بحوث في قصص القرآن

للاستاذ العافظ عبد ربه
الطبعة الأولى ١٩٧٢ م .

٢٥ - بغية الايضاح

لعبد المتحامل الصغيرى .

٢٦ - بينات المعجزة الخالدة

للدكتور حسن ضياء الدين متر
دار النصر - سوريا - حلب
الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٢٧ - البرهان في طوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى
دار المعرفة - بيروت .
الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .

٢٨ - بدع التفاسير

لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري الحسن

الأديسي

مكتبة القاهرة - القاهرة

٢٩ - البداية والنهاية

لأبي الغداء الحافظ ابن كثير - دار الفكر - بيروت

طبعة جديدة منقحة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

(ت)

٣٠ - تاج العروس من جواهر القاموس .

للإمام محب الدين الواسطي الزبيدي الحنفي

المطبعة الوهبية ١٢٨٦ هـ .

٣١ - تفسير القرطبي

(الجامع لأحكام القرآن)

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

دار الشعب - القاهرة

٣٢ - تفسير النسفي

للإمام الخليل أبي البركات عبد الله بن أحمد بن

محمود النسفي

دار احياء الكتب العربية - عيسى الخليل وشركاه .

٣٣ - تفسير الألوسي

(المسمى بالتفسير الكبير)

الطبعة الثانية

الناشر دار الكتب العلمية - طهران .

- ٣٤ - تفسير المنار
لمحمد رشيد رضا
الطبعة الثانية - أعيد طبعه بالأوفست
- ٣٥ - تفسير المراغي
للشيخ أحمد مصطفى المراغي
الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .
- ٣٦ - تفسير الكشاف
(عن حقائق التنزيل وعيون الأتاويل في وجوه التنزيل)
لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي
دار الفكر للطباعة والنشر
الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- ٣٧ - تفسير أبي السعود
(الحسنی بارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم)
لأبي السعود محمد بن محمد العماري
المتوفى سنة ٩٥١ هـ .
- ٣٨ - تيسير العزيز الحميد
(في شرح كتاب التوحيد)
- ٣٩ - تفسير القرآن الكريم
للشيخ محمود شلتوت
الطبعة السابعة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٤٠ - التصوير الفني

للأستاذ سيد قطب

مطابع الشروق - الطبعة الشرعية الرابعة

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

٤١ - التلخيص في علوم البلاغة

للقزويني الخطيب

الطبعة الأولى ١٩٠٤ م

٤٢ - التوحيد الخالص أو الاسلام والعقل

للدكتور عبد الفنى عيود

الطبعة الأولى ١٩٧٦ م

٤٣ - تاج العروس (طبعة أخرى)

طبعة بيروت ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

٤٤ - التمييز الفني

للدكتور بكرى شيخ أمين

الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

٤٥ - تذكرة الدعاء

للبيهى الخسولى

مكتبة الفلاح - الكويت - الطبعة السادسة

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

٤٦ - تبسيط العقائد الاسلامية

لحسن أيوب

الطبعة الثانية - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

- ٥١٢ -

٤٧ - تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم

للدكتور محمد الطيب النجار

دار الاعتصام - الطبعة الثالثة .

٠ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

(ج)

٤٨ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة

٣١٠ هـ - الطبعة الثالثة .

شركة مكتبة المطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

٤٩ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع

للمرحوم أحمد الهاشمي

الطبعة الثانية عشرة

٥٠ - الجانب العاطفي من الاسلام

لمحمد الغزالي

دار الكتب الحديثة

مطبعة السمادة

القاهرة - الطبعة الأولى .

٠ ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

٥١ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

لشيخ الاسلام ابن تيمية ٦٦١ - ٧٢٨ .

قدم له وأشرف على طبعه السيد صبح المدني

جدة - سوق الندی .

- ٥١٣ -

(ح)

٥٢ - حقائق الاسلام وأباطيل خصومه

لعباس محمود العقاد

دار القلم بالقاهرة - الطبعة الثانية

١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م •

٥٣ - الحسوار في القصة والمسرحية والاذاعة والتلفزيون

للدكتور طه عبد الفتاح مقلد - نقلا عن كتاب فنن

الكاتب المسرحي ليسفيلد - ترجمة درينو خشبة

٥٤ - حاجة البشر الى الرسالة

واثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

للسيد عبد المجيد الشاهد - مخطوط - كلية أصول

الدين مكتبة الأزهر بالقاهرة

(خ)

٥٥ - خلق المسلم

للغزالي

(د)

٥٦ - دعوة الرسل الى الله

لمحمد أحمد العدوي

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

٥٧ - دلائل الاعجاز

للإمام عبد القاهر الجرجاني

تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي

• مكتبة القاهرة - ميدان الأزهر بمصر

• الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

٥٨ - دلائل النبوة

للمحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني

عالم الكتب - بيروت

٥٩ - دلائل النبوة ومعجزات الرسول

للدكتور عبد الحلیم محمود

دار الانسان للتأليف والترجمة والنشر

ميدان الدقي - القاهرة

٦٠ - الدعوة الإسلامية

للدكتور أحمد ظوش

دار الكتاب المصري - القاهرة

• دار الكتاب اللبناني - بيروت

• مطبعة نهضة مصر - القاهرة

٦١ - الدعوة والداعية

لفتحى يكن

الطبعة الثالثة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

- ٦٢ - الدراسات النفسية عند المسلمين
لعبد الكريم العثمان
الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م •
- ٦٣ - دلائل النبوة للبيهقي
تقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان
الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م •
- ٦٤ - دستور الأخلاق في القرآن
للدكتور محمد عبد الله دراز
الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م •
- ٦٥ - دراسات في النفس الانسانية
لمحمد قطب
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٣ م •
- (ر)
- ٦٦ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
للعلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود
الألوسي البغدادي •
طبعة جديدة مصححة ومنقحة - دار الفكر
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م •
- ٦٧ - رسالة التوحيد
للشيخ محمد عبده
الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م •

(س)

٦٨ - سنن أبي

للإمام الحافظ أبي داود سليمان ابن الأشعث

السجستاني الأزدى ٢٧٥ هـ

نشرته دار احياء السنة النبوية للطباعة والنشر .

٦٩ - سر الفصاحة

لابن سنان

٧٠ - السرد القصص في القرآن الكريم

لثروت أباظة

دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة

٧١ - سيكولوجية القصة

للدكتور التهامي نفرة

الشركة التونسية للتوزيع

الحلقة الثالثة جامعة الجزائر ١٩٧١ م .

٧٢ - سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

لأبو عبد الله بن اسحاق بن يسار المطلبي

١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

(ش)

٧٣ - سروح التلخيص

وهو مختصر التفتازاني طو تلخيص المفتاح

للخطيب - ومواهب المفتاح للمفريسي وعروس الأفراح للسبكي .

٧٤ - شرح العقيدة الطحاوية

حققها وراجعها جماعة من العلماء

• خرج أعادتها محمد ناصر الدين الألباني

• الطبعة الرابعة ١٣٩١ هـ

(ص)

٧٥ - صحيح البخاري بشرح الكرمانلي

للإمام البخاري

دار احياء التراث العربي

• الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

٧٦ - صحيح مسلم بشرح النووي

دار الفكر - بيروت - لبنان - توزيع مكتبة العلم مكة المكرمة

• الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

٧٧ - صراع المذهب والقصص في القرآن

لعبد الكريم غلاب

الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس

• ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

(ط)

٧٨ - طريق الدعوة في ظلال القرآن

لأحمد فابز

مؤسسة الرسالة - بيروت

• ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

(ظ)

٧٩ - الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي

ندوة مالك بن نبي - دار الفكر

٠ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

(ع)

٨٠ - طوم البلاغة

لأحمد مصطفى المراغي

بيروت - لبنان - الدابحة الأولى ٠ ١٩٨٠ م

٨١ - عقود الجمال في المعاني والبيان

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

المتوفى سنة ٩١١ هـ - بشرح طه الرعمن بن عيسى

ابن مرشد الحصري - الطبعة الثانية .

٨٢ - عون المعبود

(شرح سنن أبي داود)

لأبي الطيب شمس الحق آبادي مع شرح الحافظ ابن

القيم الجوزية - ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان

المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - الطبعة الثانية

٠ ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

٨٣ - عقيدة البحث في الإسلام

للدكتور التهامي نفرة .

- ٨٤ - العقائد الاسلامية
للدكتور السيد سابق
الطبعة الثالثة
١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م
- ٨٥ - العقيدة الاسلامية والايديولوجيات المعاصرة
للدكتور عبد الفتاح عهود
الطبعة الأولى ١٩٧٦ م
- ٨٦ - طوم القرآن وطم البيان
للامام شمس الدين أبى عبد الله محمد ابن أبى بكر ايسن
أيوب الزرقى المعروف بابن القيم امام الجوزية .
المتوفى سنة ٨٥١ هـ
توزيع دار الباز - مكة المكرمة .
- ٨٧ - علم النفس التكويني
للدكتور عبد الحميد الهاشمي
دار التربية للنشر والتوزيع بدمشق .
- (ف)
- ٨٨ - الفن القصصى فى القرآن
للدكتور محمد أحمد خلف الله
الطبعة الرابعة - مكتبة الأنجلو المصرية .
- ٨٩ - فى ظلال القرآن
لسيد قطب
دار الشروق - الطبعة الشرعية العاشرة
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٩٠ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري

٩١ - الفتاوى

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

دار الشروق - بيروت - دار الشروق - القاهرة

الطبعة الحاشرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

٩٢ - فرقان القرآن

(ووليه الأسماء والصفات للبيهقي)

دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان

٩٣ - فن القصة القصيرة

للدكتور رشاد رشدي

دار العودة - بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٥ م

٩٤ - فضائل القرآن

للإمام أحمد بن شعيب النسائي

تحقيق الدكتور فاروق حمادة

دار الثقافة - الدار البيضاء

الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

(ق)

٩٥ - قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح - لأحمد موسى سالم

دار الجيل - بيروت ١٩٧٧ م

- ٩٦ - القصص القرآني في منطوقه ومفهومه
للأستاذ عبد الكريم الخطيب
الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م •
- ٩٧ - القرآن المبين
للدكتور محمد يحيى إبراهيم
دار الطباعة السعودية - الطبعة الأولى
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م •
- ٩٨ - قصص القرآن
لجاد المطوي وزملاؤه •
- ٩٩ - قاموس القرآن
للحسين بن محمد الدامغانى
عقده وأصلحه عبد العزيز سيد الأهل
دار العلم للملايين - الطبعة الثانية ١٩٨٠ م •
- ١٠٠ - القرآن المعجزة الكبرى
للشيخ محمد أبوزهرة
دار الفكر العربي ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م •
- ١٠١ - القرآن والقصة الحديثة
لمحمد كامل حسن الصحاح
الطبعة الأولى - دار البحوث العلمية •
- ١٠٢ - القصص في الحديث النبوي
لمحمد حسن الزبير
الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٨ م •

١٠٣ - القرآن يتحدى

لأحمد عز الدين عبد الله خلف الله .
مطبعة السعادة - القاهرة
الطبعة الأولى - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

١٠٤ - القرآن المبين

للدكتور محمد بحيرى ابراهيم
الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

١٠٥ - القرآن

للدكتور مصطفى محمود
دار المعارف - القاهرة - الطبعة الثانية

١٠٦ - قاموس المحيط

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى
الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

١٠٧ - قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس

لأبى اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابورى
المتوفى سنة ٤٢٧ هـ
دار احياء الكتب العربية عيسى الجلبى وشركاه

١٠٨ - قضايا التكرار فى القصص القرآنى

للدكتور القصبي محمود زلط
الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

(ك)

١٠٩ - كيف تدعو الناس

لعبد البديع صقر

١١٠ - الكاظم في التاريخ

لأبي محسن طو بن عبد الواحد الشيباني المعروف

بأبي الأثير .

دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

(ل)

١١١ - لسان العرب المحيط

طبعة مصورة عن طبعة بولاق

٦٣٠ هـ - ٧١١ دار المصرية للتأليف والترجمة

(م)

١١٢ - مختار الصحاح

الطبعة الأميرية الثانية ١٢٥٥ هـ - ١٩٣٧ م .

١١٣ - مناهل العرفان

للشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني

دار احياء الكتب العربية - عيسى الحلبي وشركاه

١١٤ - منهج التربية الاسلامية

لمحمد قطب

الطبعة الخامسة ١٩٨١ م

١١٥ - منهج الفن الاسلامي

لمحمد قطب

دار الشروق - بيروت

دار الشروق - القاهرة

١١٦ - من بلاغة القرآن

لأحمد بدوي

دار نهضة مصر للطبع والنشر

الغجالة - القاهرة

١١٧ - مفتاح العلوم

للإمام أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن طيس

السكاكي - المتوفى سنة ٦٢٦ هـ

ومعاشيته اتمام الدراية لجلال الدين السيوطي المتوفى

سنة ٩١١ هـ .

١١٨ - سند أحمد بن حنبل

المكتب الاسلامي - للطباعة والنشر

دار صادر - للطباعة والنشر .

بيروت .

١١٩ - منهج القرآن في التربية

لمحمد شديد

مؤسسة الرسالة

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

١٢٠ - مشاهد القيامة في القرآن

لسيد قطب

الطبعة السادسة - دار المعارف القاهرة

١٢١ - مناهج المفسرين

للدكتور فيح عبد الحلیم محمود

دار الكتاب اللبناني - بيروت

الطبعة الأولى ١٩٧٨ م

١٢٢ - مشكلات الدعوة والدعوة .

لقتضى يكن

مؤسسة الرسالة - بيروت

الطبعة الثالثة ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

١٢٣ - منهج القرآن الكريم

للدكتور شعبان محمد اسماعيل

دار الاتحاد العربي للطباعة

١٣٨٩ هـ - ١٩٧٨ م

١٢٤ - مع الأنبياء في القرآن الكريم

لعبد الفتاح طيارة

الطبعة السابعة - دار العلم للملايين

بيروت لبنان - ١٩٧٩ م

١٢٥ - مجموعة فتاوى ابن تيمية

للقول الدين ابن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

- ٥٢٦ -

١٢٦ - مصحف الشروق المفسر الميسر

مختصر تفسير الامام الطبري

دار الشروق - القاهرة - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م •

١٢٧ - معالم الشريعة الاسلامية

للدكتور صبحي الصالح

الطبعة الأولى ١٩٧٥ م

(ن)

١٢٨ - نصب الراية لأحاديث الهداية

للامام جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفى

الزيلعى

المكتبة الاسلامية - الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

(هـ)

١٢٩ - هذا ديننا

لمحمود الفزالي

دار الكتب الحديثة - القاهرة

الطبعة الثالثة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م •

(و)

١٣٠ - الوحدة الموضوعية

للدكتور محمد محمود حجازى

دار الكتب الحديثة

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م •

- ١٣١ - متشابه النظم في قصص القرآن
للدكتور عبد الغنى هوش الراجحي
رسالة دكتوراه مخطوطة تحت رقم ٧٦
كلية أصول الدين بالقاهرة
- ١٣٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
وضعه محمد فؤاد عبد الباقي
مطابع الشعب - ١٣٧٨ هـ .
- ١٣٣ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي
ابتداءً ترثييه وتنظيمه ونشره أ . ي ونسك مع مشاركة
محمد فؤاد عبد الباقي .
مطبعة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٥٥ م .
- ١٣٤ - المفردات في غريب القرآن
لأبي القاسم الحسين بن محمد المصروف بالراغب
الأصفهاني ٥٠٢ هـ
تحقيق وضبط محمد سيد كيلاوي - شركة ومطبعة
البابن الحلبي وأولاده بمصر .
- ١٣٥ - المرأة من خلال الآيات القرآنية
لعصام الدين كركر
الشركة التونسية للتوزيع .
- ١٣٦ - المنقذ من الضلال
لأبي حامد الغزالي
حققه وقدم له الدكتور جميل صليبا - والدكتور كامل
عياد - الطبعة الحادية عشر ١٩٨٣ م

١٣٧ - المعجم الوسيط

قام باخراجه : ابراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ،
وحامد عبد القادر ، ومحمد طو النجار ،
وأشرف طو بطيمه عبد السلام هارون ،
مجمع اللغة العربية - مطبعة مصر

• ١٩٦١ م

١٣٨ - المنحة الالهية في شرح العقيدة الواسطية

للإمام أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي
تأليف طو مصطفى الخزالي

• ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م

١٣٩ - المرأة في القرآن

لعباس محمود الحقان

• مطابع دار الهلال

(ن)

١٤٠ - النبا العظيم

للدكتور محمد عبد الله دراز

• الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

١٤١ - النبوة والأنبياء في ضوء القرآن

للأستاذ محمد طو الصابوني

دار الارشاد للطباعة والنشر - بيروت

• الطبعة الأولى ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

- ٥٢٩ -

١٤٢ - النبوة والأنبياء في ضوء القرآن

لأبو العسن طي الحسين الندوي

دار القلم - دمشق - الطبعة الخامسة

١٤٥٠ هـ - ١٩٨٠ م

١٤٣ - النشر الفنى وأثر الجاحظ فيه

للدكتور عبد الحكيم بلبع

مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الثالثة

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

١٤٤ - النصوص

لتقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية

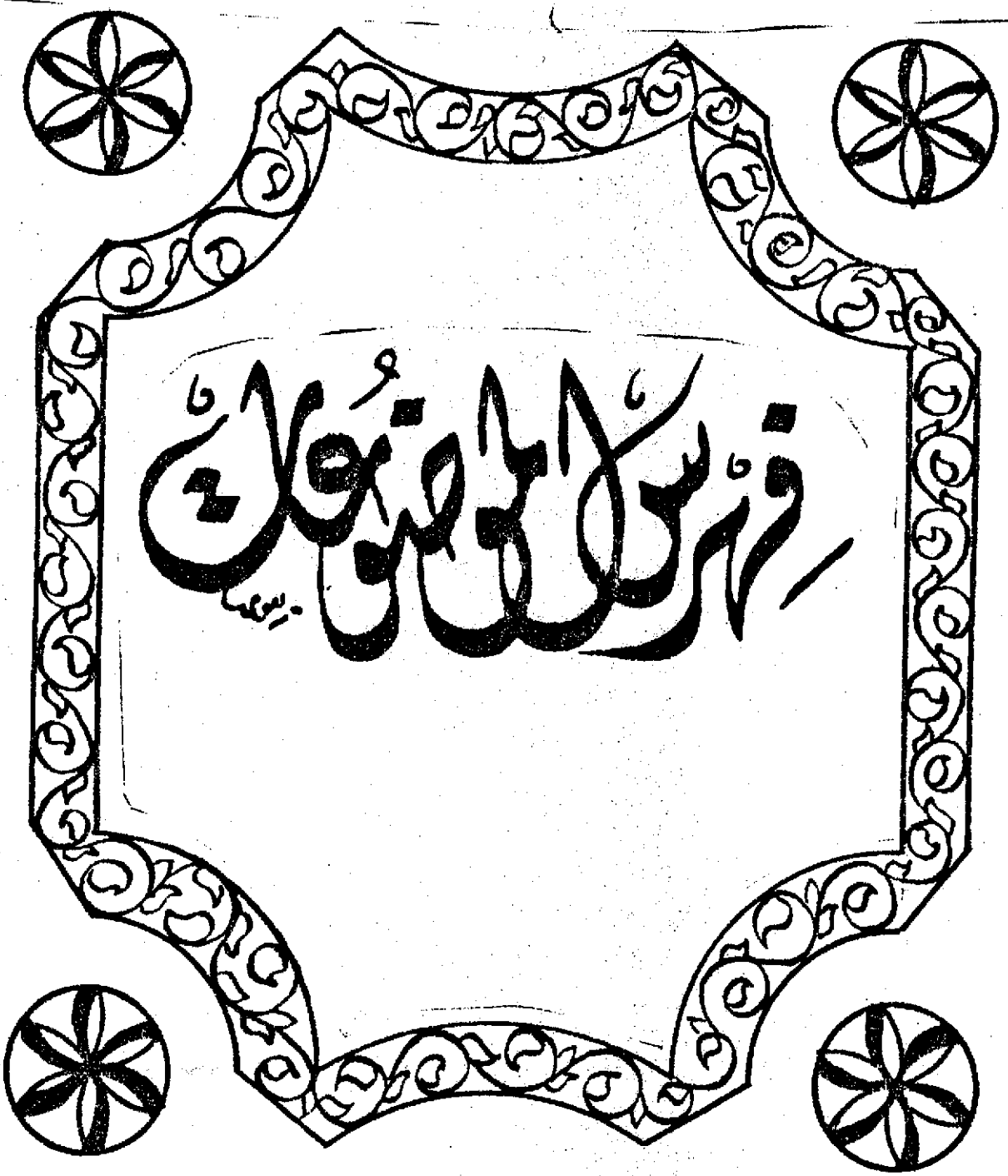
المتوفى سنة ٧٢٨ - دار الفكر

١٤٥ - نظرات في القرآن

لمحمد الخزالي

الطبعة الرابعة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م

فِي رَبِّكَ



فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٣	شكر وتقدير
٥	المقدمة
١٦	منهج البحث
	التمهيد ويشتمل على :
٢٤	• تعريف القصة لغة واصطلاحاً
٣٧	• الفرق بين القصة وبين غيرها من فنون القول
٤٢	• تكاملها من الناحية الفنية
	الباب الأول : خصائص القصة القرآنية
٤٧	الفصل الأول : ارتباط القصة القرآنية بالوحي
٥١	الفصل الثاني : التزام القصة بالحق
٦١	الفصل الثالث : واقعية القصة في القرآن
٧٧	الفصل الرابع : تماهى أهداف القصة القرآنية
٨٣	الباب الثاني : تكرار القصة القرآنية
٨٦	الفصل الأول : أنواع التكرار في قصص القرآن
١٠٨	الفصل الثاني : حاجة البشر الى التكرار
١١٦	الفصل الثالث : بلاغة التكرار وفوائده
١٢٨	الفصل الرابع : رد الشبه الموجهة للتكرار
	الباب الثالث : عناصر القصة القرآنية
١٤٨	الفصل الأول : الشخصية

رقم الصفحة	الموضوع
١٨٤	الفصل الثاني : الحدث
١٩٠	الفصل الثالث : الحوار
٢٠٤	الفصل الرابع : الزمان
٢١١	الفصل الخامس : المكان
٢١٧	الفصل السادس : الأسلوب
	الباب الرابع : أنواع القصة كما جاءت في القرآن الكريم
٢٤٧	الفصل الأول : القصة الطويلة المجزأة
٢٦٥	الفصل الثاني : القصة الطويلة الكاملة
٢٧١	الفصل الثالث : القصة القصيرة
	الباب الخامس : أهداف القصة القرآنية
٢٧٩	الفصل الأول : دعوة الناس إلى الإسلام
٢٨٠	المبحث الأول : التعرف اللغوي للدعوة
٣٠٥	المبحث الثاني : منهج الدعوة
٣٢٠	الفصل الثاني : تسليم الرسول صلى الله عليه وسلم
٣٣٣	الفصل الثالث : بيان ترابط الدعوات الإلهية
	الباب السادس : موضوعات القصص القرآني
٣٤٩	الفصل الأول : القصة والمقيدة
٤٠٧	الفصل الثاني : القصة والرسالة
٤٢١	الفصل الثالث : القصة والعبادة
٤٤٠	الفصل الرابع : القصة والأخلاق

رقم الصفحة	الموضوع
	الباب السابع : التأثير بالقصة القرآنية
٤٥٨	الفصل الأول : عناصر الانسان
٤٦٥	الفصل الثاني : منهج القصة في تربية الانسان
٤٦٦	البحث الأول : تربية الجسد
٤٧٧	البحث الثاني : اقناع العقل
٤٨٦	البحث الثالث : توجيه الروح
٤٩٦	الخاتمة
٥٠٤	المراجع والمصادر
٥٣١	الفهرس

رقم الصفحة	السطر	الخطب	المصوات
١٨	العاشرون	الطير	البراقع
٢٧	الثامن	بعض	بعت
٢٧	الثامن	بأنفسنا	بأنفسنا
٤٢	الثاني	وفصائحهم	وفصحاءهم
٥٣	الأول	معانيها	معانيه
٥٤	الثاني	يخلصوا	يلخصوا
٥٥	الرابع	ادعاءه	ادعاءه
٥٩	الثالث عشر	البعيرة	البعيرة
٦٦	الثامن	حالاتها	حالاتها
٦٨	السطر الأخير	فتسير	فتشير
٧٢	السطر الرابع	فؤدك	فؤادك
٧٣	الحادي عشر	عنه	له
٨٤	الثاني	جحودهم	لجحودهم
٨٦	الأول	تجرارا	تكرارا
٨٦	الثاني	الواحد	الواحدة
٩٨	الأول	وآتيه	وأتاني
٩٨	الحادي عشر	أبيه	أبيه
١٠٠	الرابع	هود	نوح
١٠١	السادس	كافرون	كارهون
١١٤	الخامس	من كتاب الله	من التجارب البشرية
١٢١	السطر الأخير	والتصحيح	والتصحيح
١٤١	الخامس	لعضه	بعضه
١٤٥	الرابع	والغول	تخذف
١٦٠	السطر الأخير	تدلل	تدلل
١٧٧	العاشرون	والشخصية	ولشخصية
١٧٨	الثاني	من	صع
١٨٢	الأول	سقطت كلمة	في القصة
١٨٤	الأخير	ونشقته	ونعته
١٩٢	السادس عشر	قال	قالوا
١٩٧ أ	الثامن	واضرب لهما	واضرب الله مثلا
١٩٧ ب	الخامس	صاحبه	صاحبه
٢٠٠	السادس	ولفائحهم	ولفائحهم
٢٠٢	ما قبل الأخير	الهي	قرآني
٢٠٧	الحادي عشر	بحسب	بسبب
٢١٣	الثاني	فلما نودي	فلما جاءها نودي
٢١٣	السابع	نشأنا	أنشأنا
٢٢٥	الأخير	يعلمون	يشعرون
٢٣٣	ما قبل الأخير	قوسا	قرنا
٢٤٨	ما قبل الأخير	برى	بريد
٢٤٨	ما قبل الأخير	سقطت كلمة	بمؤمكم هوركم
٢٦٠	الثاني	أموال	أموالا
٢٨٩	الحادي عشر	الصفات	الصفات
٣١٧	ما قبل الأخير	أفأسوا	أفأسن
٣٢٤	السابع	لمخنة	لمخنة

رقم الصفحة	السطر	العظيمة	الصواب
٣٢٧	الأول	كذبت	كذب
٣٤٣	الخامس عشر	ما أنزل	ما نزل
٣٤٤	الثالث عشر	اتحاد وتماسك	اتحاد وتماسك
٤٥٤	الخامس	فلم يعرف رسولا	فلم يعرف رسول

=====



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ